العلامة

عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري

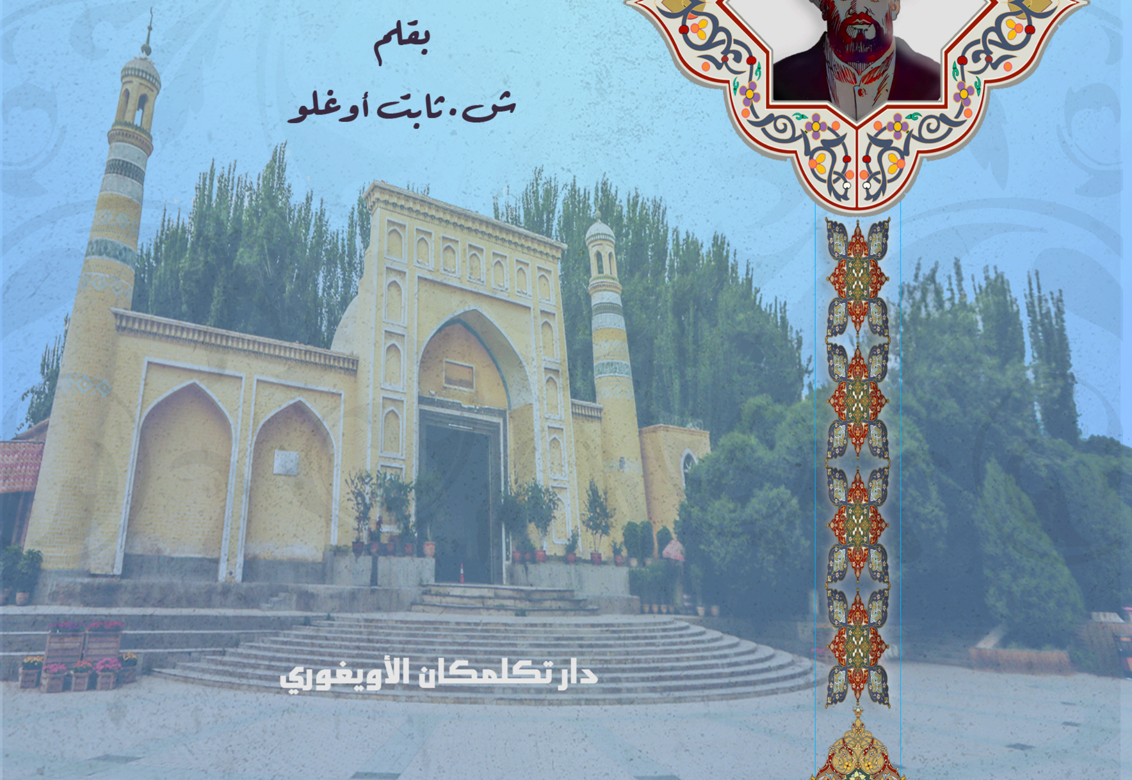
وجهوده العقدية ضد المبشرين

(1854م - 1924م)



بقلم

ش. ثابت أوغلو



دار تكلمكان الأويغوري

العلامة عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري
وجهوده العقديّة ضدّ المبشّرين

(1854 م - 1924 م)

بقلم : ش . ثابت أوغلو

2024 - 1445

تركيا : إسطنبول

الكتـاب : العلامـة عبـد القـادر بـن عبـد الـوارث الكاشـغري وجهـوده العقديـة ضد المبشـرين

الصنف	الاستشراق والتبشير
اسم الكاتب	ش . ثابت أوغلو
محرر الكتاب	أ . محمد سعيد الحسني المغربي
	أ . ماهر عبد الظاهر البيومي عبده
مدير دار النشر	أ . عبد الجليل توران
تصميم الصفحات	إرشاد أَركبيك
تصميم الغلاف	عبد الوهاب بيلكوج
الدار الناشرة	دار تكليماكان الأويغوريّة
تاريخ النشر	٣٠/١١/٢٠٢٣ — ١٧/٥/١٤٤٥

إسطنبول – تركيا

الترقيم الدولي : **İSBN**

978-1-959397-39-7

فهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

إهداء بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة العلامة ، مجدد تركستان الشرقية ، عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري

الإهداء

إلى كل أساتذتي الكرام علَّمني وربَّاني

وإلى أبي الذي أرشدني إلى طلب العلم

وإلى أمي التي ساندتني في كل وقت وحين

وإلى كل من ساعدني من الفضلاء

وزملائي وأصدقائي .

المحتوى

منذ نشأة التبشير، وتأسيسه جمعيّات تنصيريّة مستقلّة، حاول المبشّرون بكلّ ما أُتوا مِن قوّة، أن يغزوا بلدان العالم الإسلامي بكلّ الوسائل والأساليب، فبمجرّد أن يسمعوا عن بقعةٍ من بقاعِ المسلمين شرقاً وغرباً إلا وشدّوا الرحال إليها، وتكبّدوا عناءَ السفر مِن أجَل إخراج المسلمين مِن دينهم، وإضعاف قوّة الإيمان في قلوبهم؛ بنشر الشّكوك والرِّيَب في المجتمع سعياً إلى نشر النصرانية بين أبناء المسلمين ما استطاعوا لذلك سبيلاً، ومِن الأصقاع التي وطِئتها أقدام هؤلاء الأنجاس تركستان الشرقيّة؛ حيث لم تأمَن مِن مكرهم وخُبثهم ودعوتهم، مع بُعدها الجغرافي مقارنة بمثيلاتها من بلدان الإسلام.

فتناول هذا البحث أنشطة المبشرين في تركستان الشرقيّة أوائل القرن العشرين، تحت غِطاء المساعدات وغيرها مِن الوسائل والأساليب المستخدمة في نشر النصرانية؛ بهدف تدمير الشعب التركستاني، ومجتمعه الإسلامي الذي تعشّش فيه الإسلام لأكثر مِن ألف عام.

كما تطرّق البحث إلى تعريفٍ موجَز بحياة العلامة عبد القادر، وجهوده في الدفاع عن عقيدة المسلمين مِن تضليل المبشّرين، وأساليبهم الماكرة المختلفة، كالدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وتأليف الكتب، وتسيير المظاهرات تنديداً ومقاومةً للمبشّرين، وإنشاء المدارس، وإصلاح مناهج التعليم، وتشييد دار الأيتام ليكون أبناء المسلمين في مأمنٍ مِن براثِن المبشّرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، وخليله وصفوته مِن خلقه ، نبيّنا وإمامنا وسيِّدنا محمَّد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ، ومَن سلك سبيله ، واهتدى بهداه إلى يوم الدّين .

وبعد :

استغلّ العالم النصراني ضعف قوّة الخلافة العثمانيّة في عصورها الأخيرة ، فأرسل المبشّرين إلى كلّ البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً منتهزين تخلّف الخلافة عن دورها الأساسي في حماية العالم الإسلامي وأراضيه مِن المفسدين ، وصدّ عدوان الطامعين في ثروات المسلمين وخيراتهم ، – كما كانوا طامعين إفساد عقيدتهم وأخلاقهم – ، حتى وصل الأمر بالتدخل السافر في الشؤون الداخليّة لبعض البلدان التابعة لحكم الخلافة ، فثار أولئك المفسدون ينشرون الفتن بين صفوف المسلمين ضدّ الخلافة الإسلاميّة ، مما نتج عنه فقدان الخلافة العثمانيّة توازنها لإدارة دول البلقان ، وسيطرتها ناحية الغرب .

أما في أقصى الشرق فما زال مسلمو تركستان الشرقيّة والغربيّة في آسيا الوسطى يعانون مِن الاحتلال – الصين والروس – وبطشه ، وازدادت معاناتهم في المجالات السياسيّة ، والاقتصاديّة ، والدينيّة ، والتعليميّة ، تحت ضغط إدارة الاحتلال مِن جانبٍ ، ومِن أنشطة المبشرين مِن جانبٍ آخر .

وعندما أحسّ العلامة عبد القادر الكاشغري بخطورة هذه الأوضاع المؤلمة الموجِعة ، قام بترتيب الأمور ، وركَّز جهوده المحورية – التي

لا تستدعي التأجيل – على إيقاظ الناس مِن غفلتهم ، وجاهد ضد المبشِّرين وأنشطتهم ، فجعل وظيفته الأساسيّة توعية أبناء البلد ، وحماية عقائدهم السليمة ، وأخلاقهم الحميدة ، وتقاليدهم السامية ، وعمل على تثقيفهم على حبّ وطنهم ودينهم ، وتنميتهما على منهج الكتاب والسنة الصحيحة ، وسلف الأمّة .

هذا ، وتكمن أهمية الكتاب – كما سيراها القرَّاء الكرام – في كونه يشمل التعريف بتركستان الشرقيّة تعريفاً عامّاً شاملاً كلّ الجوانب ، والتعريف بحياة العلامة عبد القادر تعريفاً موجِزاً ، إلى جانب التعريف بتاريخ التبشير في تركستان الشرقيّة ، وإبراز جهود العلامة عبد القادر في الدفاع عن عقيدة مسلمي تركستان الشرقيّة مِن غزو التبشير ، وأساليبه في ذلك .

وقد كان هدفي مِن كتابة هذا البحث أمور ، منها :

إثبات أنّ للإمام عبد القادر دوراً كبيراً في منع انتشار النصرانيّة في مدن تركستان الشرقيّة ، وإبراز منهجه وأسلوبه في تعزيز عقيدة المسلمين ، إضافة إلى كشف معاناة مسلمي تركستان الشرقيّة ؛ إذ يجهل كثيرٌ مِن المسلمين – مع الأسف الشديد – أوضاع المسلمين في هذا القطر الإسلامي الجريح ، ويعود السبب في ذلك إلى القمع الذي تمارسه السلطات الصينيّة على أصحاب الفكر والقلم ، فلم تسمح بنشر أيّ شيءٍ يسيء إلى سمعتها ، أو يظهر للعالم الخارجي استبداها ، أو يعرّفهم بحقيقة سياستها الإجراميّة بحقّ شعب الأويغور المسلم ، ولما كان الأمر كما وصفتُ ، بادرت إلى الكتابة في هذا الموضوع ، فبعد بحثٍ مُضنٍ طويل ، وجهدٍ مقلّ ، لم أعثر على أيّ رسالةٍ علميّةٍ ، أو بحثٍ منشورٍ في هذا الموضوع .

فهذا الكتاب الوجيز يبرز للقرّاء الكرام حقيقة تركستان الشرقيّة – جغرافيتها ، تعداد سكانها ، ثقافتها ، ديانتها – ، وشيء من تاريخها بشكلٍ موجزٍ في تصوّرٍ عامّ ، كما يبرز حياة العلامة عبد القادر ونضاله في الدفاع عن عقيدة المسلمين ضدّ غزو المبشرين ، إضافة إلى بيان المناهج

والأسـاليب التـي اسـتخدمها المبشِّـرون في نشـر النصرانيّـة .

يسـتطيع القـارئ مِـن خلال قـراءة الكتـاب أن يجـد أجوبـة للأسـئلة التاليـة : مَـن يكـون العلامـة عبـد القـادر بـن عبـد الـوارث الكاشـغري؟ ومـا مـدى جهـوده في حفـظ عقيـدة المسـلمين مِـن غـزو المبشّـرين؟ ومـا الأسـاليب التـي اسـتخدمها المبشّـرون في تركسـتان الشـرقيّة في أنشـطتهم التنصيريّـة؟ ومـا المناهـج التـي سـلكها العلامـة عبـد القـادر ضـدّ هـؤلاء اللصـوص (لصـوص الديـن والعقيـدة)؟

جمعـت في كتابـي هـذا بين المنهـج الاسـتقرائي باسـتقراء التفاصيـل ؛ لأخـذ صـورة عامّـة ، وبين المنهـج الوصفـي لوصـف جهـود العلامـة عبـد القـادر في الدفـاع عـن عقيـدة المسـلمين ضـدّ غـزو المبشـرين ، إضافـة إلـى المنهـج التحليلـي ؛ حيـث قمـت بجمـع المعلومـات ممّـا توفّـر لـديّ مِـن الكتـب التـي لهـا علاقـة بالموضـوع ، ثـم قمـت بتحليلهـا .

الفصل الأول : التعريف بتركستان الشرقيّة

- المدلول اللغويّ لكلمة «تركستان» .
- موقع تركستان الشرقيّة .
- جغرافية تركستان الشرقيّة ومساحتها .
- سكّان تركستان الشرقيّة وتعدادهم .
- تركستان الشرقيّة بعد الفتح الإسلاميّ .
- واقع تركستان الشرقيّة المعاصر .

الفصل الأول
التعريف بتركستان الشرقيّة

المدلول اللّغوي لكلمة «تركستان» :

تركستان : لفظ مركّب من جزأين : (تُرك) ومعناه الشعب التركي ، و(ستان) وهي كلمة فارسيّة معناه البلاد ، أو الأرض [1] .

وبهذا يكون معناه المركّب : أرض الأتراك ، أو موطن الأتراك ، كما أنّه اسمٌ جامعٌ لبلاد الأتراك [2] ؛ لأنّ تركستان تشمل كلّ البلاد التي عاشت فيها القبائل التركيّة منذ آلاف السنين .

فاسم «تركستان» يطلق على تلك المنطقة التي تحدّها مِن الشرق : جبال تنغري تاغ ، أي : جبل الإله ، ومِن الغرب : جبال الأُورَال ، وبحر قزوين ، ومِن الشمال : سلسلة جبليّة قليلة الارتفاع .

وكان الشعب الأويغوري [3] يعيش مع قبائله في تلك البقعة الواسعة

---

(1) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان ، ط2 . (بيروت : دار صادر ، 1995 م) ، 2|23 . والموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ، نقلا عن : موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، 11/ 371 .

(2) الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٢٣ .

(3) كلمة «أويغور» بضم الألف ، وسكون الواو والياء المعجمة ، وضم الغين ، وسكون الواو والراء المهملتين ، ويكتب باللغة الأويغورية «**ئۇيغۇر**» وبالإنجليزية «Uyghur» أو «Uighur» وبالتركية «Uygur» وبالصينية «维吾尔» ، وهي تعني «الاتحاد والتضامن» باللغة الأويغورية ، وهي اسم لشعب يعيش في آسيا الوسطى .
وجاء في كتاب «ديوان لغات الترك» لمحمود الكاشغري : «أُيْغُرْ - اسم ولاية ، وهي خمس مدائن ، بناها ذو القرنين حين صالح ملك الترك . وقال : أخبرني نظام الدّين إسرافيل طغان تكين بن محمد جقر طنقاخان عن أبيه قال : لما وصل ذو القرنين قرب ولاية أيغر بعث إليه خاقان الترك أربعة آلاف رجل ، وأجنحة قلانسهم كأجنحة الشواهين ، وكانوا يرمون

منــذ آلاف الســنين [1] .

وتنقســم «تركســتان» إلى قســمين : غربيّة وشــرقيّة ، وهذه الأرض الواســعة أصبحــت محــلّ نــزاع بين قــوّتين كبيــرتين : سلالــة تشــينغ [2](大清帝國) ، والإمبراطوريّــة القَيصريّة الروسـيّة (Российская Империя) [3] اللــتين تصارعتــا لامتلاكهــا إلــى أن احتلّــت القيصريّــة الروســيّة المنطقــة الغربيّــة [4] عــام 1865 م [5] ، وخَلَفهــا الاتحــاد الســوفييتي بعــد الثــورة البلشــيفية عــام 1917 م ، وقسّــمها إلــى خمــس دول منــذ عــام 1922 م ، وهــي : أوزبكســتان ، قازاقســتان ، قرغيزســتان ، تركمانســتان ، طاجكســتان ، وتحوّلــت هــذه الــدول

خلفــاً كمــا يرمــون قدّامــاً ، فتعجّــب منهــم ذو القــرنين فقــال : «إينــان خــوذ خرنــد» أي : هــؤلاء اســتبدوا مأكلهــم لا يحتاجــون إلــى طعــام غيرهــم لأنهــم لا ينفلــت الصيــد عنهــم فيأكلــون متــى مــا أرادوا . فســميت الولايــة «خــذ خــر» . ثــم قلبــت الخاء ألفــاً . . . والــذال يــاء والخاء في «خــر» غينــاً وكذلــك يفعــل بحــروف الحلــق» : محمــود بــن الحســين الكاشــغري ، ديــوان اللغــة التــرك ، ط 1 . (إســطنبول : طبعــة دار الخلافــة العليــا ، 1333هــ) ، ص26 . سـابيت ئۇيـ ـۇرى ، ئۇيغۇرنامە ، ب 1 ، (ئىســتانبۇل : 2018م) ، س 79 .

(1) محمــد أمين بغــرا ، تاريــخ تركســتان الشــرقية ، ترجمة محمد قاســم أمين ، ط1 ، (الســعودية ، طبعــة الملــك فهــد ، 1429هــ) ، ص46 . وســعاد هــادي حســن الطائــي ، الأويغــور ، ط2 ، (بغــداد : دار عدنــان ، 2016م) ص29|30 . ونجيــب عاصــم ، تــوروك تاريخــي ، ط 1 . (إســطنبول ، دار الطباعــة العامــرة ، 1316هـ) ، ص2 .

(2) وهــي دولــة أسســها شــعب المانشــو بقيــادة نورهــاج 1644م ، واســتمر الحكــم في أيديهــم إلــى أن أســقطتها عــام 1911م ، وجــاءت مكانهــا جمهوريــة الــصين . https://ar.wikipedia.org/wiki/سلالة_تشينغ_الحاكمة

(3) وهي إمبراطورية أسسها البطرس الأكبر في روسيا عام 1721م ، واستمرت بيد وراثه إلى أن أسقطتها الثورة البلشفية عام 1917م . https://ar.wikipedia.org/wiki/الإمبراطورية_الروسية .

(4) محمــود شــاكر ، تركســتان مواطــن الشــعوب الإسلاميــة ، (بيــروت : دار الإرشــاد ، 1966م) ، ص 4 .

(5) محمــود شــاكر ، تركســتان مواطــن الشعوب الإسلاميــة ، ص 43 . أركين آلبتــكين ، تركســتان الشــرقية في ظــل الحكــم الشــيوعي الصينــي ، ترجمــة تيمــور أحمــد علــي خــان ، (1992م) ، ص1 .

إلـى جمهوريـات إسلاميّـة مسـتقلّة بعـد انهيـار الاتحاد السـوفيتي عـام 1991 م .

أمـا الجـزء الشـرقي فيقـع في قلـب آسـيا ، ويــمرّ بـه طريـق الحرير القـديم ، وكان واحــداً مِــن أهــمّ المراكــز التجاريّــة في العالــم لأكثـر مِــن 2000 سـنة ، ويــمرّ بــه التجّــار مِــن كلّ الــبلاد ، واحتلّــت دولــة تشـينغ عــام 1876 م[1] ، هــذا الجــزء الشــرقي ، وســمته شــنجيانغ (新疆) ، وتعنــي الأرض المحتلــة الجديـدة ، أو الوطـن الجديـد ، وأطلـق الصينيّـون هـذا الاسـم عليـه ؛ لطمـس هويتــه الإسلاميّــة .

ولـم يقـف الشـعب التركسـتاني عاجـزاً أمـام هذيـن المحتلّين ، بـل خـاضَ ثــوراتٍ عــدّةَ مــرّاتٍ بغيــة الاســتقلال والتحــرّر مِــن الاحــتلال ، فأعلنــوا الاســتقلال مــرّتين ، المـرة الأولـى : عــام 1933 م [2] في مدينــة «كاشــغر» [3] ، مِـن قِبـل مؤسّــس الدولـة العلامـة ، المجاهـد ، دامُلّا ثابـت بـن عبـد الباقـي ، ومنـذ ذلـك الوقـت بـرَز اسـم «تركسـتان الشـرقيّة» كاسـم للدولـة ، فسـميت : «جمهوريــة تركســتان الشــرقيّة الإسلاميّــة» ، وأصبحــت الدولــة الوحيــدة [4] التــي أسِّســت علـى نظـام إسلامـي بعـد سـقوط الخلافـة العثمانيّـة [5] .

والمــرة الثانيــة : عــام 1944 م [6] ، في مدينــة «غــولجا» [7] . ولأســبابٍ

---

(1) أركين البتكين ، تركستان الشرقية في ظل الحكم الشيوعي الصيني ، ص1 .

(2) بـولات طورفانـي ، تركسـتان الشـرقية تحـت الاحـتلال الصينـي ، ترجمـه مـن التركيـة د . اسلام صالـح عبـد الفتـاح ، ص8 .

(3) هــي مدينــة واقعــة في جنــوب تركســتان الشــرقية وكانــت العاصمــة لجمهوريــة تركســتان الشــرقية الإسلاميــة التــي أعلنــت في عــام 1933م .

(4) وإن كان أســس الدولـة السـعودية أسســت علـى الشـريعة الإسلاميـة ، ولكـن لـم تكـن علـى نظـام الجمهوريـة ، بـل كانـت علـى نظـام الملكيـة .

(5) بولات تورفاني ، تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني ، ص45 .

(6) المرجع السابق ، ص8 .

(7) هــي مدينــة واقعــة في شــمال تركســتان الشــرقية ، وكانــت عاصمــة لجمهوريــة تركســتان الشــرقية التــي أعلنــت في عــام 1944م .

داخليّة وخارجيّة فقدت البلاد استقلالها ، فاحتلّتها الصين مرّة أخرى عام 1949 م[1] ، وسمتها شنجانيخ المنطقة الأويغورية ذاتية الحكم (新疆维吾尔自治区) .

موقع تركستان الشرقيّة :

تقع تركستان الشرقيّة وسط آسيا الوسطى ، وتحدّها مِن الشمال : جمهورية روسيا ، ومِن الغرب : خمس جمهوريات إسلاميّة ، هي : أوزبكستان ، قازاقستان ، قرغيزستان ، تركمانستان ، طاجكستان [2] ، ومِن الجنوب : كشمير وتبت [3] ، وأفغانستان وباكستان [4] ، ومِن الشرق : الصين الشيوعيّة [5] ، ومن الشمال الشرقي : منغوليا الشعبيّة [6] .

جغرافية تركستان الشرقيّة ومساحتها :

إنّ مساحة تركستان الشرقيّة – التي أوضحنا مكانها باختصار في آسيا الوسطى ، والتي كانت مسرحاً لعدّة أحداث تاريخيّة – هي مليون وثمانمائة وثمانية ألف ، وأربعمائة عشر كيلومتر مربّعاً (1,828,418) [7] . فهي

(1) نور محمد خان ، القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي والصين ، (القاهرة : 1955م) ، ص4 . محمد أمين بوغرا ، محاربة الحرية والاستعمار في التركستان الشرقية ، ط 1 . (القاهرة : مطبعة الأنوار ، 1959م) ص8 .

(2) أبو سعيد المصري ، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ، 11/ 371 .

(3) التبت : هي منطقة تابعة لجمهورية الصين الشعبية ، تقع في قارة آسيا الوسطى الجنوبي منها ، ويعتنق سكنها البوذية .

(4) أبو سعيد المصري ، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ، 11/ 371 .

(5) محمد أمين بغرا ، محاربة الحرية والاستعمار في تركستان الشرقية ، إعداد : عبد الجليل طوران ، ص 38 .

(6) نفس المرجع ، ص 37 .

(7) ئۇيغۇر ئاكادېمىيىسى ، شەرقىي تۈركىستان مۇستەقىللىق كۈرىشىدە بىرلىككە كېلىشكە تېگىشلىك مۇھىم نوقتىلار ، (ئىستانبول : 2018) .

أكبـر مِـن تركيـا مـرّتين ونصـف ، وأكبـر مـن ألمانيـا أربـع مـرّات ، وأكبـر مِـن إندونيسـيا مـرّتين ، وهـي تشـكل خُمـس أراضـي الـصين كلّهـا ، بمـا في ذلـك المسـتعمرات الصينيّـة الشـيوعيّة [1] .

وتعـدّ أرض تركسـتان الشـرقيّة أبعـد الأماكـن بحـراً ؛ لأنّ أقـرب بحـرٍ يبعـد منهـا 1900 كيلومتـر ، ويتقاسـم سـطحها ثلاث سلاسـل جبليّـة مِـن خمـس سلاسـل موجـودة في القـارة الآسـيوية ، وحـوضين ، كالآتـي :

1- جبال آلتون تاغ - جبال الذهب - ، تشتهر بكثرة مناجم الذهب .

2- جبال تنغري تاغ - جبال الإله - ويبلغ طولها 2500 كيلومتر .

3- جبال قارا قوروم .

4- حوض تاريم .

5- حوض جونغاريا .

ويوجـد بهـا أربعـون نهـراً ، و12 بحيـرة ، و16 مدينـة كبيـرة ، و126بلـدة ، وأكثـر مِـن ثلاثـة آلاف قريـة كبيـرة ، وأهـم مدنهـا : أرومجـي ، خُتَن ، كاشـغر ، ياركنـد ، آقسـو ، كـورلا ، طورفـان ، غـولجا ، آلتـاي ، قمـول ، قارامـاي [2] .

سكان تركستان الشرقيّة وتعدادهم :

تعيـش عـدّة قبائـل مِـن الأتـراك في تركسـتان الشـرقيّة وهـم : الأويغـور ، والقـازاق ، والقرغيـز ، والأوزبـك ، والتتـار ، وسـالا [3] ، وغيرهـم مِـن الأقـوام الأخـرى كالطاجيـك ، والشـبت ، ودونغشـياو ، وهـوي ، وكـذا المهجّـرون مِـن مختلـف المقاطعـات الصينيّـة بقصـد احـتلال الـبلاد تدريجيّـاً ، ومحـو ثقافتها .

(1) أركن آلبتكن ، أتراك الأويغور ، ص 89 .

(2) توختـي آخـون أركين ، تركسـتان الشـرقية البلـد الإسلامـي المنسـي ، (القاهـرة : دار الأندلـس الخضـراء ، 1417هـ-1997م) ، ص 10 .

(3) عبـد المؤمـن السـيد أكـرم ، أضـواء علـى تاريـخ طـوران ، (مكـة المكرمـة : رابطـة العالـم الإسلامـي ، 1975م) ، ص18 — 19 .

فالأويغـور : شـعب ينتمـون إلـى الأتـراك ، وهـم مِـن القبائـل الأولـى في تركسـتان الشـرقيّة مـن حيـث تعـداد السـكان ، وانتشـارهم[1] ، وهـم أول المتحضّريـن اسـتوطنوا المـدن ، وعاشـوا في آسـيا الوسـطى ، وهـم مشـهورون بالزراعـة ، والصناعـة ، وتربيـة المواشـي ، تبَعـاً لطبيعـة مواقعهـم الجغرافيّـة التـي اسـتقرّوا بهـا مِـن مناطـق تركسـتان ، وعليـه فالأويغـور يشـكّلون أغلبيـة الأقـوام الذيـن يعيشـون حاليـاً في تلـك المناطـق .

أمـا بالنسـبة للإحصـاء السـكّاني لتركسـتان الشـرقيّة فهـو مِـن القضايـا المثيـرة للجـدل ، حيـث تقـدّر الحكومـة الصينيّـة تعـداد سـكان تركسـتان الشـرقيّة بـ 13 مليونـاً ، بينمـا يقـدّر المحققـون والإحصائيـون عـدد السـكان الحقيقـي بنحـو 25 مليونـاً إلـى 30 مليونـاً ، ويـدل علـى صحـة ذلـك أنّ تعـداد سـكّان سـنة 1933 م ، كان 051 .730 .3 مليـون[2] .

يقـول محمـد أمين بوغـرا : أمَـرتُ الموظـفين المحلـيين عـام 1948 م بإجـراء الإحصـاء ، وبعـد الإحصـاء ظهـر عـدد السـكان بين 8 ملايين و9 ملايين[3] . وعندمـا زار إسـماعيل أحمـد الرئيـس المحلـي لإقليـم تركسـتان الشـرقيّة المملكة العربيّـة السـعوديّة عـام 1985 م ، وسـئل حينهـا عـن تعـداد سـكان تركسـتان الشـرقيّة ، أجـاب : بـأنّ عـدد المسـلمين هنـاك 14 مليونـاً[4] . ويقـول محمـد قاسـم صاحـب أعلام تركسـتان[5] : كان عـدد السـكان المسـجلين مِـن قِبَـل

---

(1) أركن آلبتكن ، أتراك الأويغور ، ص 18 .

(2) Ondrej Klımes, 2015, struggle by the pen the uygur discourse of nation and national interest, C1900-1949, Boston, Brill, 154.

(3) مۇھەممەد ئەمىن بۇغرا ، ماقالىلەر توپلىمى ، س 243 .

(4) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 257 .

(5) هـو الأديـب والكاتـب محمـد قاسـم التركسـتاني ، ولـد في كاشـغر عـام 1929م ، وهاجـر إلـى السـعودية واسـتقر فيهـا ، وألـف عـدة كتـب ، منهـا : «أعلام تركسـتان» ، و«ملـوك الطوائـف» ، وترجـم عـدة كتـب منهـا : «تاريـخ تركسـتان الشـرقية» لمحمـد أمين بوغـرا ، و«قوتادغـو بيليـك» ليوسـف خـاص حاجـب تحـت عنـوان «علـم السـعادة» وغيرهـا . تـوفي في عـام 2020م . محمـد ناصـر العبـودي ، جولـة في تركسـتان الشـرقية ، ط1 . (السـعودية : دار الهدايـة ، 2015م) ، ص285 .

مكتـب الإحصـاء ثمانيـة ملايين ونصـف في عـام 1942 م .

وبهــذه الأدلــة نــدرك أنّ إحصائيــات هــؤلاء المحقــقين موافقــة للعقــل والنقــل[1] ؛ لأنّهــم أبنــاء هــذه الأرض وأصحابهــا .

وأمـا الحكومـة الصينيّـة فتحـاول دائمـاً كعادتهـا أن تظهِـر تقليـل عـدد سـكان تركسـتان الشـرقية ؛ لكـي تخفـي سياسـة التطهيـر العرقـي الـذي مارسـته – بصـور مختلفـة – علـى سـكّان الـبلاد منـذ احتلالهـا ، تـارةً بإبـادةٍ جماعيّـةٍ ممنهجـةٍ مثـل قتـل العلمـاء ، والمثقّـفين ، والأثريـاء ، بحجـة مكافحـة أعـداء الشـعب ، وتـارةً بتنفيـذ سياسـة التجويـع كتلـك التـي أطلقتهـا الحكومـة الصينيّـة لثلاثـة عقـودٍ تحـت شـعار «الثـورة الثقافيّـة» ، والتـي أودَت بحيـاة مئـات الآلاف مِـن الشـعب التركسـتاني ، وتـارةً أخـرى بتجـارب نوويـة ، والتي جرّبتهـا منـذ عـام 1961 م ، وقاربـت خمـسين تجربـة نوويـة في موقـع «لوبنـور» الواقـع في جنـوب تركسـتان ، ومـا تبـع ذلـك مـن تأثيراتهـا الإشـعاعيّة دامـت أكثـر مِـن سـتّين سـنة ، أدّت إلـى كارثـةٍ بيئيـةٍ بـكلّ المقاييـس ، شـملت تلوّث الأرض ، والنبـات ، والماء ، والهـواء ، ممّـا أدّى إلـى إزهـاق روح حوالـي مئتـي ألـف نسـمة حسـب بعـض المعـارضين الأويغور ، ولكـن ثمـة دراسـة إنجليزيّـة سـريّة تشـير إلـى ازديـاد كبيـر في نسـبة المصـابين بالسـرطان نتيجـة التأثّـر بهـذه الإشـعاعات النوويّـة[2] .

وتبــدو تلــك السياســة الممنهجــة للإبــادة الجماعيّــة بشــكلٍ واضــحٍ في الإحصائيــات التــي أجرتهــا الــصين ، فبحســب الإحصائيــات الأولــى التــي أجرتهـا عـام 1953 م ، حـدّدت تعـداد سـكان تركسـتان الشـرقيّة بــ 4. 451. 500 مليـون ، ومِـن هنـا يظهـر الفـرق الشاسـع بين الإحصائيـات التـي أجرتهـا جمهوريـة تركسـتان الإسلاميّـة عـام 1948 م ، والـذي يتـراوح فيـه عدد السـكان مـا بين 8 و9 ملايين نسـمة . وفي الإحصائيـات التـي أجرتهـا الـصين

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص108 .

(2) https://ar.wikipedia.org/wiki/سنجان#اضطهاد_السكان_المسلمين_في_منطقة_سنجان

مـرةً ثانيـةً عـام 1964 م ،لـم يـزد تعداد السـكان عـن 900 .948 .4 مليـون[1] .

وهـذه أدلّـة دامغـةٌ وشـاهدةٌ علـى صِـدق مـا أشـرنا إليـه سـابقاً مِـن أنّ الـصين تحـاول بقصـدٍ تقليـل عـدد سـكان تركسـتان الشـرقيّة ؛ لتخفـي آثـار جرائمهـا الوحشـيّة ، والمتمثّـلة في إبـادة شـعب الأيغـور المسـلم .

تركستان الشرقيّة بعد الفتح الإسلامي :

دانَ الشـعب الأويغـوري علـى مـدى التاريـخ بديانـاتٍ متعـدّدة ، مِـن الشـامانية[2] ، والمانويـة[3] ، والزرادشـتية[4] ، والبوذيـة[5] ، والنصرانيـة[6] ، إلـى أن رفرفَـت رايـة الإسلام بعـد فتـح المسـلمين بلاد فـارس وخراسـان ، واتجـه الجيـش المسـلم بقيـادة «قتيبـة بـن مسـلم الباهلـي» نحـو الشـرق وصـولاً إلـى «كاشـغر» – عاصمـة تركسـتان الشـرقيّة – سـنة 95 ه .

وفي العصـر العباسـي عـام 332 ه ، اعتنـق مؤسّـس الدولـة القاراخانيـة الخاقـان سـلطان «سـتوق بُغـرا خـان» الإسلام ، وتبعـه أبنـاؤه ، وكبـار رجـال الدولـة ، ومنـذ ذلـك اليـوم أعلـن بـجَعل «الإسلام» دينـاً رسـمياً للإمـارات

(1) ئۇيغۇر يىلنامىسى، س 720.

(2) ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئىمىن، ئۇيغۇر پەلسەپە تارىخى،1. (ئۈرۈمچى: مىللەتلەر نەشرىياتى، 1998)، 32.

(3) Bahaeddin Ögel. 1971, Dünden Bugüne Türk Kültürünün Gelişme Çağları. ankara. KÜLTÜR BAKANLIĞI, b1.1|171.

(4) ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئىمىن، ئۇيغۇر پەلسەپە تارىخى، 36.

(5) ئابدۇراخمان باقى، ئۇيغۇرلارنىڭ يىزىق تارىخى، 108. و هاجى نۇرهاجى، قەدىمكى ئۇيغۇرلار ۋە قاراخانىلار، 183 . وسعاد حسن الطائي ، الأويغور ، ص444 . والجويني ، تاريخ جهان كوشاي ، ص83 . وأبو الفضل رجب لي ، 1393ه ، أويغورلار ، ط 1 . (تبريز- إيران : نشر اختر ، 1393هـ) ، ص81 .

(6) ئوتتۇرا ئاسىيا تارىخى تەزىسلىرى، 158 . ونجيب عاصم ، تورك تاريخي ، ص83 .

القاراخانيـة [1] ، وحصَـر اهتمـامَ الدولـة في نشـر الإسلام في أنحـاء تركسـتان كلّهـا ، واقتفـى أثـرَه أبنـاؤه : الخاقـان موسـى بوغراخـان ، وهـارون بوغراخـان ، وحفيـده الخاقـان يوسـف قادرخـان الـذي أرسـل بعثاتـه التعليميـة ؛ لنشـر الإسلام في القبائـل التركسـتانّية المسـتوطنة سـيبيريا الجنوبيـة ، وإيديـل الأورال ، والقـرم ، والقوقـاز ، كمـا أرسـل بعثـاتٍ إلـى بلاد المغـول ، والـصين ، والتبـت ؛ لنشـر الإسلام بينهـم ، وتمـت ترجمـة معانـي القـرآن الكـريم ، وأقيمت المسـاجد ، وتم بنـاء 300 مسـجد في مدينـة «كاشـغر» وحدهـا ، وهكـذا أنعـم الله علـى سـكانها بنعمـة الإيمـان والإسلام ، فـكان منهـم الدعـاة نشـروا الديـن ، وكان منهـم المجاهـدون شـاركوا في الفتوحـات الإسلاميـة ، كمـا ظهـر منهـم العلمـاء الأجلاء الذيـن أثْـرَت كتاباتهـم ومؤلفاتهـم المكتبـةَ الإسلاميّـةَ في شـتى الفنـون ، وتركـوا ذخائـرَ غنيّـةً مـن المؤلفـات العظيمـة ، مثـل : «ديـوان لغـات التـرك» ، و«قوتادغوبيلـك» ، وكان الـطلاب مِـن مختلـف أنحـاء آسـيا الوسـطى يأتـون إلـى «كاشـغر» [2] لدراسـة العلـوم الإسلاميّـة ، والإنسـانيّة ، والعلميّـة [3] . ومنـذ انتشـار الإسلام في تركسـتان الشـرقيّة ، لـم يقبـل الشـعب أيّ ديـن آخـر غيـر الإسلام ، سـوى مـا تَنصّـر مِـن الشـباب بسـبب التبشـير العصـري واغراءاتـه الماديّـة حثّـاً علـى النصرانيّـة ، لكنّهـم قلـة قليلـة .

جـاء في تقريـر موجَـز في دراسـةٍ حـول نشـر المسـيحية والكاثوليكيـة في تركسـتان الشـرقيّة : كان عدد الكاثوليك في تركسـتان الشـرقيّة في الخمسـينيات 300 فقـط ، وغالبيتهـم مِـن غيـر الأويغـور ، في التسـعينيات توسّـعت الكنيسـة الكاثوليكيّـة بسـرعة ، وبحلـول عـام 2009 م ، وصـل عـدد المسـيحين في

(1) محمد أمين بوغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص207 .

(2) كاشـغر : هـي أهـم مدينـة في تركسـتان الشـرقية ، قـال عنهـا ياقـوت الحمـوي : « هـي مدينـة وقـرى وبسـتانين يسـافر إليهـا مـن البخـارى وسـمرقند وهـي في وسـط بلاد التـرك وأهلهـا مسـلمون وهـي مدينـة كثيـرة الخيـرات . محمـد بـن موسـى الشـريف ، تركسـتان بين الماضـي والحاضـر ، ص : 83 — 85 .

(3) محمد أمين بغرا ، محاربة الحرية والاستعمار في تركستان الشرقية ، ص36 .

تركستان الشرقيّة إلى 7000 نسمة ، شكّل عدد الأويغور منهم 1٪ فقط [1]

واقع تركستان الشرقيّة المعاصِر :

مِن الأمور المألوفة والمنشرة في الأُمَم الكافرة قديماً وحديثاً ، أنّ الأُمَم الغالبةَ تحاول أن تقهَر الأمم المغلوبة - المحتلّة - وتبتلعها ، فتحوّل أراضيَها إلى مقاطعةٍ مِن مقاطعاتها لا تنفكّ عنها ، كما تحدِّدُ في سبيل تحقيق هذا الأمر خططاً قاسيةً ، وهذا ما طبقّته بالفعل الحكومة الصينيّة الشيوعيّة ، فقد نهجت سياسة التطهير العِرقي ضدّ أصحاب الأرض الأصليين - الشعب الأويغوري المسلم - ، وعمِلت على اجتثاثه مِن أرضه ، وسحق هويّة مَن بقي منهم حيّاً ، وإذابته في المجتمع الصيني .

فمنذ أن احتلّت الصين تركستان الشرقيّة عام 1949 م ، استهدفت بكلّ الوسائل عمداً طمسَ كافّة المظاهر الإسلامية ، والحضارة الأويغورية في البلاد ؛ لإذابة أبنائها في نسيج المجتمع الصيني ، وهذا واضحٌ - وضوح الشمس في رابعة النهار - في ممارساتها العمليّة ، وتشريعاتها القانونيّة ، وتنفيذها ، واقعيّاً .

فقد أقدمت - بدم باردٍ - على قتل أكثر مِن ثلاث مئة ألف في الثورة الثقافية - 1958 — 1978 - مِن العلماء والمثقفين ، ورجال أعمال ، وغيرهم .

وسعياً لتحقيق خططها المتمثّلة في إذابة مسلمي الأويغور في نسيج المجتمع الصيني ، ضيّقت على الناس حريّة التديّن ، وقيّدت إبراز عقائدهم وتقاليدهم ؛ لأنها كانت ترى في ذلك الحلّ الوحيد لإبعادهم عن دينهم ، وهذا ما دفعها لجمع الأئمّة والعلماء ، والدعاة في معسكرات الاعتقال ؛ لتغذيتهم مبادئ الشيوعية ، وتربيتهم في ثقافتها مِن جانب آخر ، ووظفّت

(1)　李建生,2008，新疆目前“两教”信众结构及 信仰对比研究，新疆师范大学学报.1. 郭换平，龙开义，2009，近代以来新疆基督教研究综述，新疆，石河子大学，第25卷第5期

المدرسين في الدوائر الحكوميّة ، وحمَلَتهم على نَبذ التعاليم الدينيّة في كلّ حياتهم بإجبارهم على التوقيع على ذلك ، وعدم الاشتغال بأي شيءٍ له مساسٌ بالدّين ، ومنعت بناء المساجد ، أو ترميمها كمرحلةٍ أولى ، ثمّ بدأت مرحلة التدمير والهدم بعد 2014 م بحججٍ مختلفة ، وألغت المدارس الشرعيّة منذ احتلال البلاد ، واعتبرت التعليم الشرعي جريمةً كبرى .

واشتدّت عمليات انتهاكات حقوق الإنسان في تركستان الشرقيّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، حيث حاولت سلطات الاحتلال – على الصعيد الخارجي – اتهام الأويغور بالإرهاب ، كما قامت – على الصعيد الداخلي – بتصعيد حملاتها القمعيّة الموجّهة ضدّهم ، فاعتقلت ملايين الأشخاص بدعوى ومزاعم واهية ، وشدّدت نُظُمها القاسية على المسلمين ، بدءاً بتحريم وتجريم تسمية مواليد الأويغور بأسماء إسلاميّة ، ومنع إعفاء اللحى للرجال ، ومحاربة حجاب النساء ، وصولاً إلى الإبادة الجماعيّة [1] .

وبعد 2016 م ، أحكمت الحكومة الصينيّة قبضَتها على تركستان الشرقيّة ، وأغلقت الحدود ، وبنَت السجون ، وأنشأت المعسكرات النازية تحت مسمّى «إعادة التأهيل» ، واعتقلت ملايين مِن الشعب الأويغوري بأسبابٍ تافهةٍ ، واختطفت الأطفال مِن بيوتهم ، وقامت بتعذيبهم المنهجِ ، وأجبرت عامّة الناس رجالاً نساءً على الأعمال الشاقّة بحججٍ مختلفةٍ ، كما أجبرت المسلمين على التخلي عن دينهم ، وثقافاتهم ، وأنْ يُخضَعوا للمراقبة المنهجة[2] .

---

(1) محمد تورسون عمر ، واقع الدعوة الإسلامية في تركستان الشرقية ، ص68 . وزياد الشامي ، حول تصاعد اضطهاد الصين لمسلمي الأويغور ، 21/11/2017 ، http://almoslim.net/node/283627 ، وقهرمان ، ئۇيغۇرلارنىڭ سياسي تاريخى 972.

(2) https://www.amnesty.org/en/latest/news/2021/06/china-draconian-repression-of-muslims-in-xinjiang-amounts-to-crimes-against-humanity-2/

وكشـفت الوثائـق الرسـميّة الحديثـة المسـرّبة سياسـةَ الـصين العنصريّـة ضـد الأويغـور بشـكلٍ مباشـرٍ عـن طريـق قـادة صينـيين كبـار ، مِـن بينهـم الرئيـس «شـي جين بينـغ» ، الـذي أطلـق علـى الحملـة القمعيّـة التـي شـنّتها الدولـة علـى مسـلمي الأويغـور ، شـعار «لا رحمـة علـى الإطلاق» .

وأثبـت الوثائـق أنّ كبـار قـادة الحكومـة الصينيـة دعـوا إلـى اتخاذ إجـراءاتٍ أدّت إلـى الاعتقـال الجماعـي لأفـرادٍ مِـن الأقليّـة المسـلمة ، وإجبارهـم علـى العمـل ، ومازالـت الـصين تنفـي باسـتمرارٍ أنهـا تمـارس إبـادةً جماعيّـةً بحـقّ مسـلمي الأويغـور ، وكانـت بعـض الوثائـق موضـوع تقريـر سـابق ، لكـن التسـريب الأخيـر تضمّـن معلومـاتٍ لـم تُنشَـر مِـن قبـل[1] .

تقـول «أنيـاس كالامـار» الأمينـة العامّـة لمنظمّـة العفـو الدوليّـة : السـلطات الصينيّـة خلقـت جحيمـاً بائسـاً علـى نطـاقٍ مذهـلٍ في (تركسـتان الشـرقيّة) أويغـور ذي الحكـم الذاتـي ؛ فقـد بـات الأويغـور ، والـكازاخ ، وغيرهـم مِـن الأقليّـات المسـلمة يواجهـون جرائـم ضـدّ الإنسـانيّة ، وغيـر ذلـك مِـن الانتهـاكات الجسـيمة لحقـوق الإنسـان التـي تهـدّد بمحـو هوياتهـم الدينيّـة والثقافيّـة[2] .

---

(1) مسـلمو الأويغـور : وثائـق مسـربة تربـط قـادة صينـيين كبـارا بقمـع . . . https://www.. bbc.com › arabic

(2) الـصين : القمـع الشـديد للمسـلمين في شـينجيانغ يبلـغ حـد الجرائـم .... https://www › amnesty.org

الفصل الثاني : التعريف بحياة العلامة عبد القادر داملا

- اسمه ونسبه .
- ولادته ونشأته .
- عصره الذي عاش فيه .
- تكوبنه المعرفي ،ورحلاته العلميّة .
- شيوخه وتلامذته .
- مكانته العِلميّة ،وثناء العلماء عليه .
- مذهبه الاعتقادي والفقهي .
- كتُبه ومؤلّفاته .
- مِن أبرز إصلاحاته .
- أبرز الـمتأثّرين بفِكره الإصلاحي .
- وفاته ورثاؤه .

الفصل الثاني
التعريف بحياة العلامة عبد القادر

اسمه ونسبه :

العالم الربّاني ، والأديب الألمعي ، والمصلح الاجتماعي ، والمفكر الإسلامي ، مجدّد تركستان الشرقيّة في القرن العشرين .

«عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري» ، هكذا ورد اسمه في كتبه المطبوعة وقصائده الشعريّة التي وصلتنا ، كما لم يختلف الكتّاب والدارسون لحياته ، والمترجمين له في اسمه [1] ، واشتُهر بين عامّة الناس وخواصّهم باسم «عبد القادر» ، وبه عُرف .

وأَضفى العلماء والمثقّفون على العلامة «عبد القادر» ألقاباً عديدةً ؛ نظراً لجهوده الكبيرة التي بذلها في تنوير عقول المسلمين وتجديد دينهم ، ومعارفهم ، ودفاعه المستميت عن عقيدتهم ضد غزو المستشرقين والمبشّرين ، فمن تلك الألقاب :

- «الكاشغري» نسبة إلى بلده «كاشغر» التي ولد نشأ وعاش فيها .
- «الغازي» اشتهر به ، ولقّب به نفسه في بعض قصائده [2] .
- «دامُلّام» لغزارة علمه ، و«دامُلّام» وصفٌ علميّ دارِجٌ في آسيا الوسطى منذ وقتٍ مبكّرٍ ، يُوسَم به عالم الشريعة ، المُبرِّز في العلوم الإسلامية ،

---

(1) خوير تيمور ، ئابدۇقادىر داموللام ھەققىدە قىسسە ، ياش ئۆسمۈرلەر نەشرىياتى . س1 .

(2) ويرثى له «الغازي» بهذا مؤرخا تروح في الفردوس بالفوز أنسبا
عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري ، مفتاح الأدب ، تحقيق : عالمجان بغدا ، (تركيا : 2018م) ص128 .

ويعنـــي «العلامـــة» و«العالـــم الجليـــل» [1] ، وهـــي مرتبـــةٌ علميّـــة لا تطلَـــق إلا علـى مَـن تــخرّج في المـدارس بدرجـةٍ عاليـةٍ ، وحصـل علـى إجـازة التدريـس ، والإمـام عبـد القـادر جديـرٌ بهـذه المنزلـة العلميّـة السـامِقة .

وكلمـة «دامُلَّام» اسـمٌ مركّـبٌ اختلِف في أصـل تركيبـه ، فذهـب بعضهـم إلـى أنّ أصلـه : «دَهْ مولـى» ركِّـب الجـزء الأول «ده» مِـن الفارسـيّة ، ويعنـي العـدد «عشـرة» ، وركِّـب الجـزء الثانـي «مولـى» مِـن العربيّـة بمعنـى العالـم النّحريـر ، والشـيخ الكبيـر ، وعلـى هـذا يكـون صـدر كلمـة «دامُلَّا» وهـو «دا» تحـولّ مِـن «ده» الفارسـيّة ، ويكـون عجزهـا «مُلَّا» [2] مأخـوذاً مـن كلمـة «مولى» العربيّـة . [3]

وقـال بعـض علمـاء تركسـتان الشـرقيّة : هـو اسـم مركّـب مِـن «دام علآ» ، أي : وصـل إلـى ذروة العلـم ، ودام فيـه .

- «قاضي القضاة» لتَولّيه منصب قاضى قضاة «كاشغر» .
- «المفتى الكبير» لتَولّيه منصب صدارة الإفتاء في «كاشغر» [4] .

---

(1) عبـد الرحمـن جمـال الكاشـغري ، العلامـة عبـد القـادر دامـوللا الكاشـغري مـن رواد الصحـوة الإسلاميـة في آسـيا الوسـطى ، أرشـيف منتـدى الألوكـة -2» لمجموعـة مـن المؤلـفين ، مجلـس العقيـدة والقضايـا الفكريـة المعاصـرة .

(2) وكلمـة «ملّا» مـا زالـت تسـتخدم بشـكل شـائع في مناطـق مـن قبيـل العـراق والكويـت ، وإيـران ، تركيـا ، باكسـتان ، أفغانسـتان ، شـبه القـارة الهنديـة ، آسـيا الوسـطى والبوسـنة وتركسـتان الشـرقية حيـث يكـون خريـج مدرسـة دينيـة إسلاميـة ويطلـق علـى رجـل ديـن محلـي ، أو إمـام مسـجد .

اسـتخدم هـذا اللقـب كذلـك لـدى بعـض المجموعـات اليهوديـة ، وبالأخـص اليهـود الفـرس ويهـود بخـارى حيـث يشـير إلـى زعيـم المجموعـة ، وفي الأغلـب الزعامـة الدينيـة . ««الكتاتيـب» نـواة التعليـم الأولـى في الكويـت . . قديمـاً» . جريـدة القبـس .

Giora Fuzailoff، Rabbinic Succession in Bukhara 1790-1930

(3) هوتسـما وآخـرون ، موجـز دائـرة المعـارف الإسلاميـة ، ترجمـة إبراهيـم زكـي خورشـيد ، ط 1 . (الشـارقة : مركـز الشـارقة للابـداع الفكـري) ، ص 9628 .

(4) وعرف به بين الكتّاب الصينين .

– «محيي الدّين»[1] ؛ لأنّ الله أحيا به ما كاد يندرِس في تركستان الشرقيّة مِن سنّة النبي ﷺ ، وأمات به ما انتشر مِن البِدع والخرافات ، والأعراف المخالفة لتعاليم الإسلام ، وجدّد به الدّين ، وأصلح به العباد والبلاد .

ولادته ونشأته :

ولد العلامة عبد القادر بن عبد الوارث الكاشغري في مقاطعة «أرتوج»[2] لولاية كاشغر – حينذاك – ، المعروفة بمدينة الأمراء والعلماء ، في عائلةٍ مشهورةٍ بالعلم والثقافة والورع[3] . وتعدّ «كاشغر» أكبر مدن تركستان الشرقيّة ، بل أقدمها حضارةً وثقافةً ، وأكثرها كثافةً سكانيةً ، إذ يصل عدد سكّان المدينة إلى 000 .200 نسمة[4] ، وأهمّ مواقعها الجغرافيّة استراتيجيةً .

تلك «كاشغر» ، مدينةٌ عريقةٌ ، تغنى بحسنها الشعراء ، وأبدعوا في وصف معالمها ، وتفنّنوا في مدحِها .

أنشد عبد العزيز جنكيزخان [5] في هذه المدينة :

---

(1) شەرپىدىن ئۆمەر، تەجەللىنىڭ ئىجادى پائالىيتى توغرىسىدا، بۇلاق، 1986م، 18/99

(2) 马良春、李福田主编，中国文学大辞典 · 第五卷，天津人民出版社，1991年，第3374页

(3) مۇھەممەد تۇرسۇن ئەھمەد ، يۈز مەشھۇر ئۇيغۇر، (ئىستانبول: سۇتۇق بۇغراخان نەشرىياتى، 2017)، 2/100.

(4) Gustaf Raquette. Öst turkestan Dess stâder och floder. 1909. P1. 25.
زۇلھايات ئۆتكۈر، سەييابلار ئىزىدىن، ب. 1. (تۈركىيە: ئۇيغۇر تەتقىقات ئىنىستوتى، 2021)، س425.

(5) عبد العزيز جنكيزخان ، قلب آسيا ، ص181 .

وكاشــغر وهــي تبــدو ذات ســور
وإن أنصفــتَ قــل ذات نـــور
تراهــا بين نهريــن اســتقلت
بمجــرى الماء أو مجــرى العبيــر
بهــا العلمــاء أقطــاب الديــار
وفيهــا العلــم مثــل النهــر الجاري
بهــا المدينــة العليــاء قامــت
وقامــت وهــي عاليــة المنــار
إذا يّممــت مســجد عيــدكاه
رأيــت الدّيــن في عــز وجــاه
بنــى يعقــوب الغــازي علاه
ودام لــه الثنــاء بلا تناهــي
بهــا العلمــاء تشــهدهم صفوفــاً
بهــا الــطلاب تلقاهــم أُلوفــ
بحــار في العلــوم لــكلّ أرضٍ
ويــوم الحــرب تراهــم ســيوفــ
وقبّتهــا التــي جلــت بنــاء
بتلــك الأرض تحســبها ســماء
كأن لســيد الآفــاق فيهــ
حلــى الفــردوس تلبســها رداء
قُراهــا وهــي خضــراء الأديم
تــراك مثــل جنّــات النعيــم
وكاشــغر للحضــارة خيــر ركــن
وفيهــا آيــة الفــنّ القــديم

لقد كانت مدينة «كاشغر» مركزاً للحضارة والثقافة ، سواءً قبل الفتح الإسلامي ، أو بعده – حين اعتنقت القاراخانيّة الإسلام – إلى امتداد ألف عام ، وهذا ما جعلها مَجذِب العلماء وطلاب العلم مِن جميع أنحاء آسيا الوسطى ، لِما كانت تزخَر به مِن علوم ، وتعُجّ بكثرة مدارسها الإسلاميّة العريقة التي وفّرت فيها بيئةً علميّةً واسعةً ، شملت الجوانب الماديّة والمعنويّة ، مما بوّأها أن تكون مركزاً مِحوريّاً في العلوم الإسلاميّة والثقافة ، إضافةً إلى كونها مركزاً للسياسة والحكم .

نشأ العلامة عبد القادر في أحضان هذه المدينة ، وترعرع في تلك البيئة العلميّة المتميّزة ، وهذا ما أمكن له اكتساب مهاراتٍ علميّةً وفكريّةً ، وساعد في تطوير قدراته التفكيريّة والإبداعيّة ، الأمر الذي ساعده في تحليل الأحداث السياسيّة ، والاجتماعيّة ، والاقتصاديّة لبلده ، ويسّر له تقديم حلول عمليّة لمشاكلها .

فلقد كانت تركت تلك البيئة بَصمَاتها الواضحة في تكوين شخصيّة الإمام عبد القادر العلميّة ، وساعدت في نبوغه العلمي السامّي ، وسعة معارفه الراقيّة ، وأثرت فيه تأثيراً عميقاً .

هذا ، واتّفق الدارسون لحياة الإمام «عبد القادر» ، وكذا المصادر المترجِمة له على مكان ولادته ، لكنّهم اختلفوا في سنة ولادته ، حيث ثَمّة تفاوتٌ في تحديد سنة ولادته ، فبينما ترجّح معظم المصادر والدراسات أنه ولد عام 1278 هـ[1] ، تشير مصادر أخرى إلى أنه ولد سنة 1277 هـ أو 1279 هـ ، وبناءً على هذه التواريخ الهجرية ، تقدّر سنة ولادته بالميلادي ما بين 1861م و1863م تقريباً[2] .

---

(1) رەجەپ يۇسۇپ، ئابدۇقادىر داموللام ئەسەرلىرىدىن، (ش: بۇلاق ژورنىلى، خەلق نەشرىياتى، 1989م)، 26 سان، 5 بەت.

(2) Sultan Mahmut KASGARLI.ÇAGDAS UYGUR TURKLERI’NIN EDEBIYATI .S. 91.马良春、李福田主编，中国文学大辞典·第五卷，天津人民出版社，1991年，第3374

وبموازاة ذلك نجد أنّ «عبد الرحيم ثابت» دفع هذا التاريخ ورفضه ، وحدّد تاريخ ولادة الإمام عبد القادر في 1271 ه ، الموافق 1854 أو 1855 م ، معتمِداً على إخبار نجل الإمام «عبد العزيز مخدوم»(1) ، وأيّده في هذا التحديد «باتور روزى» في كتابه «سيرة العلامة عبد القادر»(2) .

أمّا «يالقن روزى» فاستبعَد ولادة العلامة عبد القادر في تلك التواريخ ، وحدّدها في عام 1870م ، ولم يذكر ما اعتمد على هذا التاريخ (3) .

أمّا مَن أرّخ مِن الباحثين سنة ولادته في عام 1880م ، أو 1881 م ، فقد شطّ في القول ، وابتعد مِن الصحة (4) ؛ لأنّ جلوس الإمام عبد القادر للتدريس في مدارس بخارى وسمرقند كان قبل عام 1900 م ، وهي سنة عودته من بخارى إلى كاشغر ، وبناء على هذا يكون عمر الإمام في ذلك الوقت أقلّ من عشرين سنة ، أضف إلى ذلك ما اشتهر عند معظم الباحثين ، واتفقوا عليه ، وهو أنّ الإمام عبد القادر قضى حوالي خمسة عشر عاماً في مسقط رأسه ، قبل أن ينتقل إلى مدينة كاشغر للحصول على التعليم العالي ، فمن المعروف عن الإمام أنّه تعلّم العلوم الشرعية في مدارس كاشغر سنوات عديدة ، ثم رحل إلى بخارى لإكمال دراسته

页

(1) Nur Ah met Kur ban. DÂMOLLA, Abdülkādir. TDV İslâm Ansiklopedisi. EK-1. cildinde, 306-307.
ئابدۇرەھىم سابىت، ئابدۇقادىر داموللام ۋە مىفتاھۇل ئەدەب، 1992.

(2) باتۇر روزى، ئابدۇقادىر داموللام، ب 1. (ش، خەلق نەشرىياتى، 2003م)، س 102.

(3) يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى - ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنىلىنىڭ 2010 - يىللىق 5 - سانى.

(4) إسماعيل ، ترجمة العلامة عبد القادر ، ص 10 .
Nurghmet KURBAN. YIRMINCI YÜZVILDA UGURCA ISTANBUL ÜNIVERSITESI. Yüksek . KUR’AN ÇALISMALARI . Lisans Tezi. istanbul-2002. s80

هناك ، وجلس للتدريس في مدارس بخارى وسمرقند وطشقند . وهذه أدلةٌ لا يمكن معها تحديد سنة ولادته في عام 1880م .

ومع ذلك ، يمكن القول بأنّ تحديد سنة مولد العلامة عبد القادر ، لا تزال موضع نقاشٍ ودراسةٍ بين الباحثين .

عصره الذي عاش فيه

سأتناول هنا جانِباً مِن حياةِ العلامّة عبد القادر، والأحداث التي عاصرها، مقتصِراً على ثلاثة جوانب مِنها، أَسرُدها تِباعاً.

أ – الحالة السياسيّة:

لقد بات مِن الـمُسلَّمات التي لا شك فيها أنّ للبيئة المحيطة بالإنسان إساهماتٌ كبيرةٌ في تكوينه، وتشكيل شخصيّة، وتوجيه مبادئه وأفكاره، كما أنّ لها تأثيراً على سلوكه الشخصيّ، وإبداعه الفكريّ.

ويتّضح لكلٍّ متتبِّع لِسيرة الإمام عبد القادر الذاتيّة، وحياته الشخصيّة التي وثّقتها الكتب المترجِمة له، أنه عاش في مدينة «كاشغر»، – إحدى مدن تركستان الشرقيّة – وقد أثّرت هذه البيئة في اتّساع معارفه وتطويرها، كما ساعدت في ظهور نُبوغِه.

شهدت المدينة في عصره – رحمه الله – الكثيرَ مِن الاضطرابات السياسيّة، والحروب الأهليّة الداميّة، خلّفت دماراً هائلاً، وتسبّب تكرارُها في خرابٍ كبير؛ نتيجةً لضعف البلاد فكريّاً وعسكريّاً، فالبلاد قد استَنزَفت كلّ إمكاناتها في مواجهة القوى الأجنبية – الإمبرياليّة الصينيّة، والشيوعية الروسيّة – السّاعِية إلى الهيمنة على المنطقة، واحتلالها.

وبناءً على ذلك الوضع السياسيّ الذي مرّت به مدينة «كاشغر» يمكننا تقسيم الفترة التي عايَشها العلامة عبد القادر إلى أربع مراحل مختلفة، نُجمِلها فيما يلي:

1– ملوك الطوائف:

بعد أن انتشر في القرن السابع عشر (1514 م – 1698 م) التصوّف في «السلطنة السعديّة» بشكل واسع، سرعان ما تمدّد في البلاد واتّسع، حتى سَرى إلى أروِقة بلاط السّلطنة، وتدخّل في الشؤون السياسيّة.

ولـــم تَقنَـع الحـركات الصوفيّـة بتدخّلهـا السّـافِر في الشـؤون السياسـيّة ، بـل سَـعت إلـى قَلـب نِظـام الــحُكم خدمـةً لمصالحهـا ، وتحقيقـاً لمآربهـا ، حيث تحالـف «هدايـة الله آفـاق خوجـا» زعيـم طائفـة «عشـقية» الصوفيّـة مـع «غالدان سـيرين» (؟ – 1697 م) ملـك الجونغـاريين ضـدّ السـلطان «إسـماعيل خـان» ، للتمـرّد عليـه ، والاسـتيلاء علـى العـرش مقابـل دفعـه 400 ألـف نقـد فضّـي لـ «غالـدان» سـنوياً[1] .

وكان ذاك نذيــر شُــؤم «للســلطنة الســعديّة» ، فقــد توالَــت فتــرات الاضطرابــات والصراعــات الداخليّــة ، وتدخّلــت الــدول المجاورة في شــؤون الــبلاد ؛ لزعزعــة اســتقرار الســلطنة ، مســتغلّةً الفَوضــى الداخليّــة .

ولكـن هـذا الوضـع لـم يـدُم طـويلاً حتـى عـاد الحقّ إلـى أصحابـه ، حيث قـام السـلطان «محمـد أمين خـان» ، شـقيق السـلطان «إسـماعيل خـان» ، بطـرد «آفـاق خوجـا» وتولِّــي عـرش السـلطنة ، ثــمّ لـم يَلبَـث حتـى اغتالـه «آفـاق خوجـا» ، وتقلّـد حكـمَ السـلطنة مـرّةً ثانيـة ، وبعـد هلاكِـه علـى يـد شـقيقة السـلطان «إسـماعيل خـان» السـلطانة «مــحترم خانــم» عـام 1694 م ، تَربّعـت علـى عـرش السـلطة حتـى ماتـت مُغتالـةً مِـن قبـل الطائفـة «العشـقية» (أتبـاع آفـاق خوجـا) عـام 1698 م . وبهـذا انتهـى حكـم «السـلطنة السـعديّة» .

أَعقـب ذلـك فتـرة مِـن الاضطرابـات والصراعـات الداخليّـة في المنطقـة ، وبـرزت طوائـف أخـرى تتنافـس سَـعياً للسـيطرة علـى مقاليـد الحكـم ، وتولّـي زمــام الأمــر ، وكانــت الطائفــة «العشــقية» إحــدى تلــك الطوائــف ، وقــد تمكّنــت مِــن الســيطرة علـى بعـض المناطـق ، حيـث أعلـن «أحمـد خوجـا» و«دانيـال خوجـا» أنفسـهما ملـكين وسـلطانين علـى التوالـي ، وبهـذا بـدأ عهـد «ملـوك الطوائـف» في المنطقـة ، واسـتمرّ حتـى القـرن التاسـع عشـر ، أو عهـد «خـوجلار» (عهـد مشـايخ التصـوف) . وهـي : «الطائفـة العشـقية» ، و«الطائفـة الإسـحاقية» .

(1) قوُتلـوُق قادـرى، ئاپپـاق خوجىنـك جوُڭغارلارغـا تايىنىـپ، سـەئىدىيە دۆلتىنــى، 2013/10/23 www. rf. a. org bugun//.

ودارت حـروبٌ داخليّـة بين «ملـوك الطوائـف» ؛ هَدْفـاً إلـى توسـيع نفوذهـم ، وبسـطِ سـيطرتهم علـى الـبلاد ، أو توحيدهـا تحـت رايـةٍ واحـدةٍ ، إلـى جانـب خوضِهـم حروبـاً مسـتمرّةً وداميّـةً ضدّ غـزو مانجـو ، والجنغـاريين [1] . وقد أسـفَرت تلـك الحـروب عـن تدميـر العديـد مِـن المـدن والقـرى ، وخلّفـت آثـاراً سـلبيّةً علـى الاقتصـاد ، والحيـاة الاجتماعيّـة والثقافيّـة .

وقـد عـاش العلامـة عبـد القـادر – بدايـة عمـره – في عهـد ملـوك الطوائف ، ومِـن ملـوك الطوائـف الموجوديـن في عهـد خمسـة ملـوكٍ علـى ما سـيأتي بيانه .

إمارة «كاشغر» :

بعـد تعاقُـب الملـوك والـسلاطين تِباعـاً علـى عـرش «كاشـغر» ، خـاضَ «صديـق بـك» حروبـاً داميـةً ضـدّ قـوّات «مانجو» ، ثـمّ تُـوّج أميـراً للمدينـة عام 1864 م ، بعـد إعلانـه «كاشـغر» إمـارة .

سـعى «صديـق بـك» إلى تحقيـق الاسـتقرار في الإمـارة ، وتوحيد السـلطنة تحـت قيـادة سـلطانٍ قـوّيٍ مُتمـرِّسٍ ، وهـذا مـا جعلـه يقـوم بدعـوة «بـزروك خان» الابـن الأكبـر لــ «جهانغـر خوجـا»[2] المنفـيّ في «خوقنـد» ؛ للجلـوس علـى عـرش السـلطنة في «كاشـغر» ، وعندمـا وصـل إليهـا ، احتفـى بـه سـكّانها ، وأجلسـوه علـى سـجّادةٍ بيضـاء ، ونصّبـوه سـلطاناً ، وتـمّ توحيـد السـلطنة تحت قيادتـه ، فامتـدّ حكمـه لعـدّة سـنواتٍ ، وتميّـزت السّـلطنة في عهـده بالاسـتقرار والازدهـار[3] .

إمارة «ياركند» :

تـمّ تأسـيس الإمـارة بعـد ثـورة الأهالـي علـى حكـم «مانجـو» ، ونُصِّـب

---

(1) مامۇت غازى، شىنجاڭ تەزكىرىسى 2003 - يىللىق 4- سان.

(2) هـو خوجـه جاهانغرخـان بـن خوجـه صالـح بـن الملـك برهـان الديـن ، وجاهـد ضـد غـزو الصيـنين عـدة مـرات ، حتـى انتصـر ، وأخـذ زمـام الحكـم ، وبعـد سـنتين مـن حكمـه أصبـح أسـيرا بإحـدى غزواتـه ضـد الصيـنين ، فأخذتـه إلـى بـكين وقتـل هنـاك . عبـد العزيـز جنكيزخـان ، تركسـتان قلـب آسـيا ، 128 .

(3) عبد الجليل توران ، الموجز في تاريخ تركستان الشرقية ، ص33 .

«عبد الرحمن حضرت» على العرش بموافقة الأعيان والسادات مِن العلماء والوُجَهاء .

وبعد إعلان الإمارة ، تمّ تحرير عدّة مدنٍ مِن قبضة القوات الوافدة ، وفلول «مانجو» ، مثل : بوسكام وقارغليق وغيرها . ويعدّ ذلك مِن الأحداث الهامّة في تاريخ منطقة «ياركند» .

وقد كان الأمير «عبد الرحمن» مشهوراً بشجاعته وحكمته ، وهذا ما جعل نِضالَه ضدّ الغُزاة يَتكلّل بالنجاح ، ومُواصلة سَعيه في إعادة الاستقرار إلى المنطقة - بعد فتراتٍ طويلةٍ من الاضطرابات والصراعات - مُوفّقاً .

فبعدما تَقلّد إدارة شؤون الإمارة ، انطلَق يهتمّ بتطوير المنطقة ، وتعزيز أمنها واستقرارها ، فازدهر بذلك الاقتصاد ، وتحسّن مستوى المعيشة فيها[1] .

إمارة «كوجا» :

إمارة أسّسها عام 1864 م «راشد الدّين خوجا بن نظام الدّين خوجا» ، يتّصل نسَبه بـ «عرش الدين ولي الله بن مولانا جمال الدّين»[2] .

وقد تمكّن الأمير «راشد الدّين خوجا» من توسيع سلطته بسرعةٍ إلى جنوب «كاشغر وشمال إيلى»[3] ، وانتهى حكمه بغزو «يعقوب بك» كوجا[4] .

---

(1) عبد الجليل توران ، الموجز في تاريخ تركستان الشرقية ، ص36 .

(2) هو عرش الدين بن مولانا جمال الدين ، المشتهر بالعلم والتقوى ، التقى مع الأمير توغلوق تيمور بآقسو ، أصبح بدعوته ووالده تغلوق تيمور ملك خانات الجغاتائية مسلما ، ثم أصبح المغول بسلطته مسلما في عام 756ه الموافق 1355م . ملا موسى سايرامي ، تاريخي حمدي ، 189 . عبد العزيز جنكيزخان ، قلب آسيا ، ص133 .

(3) محمد قاسم أمين ، ملوك الطوائف في تركستان الشرقية ، ص 61 .

(4) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص 592 . عبد العزيز جنكيزخان ، قلب آسيا ، ص136. ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، (ئۈرۈمچى: خەلق نەشرىياتى، 1983م)، 275.

إمارة «ختن» :

أسّسـها المفتـي «حبيـب الله خـان» عـام 1864 م[1] بعـد إطاحتـه بحكـم «آلماس بـك» [2] .

قـام «راشـد الدّيـن خوجـا» بإرسـال رسـالة إلـى المفتـي «حبيـب الله خـان» يطلبـه فيهـا بإطاعـة أميـر كوجـا[3] ، لكنـه رفـض وامتنـع ممّـا أدّى إلـى انـدلاع حـربٍ بينهمـا عـام 1865 م ، وهـزم جيـش «كوجـا» وتراجـع[4] .

وفي عــام 1867 م ، تَـحايل «يعقـوب بـك» علـى أميـر خــتن «حبيـب الله خـان» ومَكَـر بـه بعـد أن ضَيَّفـه ، فقتلـه[5] ، وهكـذا أطـاح بالأميـر ، وبسَـط نفـوذه علـى إمــارته ، وأخضَعها لسـيطرته .

ولــم يكتَـف «يعقـوب بـك» بفعلَتـه الشّـنيعة ، وجريمتـه النّكـراء تلك ، بل راحَ يَعِيـث في «خــتن» فسـاداً ، قـتلاً وتدميـراً وترويعاً ؛ فتسـبّب في إزهـاق أرواح مـا يزيـد عـن 40 ألـف مـن الأبريـاء مِـن سـكّان المنطقـة ، خلال يـومين فقـط .

تعـدّ هـذه المجـزرة المروِّعـة واحـدة مـن أكثـر الأحـداث الدمويّـة في تاريـخ المنطقـة ، ولا يـزال تأثيرهـا علـى السـكان المحليين حتـى اليـوم[6] .

(1) عبد العزيز جنكيزخان ، قلب آسيا ، ص136 .

(2) محمـد أمين بغـرا ، تاريـخ تركسـتان الشـرقية ، ص 608. مۇھەممـەد ئابـدۇللاھ بـەگ ھاجـى، خوتـەن تارىخـى، (خوتـەن ئـىسلام ھۆكۈمىتـى)، (ئىسـتانبۇل: ئامرىـكا ئۇيغـۇر تەتقىقـات مەركـىزى، 2023م) ،س 84.

(3) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص 599 .

(4) محمـد قاسـم أمين ، ملـوك الطوائـف ، ص 75 . مۇھەممـەد ئابـدۇللاھ بـەگ ھاجـى، خوتـەن تارىخـى، (خوتـەن ئـىسلام ھۆكۈمىتـى) ئامرىـكا ئۇيغـۇر تەتقىقـات مەركـىزى، ئىسـتانبۇل: 2023م)، س 88.

(5) مۇھەممـەد ئابـدۇللاھ بـەگ ھاجـى، خوتـەن تارىخـى، (خوتـەن ئـىسلام ھۆكۈمىتـى) ئامېرىـكا ئۇيغـۇر تەتقىقـات مەركـىزى، ئىسـتانبۇل: 2023م) س 94.

(6) عبد الجليل توران ، الموجز في تاريخ تركستان الشرقية ، ص37 .

سلطنة «إيلي» :

ثـار شـعب «إيلـي» بقيـادة عبد الرسـول عبـد الحكيـم وغيـره مـن السـادات[1] ضـدّ النظـام الاسـتبدادي ، فانتُخـب 1865 م ، مِـن قِبَـل السـادات والأعيـان للتربّـع علـى عـرش سـلطنة «إيلـى» ، وبعد اسـتقالته انتخب السـلطان «علاء خان» سلطاناً على السلطنة[2] ، وامتـــدّت أراضـــي الســـلطنة مـــن وادي قـــارا شـــهير في الشـــرق ، إلى نهـر يتسـو في الغـرب ، ومـن مـــوز داوان في جبـال تنغـــري تـاغ في الجنـوب ، إلـى حـوض جونغار في الشـــمال ، كما شـملت وادي إيلـــي بأكمله .

بلغـت مسـاحة الدولـة 180 ألـف كيلومــتر مربــع ، وبلغ تعــداد ســكانها 800 ألــف نسـمة .

ونظـــراً لـــما كانـت تتمتّـع بـه هذه السـلطنة مِن قـوّةٍ نســبيّةٍ حِينها ، أبـــرم «يعقـوب بيـك» اتفاقيـّة سـلام معها ، وفي يونيـــو عام 1871 م ، أرســـلت روسيا القيصريّـة جيشـاً بقيـادة كولباكوفســـكي كأنـه جـراداً في قِوامِـه ، وأسـقط هـذه السـلطنة[3] .

إمارة «قمول» :

لـــمّا بـدأ حكـم «ملـوك الطوائـف» في أَعقـاب حكـم «السـلطنة السـعديّة» ، خضَع أميـر قمـول «عبيـد الله طارخـان بـك» [4] لــ «مانجـو» خوفَـاً مِـن غـزو الجنغـاريين ، ومِـن

(1) شـــرىپ خۇشـــتار، شـــىنجاڭ يېقىنقـــى زامـــان تارىخىدىكـــى مەشـــھۇر شەخســـلەر، (ئۈرۈمچـــى: خەلـــق نەشـــرىياتى، 2000م)، 1/ 17.

(2) شىرىپ خۇشتار، مەشھۇر شەخسلەر، 1/ 22.

(3) محمـد أمين بغـرا ، تاريـخ تركسـتان الشـرقية ، ص 589 . محمـد قاسـم أمين ، ملـوك الطوائـف في تركسـتان الشـرقية ، ص62 .

(4) أطـاع أسـرة تشـينغ في عـام 1697 ، فـعيّن أميـراً مـن الدرجـة الأولـى واحتفـظ منصبـه طارخـان بـك ، تـوفي في عـام 1709م ، وتولـى أولاده جـيلاً بعـد جيـل حتـى انتهـى حكمهـم في 1931م بعـد امتـداد حكمهـم لمـدة 233 سـنة . ليۇزىشـىياۋ، ئۇيغـۇرلار تارىخـى، (ش. خەلـق نەشـرىياتى، 2003م) 937 بـەت.

وقتهـا تـداوَل الحكـمَ أولادُه قرابـة 232 سـنة (1698 م – 1930 م) ، عاصـر العلامـة عبـد القـادر ثلاثـة أمـراء منهـم تربّعـوا علـى عـرش الحكـم وهـم : الأميـر بشـير ، وحكم خلال فتـرة (؟ – 1864 م) ، ومحمـود ، وحكـم خلال فتـرة (1867 م – 1882 م) ، والأميـر شـاه مقصـود ، وحكـم خلال فتـرة (1882 م – 1930 م)[1] .

وبهـذا يكـون العلامـة عبـد القـادر شـهِد فتـرة حكـم آخـر «ملـوك الطوائـف» ، كمـا شـهِد قـدوم «بُـزْرُوك خـان خوجـا» وتوليـه حكـم كاشـغر ، وحـرب «يعقـوب بـك» ضـدّ سـلطنة كوجـا ، وإمـارة ياركنـد ، ومملكـة ختن ، وغيرهـا مـن الحـروب .

2- **الإمارة الكاشغرية التابعة للخلافة العثمانية :**

خاضَـت تركسـتان الشـرقيّة صراعـاً مرِيـراً مع إمبراطوريـة مانجـو وإمبراطوريّة روسـيا القيصريّـة في الغـرب ، والإمبراطوريّـة البريطانيَّـة التـي احتلّـت الهنـد في الجنوب .

وكان مِـن المأمـول في ظـلّ هـذه الظـروف أن تُحقّـق مصالح شـعب تركسـتان الشـرقيّة مِـن خلال إنشـاء دولـةٍ وطنيّـةٍ موحّـدةٍ وقويّة .

وقـد حـاول «راشـد الدّيـن خان» توحيـد جميـع الإمـارات ، إلا أنّ محاولته في إنجـاز هـذه المهمّـة التاريخيـة بـاءَت بالفشـل ، في حين اسـتغلّ «يعقـوب بك» فرصـة غيـاب الملـك «بـزروك خـان» حينمـا كان مسـافراً لأداء فريضـة الحـج ، واسـتولى علـى عـرش إمـارة كاشـغر[2] ، وبـدأ في محاربـة الإمـارات المجاورة ، وضمّهـنّ إلـى سـلطته – باسـتثناء سـلطنة إيلـي – عـام 1875 م ، بعـد حـروبٍ دامـت 12 سـنة[3] .

---

(1) ليۇزنىشـياۋ، ئۇيغـۇرلار تارىخـى، (ش: خەلـق نەشـرىياتى، 2003م)، 938 بەت.

(2) محمد قاسم أمين ، ملوك الطوائف في تركستان الشرقية ، ص91 .

(3) عبد الجليل توران ، الموجز تاريخ تركستان الشرقية ، ص 40 .

بايع «يعقوب بك» عام 1870 م ، الخليفة العثمانيّ «عبد العزيز خان بن عبد المجيد خان» [1] ، ورفع راية الخلافة في مدن تركستان الشرقيّة ، وألقى خُطَباً في المساجد والجوامع باسم الخليفة ، كما نقش الدراهم باسم الخليفة[2] .

انتهى حكم هذه الإمارة بغزو «مانجو» تركستان الشرقيّة ، وبموت «يعقوب بك» عام 1877 م ، في حروبه ضدّ غزاة مانجو [3] .

وحسب معلومات ملا موسى سايرامي[4] ، فإنّ «يعقوب بك» تعرّض للتسميم مِن قِبل أحد الخونة ، وتوفي في طريقه إلى الحرب ضدّ غزاة «مانجو» عند وصوله إلى مدينة كورلا [5] .

3- إمبراطوريّة آل مانجو :

في القرن التاسع عشر الميلادي (1884 م) ، امتدّ نفوذ إمبراطوريّة «مانجو» من الصين إلى أرض تركستان الشرقيّة ، فاحتلّت كامل أراضيها ، وغيّرت اسمها إلى «شينجيانغ» أي : (المحتلة الجديدة) ، وسلكت الإمبراطوريّة في حكمها تركستان الشرقيّة سياسة القمع والاستبداد .

وفي عام 1911 م [6] ، اندلعت ثورةٌ صينيّةٌ أنهت وجود «آل مانجو» فيها ، وقضت على حكمهم الذي امتدّ لفترةٍ زمنيّة أَربَت على 360 عاماً .

---

(1) ملا موسى سايرامي ، تاريخي حميدي ، 417 .

(2) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، 645 .

(3) ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، 403.

(4) هو ملا موسى بن ملا عيسى بن ملا عبد العزيز خان ، أحد المؤرخين المشهورين في تركستان الشرقية ، ومن أشهر مؤلفاته : «تاريخ أمنية» ، و«تاريخ حميدي» ألفه هدية للسلطان عبد الحميد خان ، ولذلك سماه بتاريخ حميدي . شەرىپ خۇشتار، مەشھۇر شەخسلەر، 2/278.

(5) ملا موسى سايرامي ، تاريخي حميدي ، 489م .

(6) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص673 . محمد قاسم ، ملوك الطوائف ، ص 246 .

وبـمُوازاة ذلـك اندلعـت في تركسـتان الشـرقيّة ثـورة «قمـول» في نفس العام بقيـادة «تيمـور خليفـة» ضـدّ «إمبراطوريّـة مانجو» .

4 – **الجمهورية الصينيّة :**

بعـد سـقوط «إمبراطوريّـة آل مانجـو» عام 1912 م ، اسـتمرّ حكـم الجمهوريّة الصينيّـة في تركسـتان الشـرقيّة حتـى ثـار الشـعب التركسـتاني ضـدّ الاحـتلال عـام 1931م ، وأقامـوا «جمهوريّـة تركسـتان الشـرقيّة الإسلاميّـة» بقيـادة العلامة ثابـت داملام عـام 1933 م [1] .

ومِـن خلال الأحـداث التاريخيّـة التـي عرضناهـا ، نـرى أنّ العلامـة عبـد القـادر عاصَـر فتـرةً تاريخيّـةً مليئـةً بالاضطرابـات السياسـيّة ، والحـروب الداميّة للاسـتيلاء علـى السـلطة ، وكان أشـدّها إيلامـاً ومَـرارةً آخرهـا ؛ حين سـيطر الغـزاة علـى أرض تركسـتان الطيّبـة ، واحتـلّ الأجانـب أقصـى ثغـور المسـلمين في الشـرق ، ومارسـوا ضغوطاتهـم السياسـيّة ، ممّـا أثّـر سـلباً علـى المسـلمين ، سياسـيّاً ، واجتماعيّـاً ، واقتصاديّـاً ؛ حيـث تعرّضـوا للاسـتغلال ، والظلـم ، والتهميـش ، وهـذا مـا جعـل الحاجـة لتحريرهـم ، وتطويـر حياتهم أكثـر إلحاحاً .

ولـم تقتصـر تلـك المَآسـي والفواجِع على تركسـتان الشـرقيّة فحسـب ، بل كانـت حالـةً تسُـود معظـم بلاد المسـلمين مَطلـع القـرن التاسـع عشـر ، حيـث عانـت بلاد المسـلمين وَيلاتِ الاسـتعمار الأوروبـي ، وتجرّعـت بمـرارةٍ ممارسـاتِه مِـن إقطاعيّـةٍ ، وتهميـشٍ ، وإفقـارٍ .

وذلـك الوضـع الفاقِـم هـو مـا جعـل حاجـة المسـلمين لتحريرهـم ، وتطويـر بلدانهـم ملحّـة في ذلـك الوقـت ، دفعتهـم إلـى العمـل والسـعي في تحقيـق ذلـك عبـرَ حـركات وطنيّـة وإسلاميّـة واجتماعيّـة ، وكـذا مـن خلال التعليـم ، والتنميّـة الاقتصاديّـة ، والثقافيّـة .

وبعدمـا عايـنَ العلامّـة عبـد القـادر الأحـداث المؤلمـة في مجتمعـه ، فكَّـر

(1) محمد قاسم ، ملوك الطوائف ، ص249 .

في مستقبل قومه ، ووضع بلاده ، فانطلق يسعى إلى تحريرهم ، مركّزاً على ترسيخ الجانب العقَدي وتقويته في النفوس ؛ وتمثيله في واقع الحياة ؛ لأنّ تحرير المعتقَد مّما يُقوّض أركانَه ، أو يُضعِف جوانبَه ، عاملٌ أساسيّ في تحرير الأوطان ، والاستخلاف في البلدان ، قال تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [سورة النور/ آية : 55] .

كما أدرك العلامّة عبد القادر الحاجة الماسّة إلى نشر التعليم ، وتعزيز الوعي الدينيّ لدى الناس ، تطبيقاً لأحكامه ، واتّباعاً لشريعته وهديه ، وتمسكاً بقِيَمه ومُثُله ؛ ليتمكّنوا مِن التّحرّر ، وليُحقّقوا التطوّر الشامل في حياتهم .

ب – الحالة الاجتماعيّة :

تسبّبت الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة التي شهدتها المنطقة ، في تشكُّلِ مجتمع تركستان الشرقيّة بصورٍ مختلفةٍ مِن خلال تبادل السلطة والحكم بين الحكام المحليّين والأجانب .

ويمكن القول بإنّ تكوين المجتمع في عهد «ملوك الطوائف» ، اختلف عن تكوينه في عهد «يعقوب بك» ، حيث تألّف المجتمع في عهد «ملوك الطوائف» مِن الملك ، والوزراء ، وشيخ الإسلام ، والقضاة ، والعلماء ، والصوفيّة ، والدراويش ، والتّجار ، والصنّاع ، والفلاحين ، بينما تشكّل في عهد «يعقوب بك» مِن الخلفية ، وأمير الإمارة الكاشغريّة ، وشيخ الإسلام ، والعلماء والصوفيّة والزهاد ، والتجّار ، والصنّاع ، والفلاحين .

كما تميّز عصر «يعقوب بك» بالتطور العمراني ، والاقتصادي ، والعِلمي ، والثقافي ، وحافظ على السلام ، والأمن ، والرخاء ، والاستقرار

السياسـي [1] . فتـمّ إنشـاء المسـاجد ، والمـدارس ، والحمامـات ، والفنـادق ، والمستشـفيات ، وعُبِّـدَت الطـرق في جميـع بلـدة «كاشـغر» . كمـا شُـيّدت المصانـع للأسـلحة المتقدّمـة ، والمدفعيّـة ، والذخيـرة ، ممّـا سـاعد علـى تحقيـق التقـدّم والازدهـار في هـذه الفتـرة [2] .

كمـا اتّسَـمت تلـك الفتـرة بتوحيـد الشـعب تحـت رايـة «الخلافـة العثمانيّـة» ، واحتـرام الحقـوق الدينيّـة والمذهبيّـة ، والتعايـش بينهمـا دون إجبارٍ أو إكـراهٍ ، وتجلّـى هـذا الأمـر واتّضـح في إقامـة الصينـيين والمغـول شـعائرهم الدينيّـة بكامـل الحريّـة ، وعـدم التفريـق بين الجيـوش بسـبب اختلافاتهـم الدينيّـة ، أو المذهبيّـة [3] .

وبِـمُوازاة ذلـك شـهِدت تلـك الفتـرة بعـض السـلبيّات ، كالتفريـق بين الأجنـاس في توليـة المناصـب العليـا ، وفي الإعفـاء مِـن الضرائـب [4] ، في الوقت الـذي تَفَشّـت فيـه الجبايـات والإتـاوات ، وتـمّ إجبـار بعـض الأقـوام – في بعـض الأحيـان – علـى العمـل الشـاقّ بـدون أجـرٍ [5] .

ثـمّ مـا لبِـثَ الوضـع حتـى تغيّـرت الحالـة الاجتماعيّـة في المنطقـة بعـد سـقوط «الإمـارة الكاشـغريّة» أمـام غـزو «إمبراطوريّـة مانجـو» ، حيـث تشـكّل المجتمـع مِـن منـدوب عـامّ مـن «إمبراطوريّـة مانجـو» ، والـولاة والحـكام مُنافسـةً بينهـم وبين المحلـيين ، وشـيخ الإسلام ، والقضـاة ، والعلمـاء ، والصوفيـة ، والتجّـار ، والحرفـيّين ، والـفلاحين .

وانتشـر حينهـا الظلـم والاضطهـاد بين حـكام «إمبراطوريّـة مانجـو» ، ولـم تشـهد الـبلاد مِـن جنوبهـا إلـى شـمالها في تلـك الـحِقبَة ، أيّ تطـوّرٍ عمرانـيّ

(1) ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، 279.

(2) ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، 305.

(3) ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، 303.

(4) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، 659 .

(5) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، 660 .

أو مدنـيّ ، ممّـا أدى إلـى الجمـود ، والركـود ، والتخلـف ؛ حتـى أصبـح الأمـر سياسـةً ثابتـةً اعتمدتهـا الحكومـات ، ونفّذَهـا الـولاة في ذلـك الوقـت [1] .

ج- الـحالة العِلميّة :

مـع مـا كان يتّسـم بـه القَـرن الـذي عـاش فيـه العلامـة عبـد القـادر مِـن جمـودٍ فكـريّ ، واسـتمرار التعليـم التقليـديّ ، إلا أنّـه كان إيذانـاً بانطلاقـةٍ مباركـةٍ لِـمَسِيرة تعليـم جديـد ، وانفتـاح علـى مناهـج تعليميّـة جديـدة - خاصّـة في آخـر حيـاة الإمـام عبـد القـادر - وإن لاحَـت بِـخُطى مُـحتَشِمةٍ ، وبدايـاتٍ متواضعـةٍ .

ففـي هـذا العصـر ، بـدأ التعليـم الـجديد يَنسـابُ إلـى المجتمـع رُوَيْـداً رُوَيْـداً ، كمـا أَخـذتِ الأفـكار التقدّميّـة تـخُطّ طريقهـا ولـو بشـكلٍ محـدودٍ إلى المجتمـع ،لكنّهـا لـم تكـن محـلَّ قبـولٍ تـامٍّ مِـن المجتمـع ، ولـم تَـحظَ باهتمـام النّـاس ، خاصّـة مـا كان منهـا مُتعلّقـاً بمنهـج التعليـم الجديـد ، إذ لقِـي مُعارضـةً شـديدةً ، ومُقاومـةً عنيفـةً مِـن بعـضِ الـمُتَشبِّعين بالفكـر التقليـدي السّـائد آنـذاك ، حيـث مانَعُـوا التّجديـد ، ورأوا أنْ يَبقـى كلّ قديـم علـى قِدَمـه ، وكأنّ شِـعارهم في ذلـك : «ليـس في الإمـكان أَبـدعَ مّمـا كان» ، ولعـلّ عُذرهـم في ذلـك ، خَشـيَتهم مِـن الإقـدام علـى تجديـد كلّ مـا لـه علاقـة بالدّيـن .

ويمكننـا أن نُلخّـص الحالـة العلميّـة في عصـر العلاّمـة عبـد القـادر فيمـا يلـي :

- افتتـاح المـدارس الدينيّـة ، وترميـم المـدارس القديمـة إبّـانَ فتـرة حكـم ملـوك الطوائـف و«يعقـوب بـك» ، وامتـداد عطائهـا طِيلـة حيـاة الإمـام ، حيـث انحصَـرت سِياسـة الـحكّام آنـذاك في الثّبـات علـى الاسـتقرار السياسـيّ ، فلـم يتعرّضـوا للعلمـاء ، ولا تَدخّلـوا في شـؤون الأراضـي الوقفيّـة التـي أُوقِفـت علـى الأَعمـالِ الـخيريّة ، مِـن نفقات طلبـة العلم ، ومصاريـف دُور العبادة - المسـاجد والجوامـع - ، واحتياجـات الآرامـل واليتامـى ، عكـس مـا كانـت تنتهِجُـه

(1) يالقۇن روزى، ئابدۇقادىر داموللام، 137 .

الحكومـات السـابقة مِـن الإفـراط في اسـتخدام القـوّة السياسـيّة ، اضطهـاداً وقَمعـاً للشـعب .

– ترجمـة بعـض الكتـب الغربيّـة (الأوروبيّـة) إلـى اللغـة الأويغوريّـة للمرّة الأولـى في تاريخ تركسـتان الشـرقيّة .

– إدخـال التّطبيـب الأوروبـي في الـبلاد عبـرَ المبشّـرين عـام 1894 م ، حيـث تـمّ افتتـاح المشـافي مثـل مستشـفى «كاشـغر» [1] ، ومستشـفى «ياركنـد» ، ومستشـفى «ينـي حصـار» ، وغيرهـا ، الأمـر الـذي سـاعد في علاج بعـض الأمـراض المنتشـرة [2] .

– اهتمـام السـلاطين بالزخرفـة الإسلاميّـة ، والخطـوط العربيّـة ، واسـتخدامهما في نسـخ المصاحـف ، وبنـاء المسـاجد والمنشـآت الأخـرى ، ويتّضـح ذلـك الاهتمـام مِـن خلال المسـاجد والمقابـر التـي شُـيِّدت في تلـك الفتـرات ، سـواء علـى نفقـات الحـكام أو بدَعـمِ الأثريـاء .

– إدخـال تقنيـة الطباعـة ، ونشـر الكتـب باللغـة الأويغوريّـة ، سـواء كانـت تلـك الكتـب دينيّـة ، أو كتبـاً تعليميّـة جديدة .

– إدراج مـوادّ دراسـيّة جديـدة في المناهـج التعليميّـة التقليديّـة ، مثـل اللغة الأويغوريّـة ، والرياضيـات ، والجغرافيـا ، والتاريـخ القومـي ، وطـرق التدريـس ، والرسـم ، والموسـيقى ، والرياضـة ، والفضـل يعـود في ذلـك – بعـد الله تعالـى – إلـى العلامـة عبـد القـادر ورِفاقـه مِـن العلمـاء المتقـدِّمين المتنوِّريـن .

– تأسـيس مـدارس جديـدة – في نهايـة القـرن التاسـع عشـر – تركّـز علـى العلـوم إلـى جانـب العلـوم الشـرعيّة ، مثـل مدرسـة «حسـينية ، ومدرسـة طـاش آخـون [3] ، ومـدارس مطلـع الهدايـة» التـي تأسسـت علـى يـد العلامـة عبـد

(1) John hultvall, 1981, mission and revolution in central asia, p.9.

(2) John hultvall, 1981, mission and revolution in central asia, p.6.

(3) يالقۇن روزى، مەمتىلى ئەپەندى، س 5. يالقۇن روزى، تاشاخۇنۇم ۋە ئۇنىڭ تۆھپىكار ئەۋلادلىرى،س 24.

القـادر في «كاشـغر» ، وانتشـرت فروعهـا في ختن وكوجـا ، وطورفـان وأرتـوج [1] .

– مسـاهمات المجتمـع المدنـي الفَاعلـة – وبالأ خـصّ أهـل اليَسـار والغنـى – في الحركـة العلميّـة والفكريّـة ، واتّخـذَت تلك المسـاهمات شـكلين :

أ– التنافـس في التبرعـات ، دعمـاً للعلمـاء وطلاب العلـم ، والأمـر ذاتُـه في إنشـاء الأوقـاف ، وبنـاء المـدارس والجوامـع ، وتمويلهـا ، وتعـدّ بعـض الشـخصيات مثـل «حـسين بـاي بـن موسـى ، وشـقيقه بهـاء الدّيـن بـاي» أمثلـةً بـارزةً علـى جهـود العطـاء الخيـريّ [2] .

ب– ابتعـاث الـطلاب إلـى دول أجنبيّـة ؛ للاطلاع علـى إنجـازات حضاراتها في المجالات المَتعـدّدة ، وتــمّ هـذا الأمـرً بإِيعـازِ العلماء إلى رجـال الأعمال .

– تزايـد أعـداد العلمـاء المتميّزيـن في مختلـف المجالات : الثقافيّـة ، والعلميّة ، والعمرانيّـة ، والسياسـيّة ، وتميّزهـم بمسـاهماتهم القيّمـة في تطويـر الـبلاد ، وتَحـسين ظروفها .

– التركيـز علـى العلـوم العسـكرية المرتبطـة بالشـؤون الحربيّـة ، خاصّـة في عهـد إمـارة كاشـغر [3] ، والعلاقـات السياسـيّة والإداريّـة بالـدول الخارجيّـة [4] .

(1) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، 690 .

(2) يالقۇن روزى، ئـاكا ـ ئـۇكا مۇسـاباييفلارنىڭ توققۇز چـوڭ تۆهپىسـى، ش مەدەنىيتـى، 2011ـ يىللىـق 5 ـ سـان.

(3) ئا. ن. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، 295.

(4) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص645 .

تكوينه المعرفي ، ورحلاته العلميّة

نشأ العلامة عبد القادر في بيت عِلمٍ ، فقد كان والده مشهوراً بالعلم والمعرفة .

أمضى طفولته في مسقط رأسه ، وتلقّى تعليمَه الأَوَّلي على يد والده ، ثم التحق بأشهر مدارس المقاطعة ، مدرسة «السلطان» الـمُشيَّدة بجانب ضريح السلطان «عبد الكريم سطوق بغراخان» [1] ، السلطان الثالث للإمبراطورية القاراخانية ، وشيخه أبي نصر الساماني .

ونظراً لسُمعة هذه المدرسة – سواء بين الحكام أو الشعب – ومكانتها العاليّة ، تعاقَب أبرز علماء المقاطعة على إدارتها ، والتدريس فيها .

قضى فيها العلامة عبد القادر سنواتٍ عديدةً طالباً للعلم ، إلى أن ارتحل إلى مدينة «كاشغر» ؛ ليلتحق بأشهر مدارسها ، وأعرَقها في كلّ تركستان الشرقيّة ، مدرسة «خانليغ» (المدرسة الملكيّة) ، التي كانت قِبلةَ طلاب العلم ، ومَقصِد العلماء الكبار ، ومنبعاً للعلم والمعرفة ، مكث في هذه المدرسة المباركة يتحلّى بأخلاق أنـجُمها الزواهِر ، ويَنهَل مِن منابعها الصافية ، ويَعُبّ مِن مَعارفها النقِيّة في صُنوفِ العلوم الشرعيّة ، واللغويّة ، والأدبيّة مِن تفسيرٍ وحديثٍ وعلومهما ، وعلم القراءات والتجويد ، والفقه وأصوله ، وعلم الكلام والمنطق ، والأدب العربي والفارسي ، وعلم العروض والقوافي وغيرها .

وتَبدَّت جليّاً رِعاية شيوخ العلامة عبد القادر ، واعتنائهم به في

(1) ستوق بغراخان هو : السلطان عبد الكريم سطوق بغراخان (توفي عام 955 م) الثالث من حكام الإمبراطورية القراخانية ، تولى الحكم في 934م . فهو يعد من أول ملوك اعتنق الإسلام من ملوك الأتراك ، فهو أسلم في عام 323 هـ ، وأسلم بإسلامه 200,000 ألف عائلة ، يعني قرابة المليون شخص ، وأعلن الإسلام دينا رسميا للدولة . محمد أمين بوغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص207 . يلماز ، تورنا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط1 . (إسطنبول : مؤسسة فيصل ، 1988م) ، 1/46 .

رُسـوخه العلمـيّ ، ونُبُوغـه الفكـري ، وتكوينـه الأدبـي ، حتـى أصبـح مِـن أبـرز شـعراء الأدب الأويغـوري الكلاسـيكي ، كتَـب العديـد مِـن القصائـد والمنظومـات الشّـعرية التـي حَظِيـت بشـهرةٍ واسـعةٍ في الأوسـاط الأدبيّـة الأويغوريّـة بأسـلوبها المتميّـز الرفيـع ، وحَبكِهـا البديـع .

ومِـن أهـمّ أعمالـه الشـعريّة : «تسـهيل بـدء الأمالـي» ، و«المخمـس» ، و«محادثـات الفواكـه» ، وغيرهـا مِـن القصائـد التـي تتنـاول مواضيـع مختلفـة ، دينيّـة ، واجتماعيّـة ، وسياسـيّة ، وثقافيّـة .

وبعـد أن اسـتَكفَى العلامـة عبـد القـادر مِـن علـوم مشـايخ بلادِه ، شـدَّ – لأوّل مـرّةٍ – الرِّحـالَ إلـى خـارج الـبلاد – كعـادة العلمـاء – ، مُتوجِّهـاً صَـوبَ «بخـارى» طلبـاً للاسـتزادة مِـن العلـم والمعرفـة ؛ لتوسـيع آفاقـه العلميّـة ، ولإنـماء حياتـه الثقافيّـة والفكريّـة ، والحصول علـى تعليـم أفضـل في المجالات التـي كان يهتـمّ بهـا ، وقـد ينضـاف إلـى هـذه الدوافـع عامـلٌ آخـر حسـب رأي بعـض الباحـثين [1] – لا يمكـن اسـتبعاده – حَمَلـه علـى رحلتـه تلـك ، وهـو الوضـع السياسـي الصعـب الـذي كانـت تُعانِيـه تركسـتان الشـرقيّة .

وعندمـا حـلّ بــ «بخـارى» التحـق فيهـا بمدرسـة «عبـد العزيـز خـان» ، وكانـت مدرسـة معروفـة بجـودة تعليمهـا ، وشـهرة أسـاتذتها ، درّس فيهـا عـددٌ كبيـرٌ مِـن علمـاء الإسلام المشـهورين ، ممّـا جعلهـا مركـزاً رئيسـياً للدراسـة والعلـم في «بخـارى» ، واسـتقطاب العديـد مِـن الـطلاب مـن جميـع أنحـاء وسـط آسـيا .

اسـتفاد العلامـة عبـد القـادر أثنـاء فتـرة دراسـته في هـذه المدرسـة ، مِـن تعليمـات علمائهـا الكبـار ، وانفتَـح ذِهنـه عـن موضوعـاتٍ دينيّـةٍ جديـدةٍ ، وفكريّـةٍ مختلفـةٍ ، ودرس بتعمّـقٍ كتـب شـيخ الإسلام ابـن تيميـة ، وتلميـذه النابغـة العلامـة ابـن القيـم ، وغيرهمـا مِـن علمـاء الإسلام ، كمـا توسّـع في العلـوم الشـرعيّة ، واللغـة العربيّـة ، والفارسـيّة ، والأرديـة وآدابهـا ، وتعـرّف

(1) ئابدۇرەھىم سابىت، ئابدۇقادىر داموللام ۋە مىفتاھۇل ئەدەب، 1992.

بمؤلفات روّاد أدباء المشرق الإسلامي ، كما تعرّف وتعمق بأفكار فلاسفة الإسلام مثل الفارابي ، وابن سينا ، والتفتازاني[1] فأصبح أحد علماء عصره ، ومفكر زمانه في آسيا الوسطى ، إضافة إلى تعلّمه علم الرياضيات والجغرافيا .

كما أقام – أثناء فترة إقامته بـ «بخارى» – علاقاتٍ عميقةً مع كبار المفكرين والمصلحين من جميع أنحاء العالم ، أمثال الشيخ محمد عبده ، وجمال الدّين الأفغاني ، ومولانا أنور شاه الكشميري ، وتأثر بأفكارهم الإصلاحية الحديثة ، كما عقَد مع زملائه – أمثال رضاء الدّين فخر الدّين ، وموسى جار الله ، وأحمد فريدي عباس وغيرهم – مناقشاتٍ عِلميّةً مستمرّةً في القضايا التي تواجه الأمّة الإسلاميّة ، والتخلّف الذي وقعت فيه الأمّة الإسلاميّة في العصور المتأخّرة عامّة ، وفي وسط آسيا خاصة [2] .

وبعد استكمال دراسته في «بخارى» انتقل منها إلى «سمرقند» ، واشتغل فيها بالتعليم والتدريس والتأليف ، وهناك ألّف كتبه : «العقائد الضروريّة» ، و«العبادات الإسلاميّة» ، ووضعهما ضمن المناهج المقرّرة في المدارس الشرعيّة الابتدائيّة .

وبعد أن أقام سنواتٍ عديدةً في رحلته تلك ، والتي لم يتمّ الكشف – بشكلٍ دقيقٍ –عن تاريخ بدئها ،لكن كلّ مَن ترجم له يؤكد أنها كانت قبل عام 1900 م ، بناء على تاريخ عودته منها إلى «كاشغر» عام 1900 م ، ومكوثه للتدريس في إحدى مدارسها .

وفي عام 1906 م – أي بعد إقامته قرابة ستّ سنوات – ، شدّ الرِّحال ، وحمَل عصا التَّرحال للمرّة الثانية إلى «تركستان الغربيّة» ، وزار في رحلتِه هذه العديد مِن البلدان والأوطان ، مبتدئاً بـ «بخارى» ، و«طشقند» ، و«سمرقند» ، قبل أن يتوجّه إلى الحجاز ؛ لأداء فريضة الحج ، وبعد أداء

(1) العلامة عبد القادر ، بيان حقيقت ، مجلة شورى ، 1915 ، العدد 1 ، ديكابر .

(2) يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى ـ ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيىتى ژۇرنىلىنىڭ 2010 ـ يىللىق 5 ـ سانى.

المناسـك ، زار «إسـطنبول» عاصمـة الخلافـة العثمانيـة ، وحاضـرة العالـم الإسلامـي ، ثـم توجّـه منهـا إلـى «مصـر» حيـث قـام بمتابعـة أحـوال العالـم الإسلامـي ، وخلال فتـرة إقامتـه بهـا ، التقـى بالمفكريـن الكبـار ، كالشـيخ رشـيد رضـا ، ومصطفـى كامـل باشـا ، وشـارك في تحريـر مجلـة المنـار ، ومجلـة المعهـد الدينـي [1] .

وقـد اسـتفاد العلامـة عبـد القـادر كثيـراً مِـن هـذه الرحلـة في تطويـر معارفه العلميّـة والفكريّـة ، حتـى اسـتكملها ، ولـذا نـراه يقول عن نفسـه :

أنـا الـذي الصـدق والآداب مِـن شِـيَمي
جـودي ومجـدي دلـيلان علـى شـرفي
أدنـى شـمائل الإحسـان والكـرم
الـرأي والحـزم والإيقـان يعرفنـي
والعلـم والـذوق والعرفـان والحكـم

يشـير في هـذه الأبيـات الموجـزة إلـى تميّـزه في المعرفـة ، والحكمـة ، والسـلوك بين المجتمعـات العلميّـة والعامّـة ، وأنـه طموحـه في إصلاح المجتمـع الإسلامـي الـذي يعيـش فيـه كان عاليـاً ، كمـا كان متحمسـاً جـداً في التضحيـة بنفسـه ، وثروتـه مِـن أجـل تحقيـق هـذا الهـدف ، وقـد ترسّـخت في شـخصيته صفـات الكـرم ، والتضحيـة ، والتطلّـع إلـى معالـي الأمـور ، بحيـث أصبحـت جـزءاً لا تتجـزأ مِـن روحـه .

بعـد تطـواف الإمـام عبـد القـادر في هـذه الرحلـة الاستكشـافيّة ببعـض بلـدان العالـم الإسلامـي عـاد الـى «كاشـغر» عـام 1907 م ، فبـدأ مسـيرته الإصلاحيـة ، بـإصلاح قطـاع التعليـم ، حيـث شـجّع علـى فتـح مـدارس جديـدة تعليميّـة تتضمـن التعليـم العصـري إلـى جانـب التعليـم الشـرعي ؛

(1) الإنديجانـي ، منصـور بـن عبـد الباقـي ، علمـاء مـا وراء النهـر المهاجريـن للحـرمين ، ط1 . دار الميـراث النبـوي للدراسـات ، 1434م ، ص122 .

قصد تأهيل الطلاب للعمل في المجالات الحديثة ، وتطوير المجتمع بشكلٍ عامّ ، وعدم الاعتماد على المناهج الفلسفية اليونانية العقيمة ، فقد كان علم الفلسفة والمنطق هو السائد على الأوساط العلميّة ، في كلّ وسط آسيا .

وقد أثارت أفكار الإمام عبد القادر جدلاً واسعاً بين علماء ومثقّفي ذلك الوقت ، الأمر الذي جعله لا ينجح في تحقيق مُبتغاه ، بسبب تلك العوائق والحواجز التي وضعها علماء متشددون ، مؤيّدون للمنهج التقليدي ، حيث ازدرَوا فكرَ الإمام عبد القادر الإصلاحي ، ومنهجه التعليمي ، شأنهم في ذلك ، شأن علماء بخارى تماماً .

يقول مراد رمزي متأسّفاً على هذه الحالة : فإنا نرى في زماننا كثيراً مِن الفضلاء يحصِّلون العلوم الدينيّة في الحرمين الشريفين ، وفي مصر ، وبعد الرجوع إلى بلدهم لا يشتغلون بنشره ، بل يشتغلون بنشر السّفسطة على عادة مدرّسي تلك البلاد [1] .

وعبّر العلامة عبد القادر عن استيائه مِن الحالة التعليمّية في بلاده ، في مقدمة كتابه «مفتاح الأدب» حيث شكا من عدم اهتمام الطلاب بالأدب العربي وأصوله ، حيث يمضون عمرهم الدراسي في الخوض في مقدِّمات منطقيّة ، وفلسفية يونانية موهومة ، ويرى أنّ هذا الانغماس العميق لم يثمِر إلا تأخّراً ، وفتوراً ، وذهولاً ، وذلّة للأمّة ، فإنّ الطلاب يُحرَمون من دراسة العلوم الأساسية كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، كما قال القائل[2] .

كلّ العلوم سوى القرآن مشغله
إلا الحديث والفقه في الدين

(1) مراد رمزي ، تلفيق الأخبار ، 2/420 .

(2) القائل : العلامة الشافعي رحمه الله .

العلـم مـا كان فيـه قـال حدثنـ

ومـا سـوى ذاك وسـواس الشـياطين[1]

وهـذا مـا دفعـه أن يرتحـل منهـا إلـى تركسـتان الغربيّـة عـام 1909 م ، وتجوّل في مدنهـا كـ «قوقنـد» ، و«طشـقند» ، و«بخـارى» ، و«سـمرقند» ، وغيرهـا ، وكتـب كتابيـه «جواهـر الإيقـان» ، و«مفتـاح الأدب» ، فنشـرهما .

وفي عـام 1911 م ، جـاء إلـى مدينـة «غـولجا» الواقعـة بشـمال تركسـتان الشـرقيّة عبـر ألماتـا ، واسـتقرّ فيهـا فتـرةً وجيـزةً ، عمـل خلالهـا في الإصلاح التعليمـي ، في إطـار جهـوده التـي كان يبذلهـا لإصلاح المجتمـع ، ورفـع مسـتوى تعليمـه وثقافتـه ، فاقتـرح تطويـر التعليـم الإسلامـي ودمـج العلـوم الحديثـة بالعلـوم الشـرعيّة ، حيـث كان يـدرك - رحمـه الله - أنّ الحجـر الأسـاس لإنقـاذ شـعبه مِـن قهـر الظلـم والاسـتبداد ، هـو إدخـال التعليـم العصـري في المـدارس التقليديّـة ، أو فتـح مـدارس جديـدة للتعليـم العصـري بجانـب التعليم الشـرعي ، فقـام بتأسـيس مدرسـةٍ حديثـةٍ تجمـع بين العلـوم الشـرعيّة ، والتعليم العصـري بدعـم مالـيّ مِـن موسـى بـاي ، وشـقيقه بهـاء الدّيـن بـاي أشـهر رجـال الأعمـالً في ذلـك الوقـت ، - كمـا طبَـع بمسـاعدته كتبـه العديـدة في «مطبعـة خورشـيد» و«مطبعـة نـور» ، ووزّعهـا علـى الـطلاب مجانـاً - .

وتميّـزت هـذه المدرسـة بأسـلوبها التعليمـي الحديـث ، حيـث تمّ فيهـا تدريـس العلـوم الشـرعيّة ، واللغـة العربيّـة إضافـةً إلـى العلـوم الدنيويّـة مثـل الرياضيـات ، والفيزيـاء ، والكيميـاء وغيرهـا مِـن العلـوم ، وتعـدّ هـذه المدرسـة مِـن أوائـل المـدارس النموذجيّـة للتعليـم المتكامـل الـذي يجمـع بين العلـوم الشـرعيّة ، والعلـوم الحديثـة ، في تركسـتان الشـرقيّة .

واصـل الإمـام عبـد القـادر عـام 1912 م [2] ، مسـيرته الإصلاحيّـة ، وحركتـه التجديديّـة ، موليـاً وجهتـه إلـى «كاشـغر» ، بهـدف تنشـيط التعليـم

(1) العلامة عبد القادر ، مفتاح الأدب ، ص37 .

(2) باتۇر روزى، ئابدۇقادىر داموللام، ب. 7.

الجديد فيها، فحاول تنفيذ سلسلةٍ مِن الإصلاحات في طرائق التدريس، ومحتواه، وكذا المواد التعليمية، ففتح أوّل مدرسةٍ حديثةٍ في كاشغر [1]، وألّف العديد من الكتب المدرسيّة، وأدخلها في المدارس، منها: «بداية الصرف»، و«علم النحو»، و«تسهيل الحساب»، و«الجغرافيا»، و«مطالعة هداية»، و«تعليم الصبيان»، و«النصيحة للأطفال»، و«العقائد الضرورية».

وطبع كتبه: «بداية الصرف»، و«بداية النحو»، و«تسهيل الحساب» في مدينة «قازان» بمساعدة نوروز زاده محمّد علي، والحاج محمّد علي مِن تجار «كاشغر»، وأرسل هذه الكتب إلى كاشغر [2].

وأثناء هذه الفترة تولّى العلامة عبد القادر صدارة الفتوى، فأفتى بجواز، بل بضرورة تعليم العلوم العصريّة، ووجوب الاشتغال بها.

يقول أحمد كمال في مذكراته: «كان المفتي الكبير، والشيخ الفاضل العلامة عبد القادر والدي الرّوحي، لقد كان عالماً فاضلاً وعبقريّاً، أصدر فتوى لأوّل مرّةٍ في هذا البلد بجواز الدراسة في المدارس الحديثة، بل هي ضرورة فرضية» [3].

أسّس العلامة عبد القادر «الجمعيّة الإسلاميّة»، باشتراك كلٍّ مِن شيخ الإسلام الملا إسلام داملام، وبهاء الدّين داملام الملقب بسلطان العلماء، وأبي القاسم داملام، وعبد الغفور مخدوم وغيرهم مِن أعلام

---

(1) ئىبراھىم نىياز، ئاتۇش ناھىيە ئىكساق كەنتىدە يېقىنقى زامان پەننى مائارىپنىڭ دۇنياغا كىلىشى، شىنجاڭ تارىخى ماتىياللىرى (خەلىق نەشرىياتى، 1984)، 13/ 83. ئىبراھىم مۇتئى، مەرھۇم مەرىپەتپەرۋەر مەخسۇت مۇھىيتى توغرىسىدا ئەسلىمە، شىنجاڭ تارىخى ماتىياللىرى، (خەلىق نەشرىياتى،1984) 13/100. ئابدىرىھىم توختى، قەشقەرنىڭ يېقىنقى ۋە ھازىرقى زامان مائارىپ تارىخى، (قەشقەر: ئۇيغۇر نەشرىياتي، 1986)،س 22.

(2) يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى ـ ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنلىنىڭ 2010ـ يىللىق 5ـ سان.

(3) يالقۇن روزى، يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى ـ ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنلىنىڭ 2010ـ يىللىق 5ـ سانى

كاشغر [1] ، فتعاونوا معه ، وأيّدوه في فكرة التعليم الجديد ، فانضمّ إلى تأييدهم أحمد كمال القادم مِن تركيا بطلبٍ مِن موسى باي ، وباشر التدريس العصري في مدرسة «إسحاقية» في أرتوج .

وبسبب ضغط المعارضين للمنهج الجديد ، غادر الإمام عبد القادر «كاشغر» مرّة أخرى – وهي رحلة الثالثة والأخيرة – قام خِلالها بالتّطوافِ في بلدانٍ متعدّدةٍ ، كإسطنبول ، ومصر ، كما قام بزيارة مدنٍ ومناطقَ مختلفة مِن روسيا ، منها : قازان ، وأوفا ، وشاماي ، وغيرها من المدن الواقعة في جبال أورال .

وقد التقى في رحلته بالعلماء والمفكرين والمصلحين ، وناقش معهم قضايا الأمة ، وختم تطوافه بزيارة مكة المكرمة ، وأداء فريضة الحج للمرّة الثانية [2] .

وقد تركزت هذه الفترة مِن حياة الإمام عبد القادر على دراسة التغيّرات السياسيّة في دول آسيا الوسطى ، وتحليل أعمال المجموعات السياسيّة المختلفة ، وتوضيح حقيقة الثورة البلشيفيّة ، وبعد تحليل البيانات ، والوقوف على الأعمال ، وإدراك الأهداف ، تمكن مِن توضيح حقيقة تلك الثورة .

وبعد أن رسّخت الثورة البلشيفيّة أقدامها في الأراضي الروسيّة ، عام 1921 م ، وتمّ الاعتراف بها مِن قِبَل الدول الكبرى في العالم ، أدرك العلامة عبد القادر مِن هذه التغيرات أنّ مقاطعات آسيا الوسطى الخاضعة لسلطة البلاشفة تتغيّر بشكلٍ متسارعٍ ، فعاد إلى «كاشغر» عام 1921 م ، بعد أن أمضى ثلاث سنوات مِن عامٍ (1918 م إلى عام 1921 م) ، في استكشافاته

(1) يالقۇن روزى، يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى ـ ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنلىنىڭ 2010 ـ يىللىق 5 ـ سانى

(2) ئابدۇرەھىم سابىت، ئابدۇقادىر داموللام ۋە مىفتاھۇل ئەدەب، 1992.

العلميّة [1] .

ولم تخلُ رحلات العلامة عبد القادر الممتدة لسنواتٍ عديدةٍ عن التفكير في مصير بلاده ، بل كان يلاحظ ويفكّر بشكلٍ دائم في مصير شعبه ووطنه ، حتى عاد إلى بلدته «كاشغر» ، وبعد وصوله إليهاً ، لاحظ أنّ حِدّة تعصّب العلماء للمنهج التقليدي بدأت تخفِت ، وأنّ مواقِفهم التشدّديّة أخذت تقلّ ، حيث أدركوا أهميّة العلوم الحديثة ، وضرورة إدراجها في المناهج الدراسيّة ، ولذا تمّ تعيينه عضواً للتدريس في مدرسة «خانليغ» ، وتولّى فيما بعد صدارتها ، وظلّ في هذا المنصب حتى استشهاده عام 1924 م ، كما عيّن قاضي قضاة «كاشغر» .

(1) 20 يالقۇن روزى، ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنلى، 2010 ـ يىللىق 5 ـ سان.

شيوخه وتلامذته

أ- شيوخه :

تتلمـذ العلامـة عبـد القـادر علـى ثُلّـةٍ مِـن المشـايخ الفـضلاء ، وتلقّـى العلـم عـن نخبـةٍ مِـن العلمـاء الكبـار في كلّ مجـالات العلـوم ، علمـاء جمعـوا بين العلـم النافـع ، والعمـل الصالـح ، ومِـن أبرزهـم :

1 - العلامة مُلّا إسلام بن محمد بن أحمد بن يحيى الكاشغري :

(1248 ه — 1343 ه / 1831 م - 1924 م)

أحـد أشـهر مشـايخ «مدرسـة خانليـغ» ، التحـق بهـا عـام 1262 ه ، بعـد أن تلقّـى تعليمـه الأَوّلـي في قريتـه ، درَس علـم الـكلام ، والتفسـير ، والحديـث ، واللغـة العربيّـة ، والفارسـيّة ، وعلـم الرياضيـات ، والجغرافيـا .

وقـد بـرَّز في التفسـير ، والحديـث ، والفقـه ، إضافـة إلـى علـم الـكلام ، لقِّـب بــ «شـيخ الإسلام» .

رحَـل إلـى «بخـارى» ومكـث فيهـا خمـس سـنواتٍ ، قضاهـا في التعلّـم والتعليـم ، ثـمّ عـاد إلـى «كاشـغر» وعيِّن مدرسـاً في «مدرسـة خانليـغ» ، أخـذ عنـه العلامـة عبـد القـادر علومـاً متنوّعـةً في فنـونٍ مختلفـةٍ .

نُصِّـب «العلامـة مُلّا إسلام» قاضيـاً في «كاشـغر» فسـاهم في تنظيـم السّـجلات ، ودفاتـر الضبـط القضائـي ، وقواعـد قبـول الإفتـاء ودرجاتـه ، كمـا خصّـص سـجلّاً خاصّـاً بـالأملاك ، والـهِبات ، والوصايـا .

وأنشأ هيئةً قضائيّةً للاحتساب ، ومكتَباً لتنظيم الأئمّة والمؤذِّنين [1] .

---

(1) محمـد قاسـم ، أعلام تركسـتان ، ص 256 . يالقۇن روزى، ئەسـىردىكى ئىسلاھاتچى ـ ئابدۇقادىـر داموللام، شـىنجاڭ مەدەنىيتـى ژۇرنىلىنـىڭ 2010 ـ يىلىلـق 5 ـ سـانى

2 – يعقـوب بـن أحمـد بن يوسـف داملا الكاشـغري (1271 هـ– 1336 هـ) :

منـذ التحاقـه بـ «مدرسـة خانليـغ» تتلمـذ عليـه العلامـة عبـد القـادر [1] ، واسـتفاد منـه في علـومٍ متنوّعـةٍ ، فقـد كان أحـد أشـهر أسـاتذة المدرسـة المذكورة في عصـره .

قضـى العلامـة «يعقـوب بـن أحمـد داملا» ثلاثين عامـاً مِـن حياتـه في التدريـس ، ويُذكـر أنّ عـدد الـطلاب الذيـن درسـوا عليـه ، بلـغ ثلاثين ألـف طالـبٍ ، وأرى أنّ هـذا العـدد قـد يكـون مبالغـاً فيـه .

3 – مولانا عبد الرزاق البخاري :

ذكـرَه العلامـة عبـد القـادر في كتابـه «مفتـاح الأدب» ، وأثنـى عليـه ثنـاءً عطـراً ، كقولـه عنـه : «أسـتاذ التحقيـق والتدقيـق» ، «مقـاوم البـدع والخرافات» ، «محيـي السـنة الشـريفة» وغيرهـا مِـن الأوصـاف ، كمـا أشـاد بشـعره الفصيح ، وبأسـلوبه البديـع ،– كمـا سـيأتي – :

نَيــل المـُـنى بعــد العنــاء بقــاء
والصبــر للــدّاء العضــال دواء
والأســد تســعى باجتهــاد كامــل
فمصيدهــا ســرب المهــا والظبــاء
أضحــى الــهلال بِســيره بــدراً لــه
شــرف علــو منــازل ورواء
أعلــى المطالــب عنــد قلبــي أن أرى
مولــىً لقــاه بهجــة وشــقاء

---

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 693 .

فالــرزاق الــعلام ســمّى عبــده

اســماً عليــه في الأنــام ثنــاء

صــدر العُلــى فــاق الكِــرامَ بفضـــله

فلِفضلــه كلّ الــكلام فــداء

مــا خــاب راجٍ مِــن مــكارم فضلِـــه

فلأخــذه يتــوارد الفــضلاء

فأنــا المقيــم علــى المحبّــة صادقـ

دانــه عنــد اللبيــب علاء

أســتاذ أنــواع العلــوم بأســره

علــم الهــدى يهــدى بهــا العلمــاء

شـــمس المعــارف والفضائــل والعُلــى

بضيائــه يتنــور الحكمــاء

بشـــر أرى كنـــز المحاســـن والنهـــى

حِبــر ولكـــن للكمــال ســماء

للعلــم والتحقيــق والتدقيــق والـ

إيقــان والإرشــاد منــه نمــاء

بــدر تكامــل في ســماء ســعادة

يتيمّنــون بســعده الســعداء

وإذا يفــوه تناثــرت مــن لفظــه

درر يقلدهــا العلــى وبهــاء

درســت بهمتــه العاليــة بدعــة

اختارهــا الهِلْباجَــة الشَّــنْعاء

أرضــى الرســول ودينــه بحميّــة

دينيّــة تشــجى بهــا الأعــداء

لمحبّــه الأصفــى ســرور دائــم

أبــداً لقاليــه الحســود بــكاء

لا زال للإرشــاد أســعد طالــع

وتداولتــه الرتبــة العليــاء

وتُشـير الأبيـاتُ إلـى أنّ الشـيخ «عبـد الـرزاق» كان يتمتّـع بمكانـةٍ بـارزةٍ بين علمـاء عصره ، بسـبب سـعة اطّلاعـه ، وسـلوكه الأخلاقـي الحميـد ، وقـد كان مِـن الذائِديـن عـن سـنّة النبـي ﷺ مِـن المبتدَعـات والمعتقَـدات التـي لا أصـل لهـا في الشـرع ، وقـد تأثّـر بفِكـره ومنهجِـه في هـذا ، الشـيخ عبـد القـادر في حملتـه ضـدّ البـدع والخرافـات التـي انتشـرت بين المسـلمين عبـر القـرون .

4 – عوض الخوجندي داملّا (؟ – 1325 هـ) :

قـد يُعـدّ أحـد شـيوخ العلامـة عبـد القـادر الذيـن تلقّـى عنهـم العلـم ببخـاري ، فقـد وصَفَـه في كتابـه «مفتـاح الأدب» بأنـه : كان مفتياً لـ «بـخاري» وعـالماً فـاضلاً ، كمـا كان يتمتّـع بمكانـةٍ عاليـة بين علمـاء المدينـة .

وقـد رثـاه العلامـة عبـد القـادر بـمرثيّة تَبَـدّى الـحُزن الشـديد في أبياتهـا وَجْـداً عليـه :

لقــد ســارت الأيــام ســوداً وغيهَبــ

بمــا جاءهــا خطــب مــع الحــزن ركبــ

تصــادف الألبــاب منــه تأســف

شــديداً علــى الولــدان لــو صــبّ شــيب

وذاك بأنّــا قــد نعينــا بمــوت مــن

يحالفــه العليــاء لبثــا ومذهبــ

نعــاه لنــا الناعــي ففــي كلّ أضلــع

سـهام يفيـض الســم منهــا تصبّبـ
وكــم مــن جيــوب ، بــل قلــوب تشــقّقت
عليــه وكــم وجــه مِــن الدمــع خضبـ
فمــن فقــده حلّــت في عين مدامــع
وفي القلــب نــار أحرقتــه تلهبـ
ألا وهــو أســتاذ العلــوم ولبهـ
لقــد كان نحريــراً أديبــاً مُخضرَبـ
أيــا صاحــب الفضــل الــذي كنــت منبعـ
لديــن وأخلاق وفي الــرأي أصوبـ
فأرويــت طلاب العلــوم زلالهـ
لقــد كنــت بحــر العلــوم فيهــم وأعذبـ
عفــا عنــك ربّ العــالمين بفضلــه
وعطّــر مثــواك الإلــه وطيّبـ
ويرثــى لــه الغــازي بهــذا مؤرخـ
تــروح في الفــردوس بالفــوز أنســبا [1]

وهكـذا نـرى كيـف وصَـف شـيخَه في هـذه المرثيّـة المفجِعـة بأنّـه كان عـالماً نحريـراً ، وقـدوةً حسـنةً ، ومفكّـراً مُسـتناراً بـه ، فاتحـاً أبـواب العلـم والعمـل لمـن طلبـه ، ومُروِيـاً غلِيـلَ مُلتمِسـي العلـم ، وقاضيـاً حياتـه في العلـم والتدريس .

5 – شيخ الإسلام أُلُغ خان توره لخوقند :

عـدَّه العلامـة عبـد القـادر مِـن مشـايخه الذيـن انتفَـع بعلمهـم ، وتأثّـر بِسَـمتهم وأخلاقهـم ، ووصفَـه بأنّـه عالـم كبيـر نحريـر ، يقصـده الـطلاب مِـن كلّ النواحـي .

وقـد أثّـر «شـيخ الإسلام أُلُـغْ خـان» في مسـيرة تلميـذه العلميّـة تأثيـراً كبيـراً ، كمـا كان التلميـذ يُكِـنّ لشـيخه احترامـاً وتقديـراً كبيريـن ، ولا أدلّ

(1) عبد القادر ، مفتاح الأدب ، ص 123 .

علـى ذلـك مِـن هـذه الأبيـات التـي تبـرِز الحُظوة التـي كان يتمتّع بهـا العلامـة «شـيخ الإسلام ألْـغ خـان» لـدى طلابـه .

إلام جفــاك يــا دهــر الدنـــي
فمــن بلـواك مـا خلـص النـــبي
ولا العلمـــاء والحكمـــاء طـــرّ
ولا ذي المكرمـــات ولا الولـــي
فيـــا لهفـــى لـــطلاب العلـــوم
ويـــا آســـفى مـــات الألمعـــي[1]
لقد أضحت سـماء العلوم سـودا
فلمـــا غـــاب بـــدر أنـــوري
لأصحـاب النهـى قـد كان نـور
يُـرى مِن وجهـه الوصـف البهي
وللإسلام والإرشـــاد شـــيخ
ومنكشـــفاً لـــه الســـرّ الخفـــي
محلـــى بالفضائـــل والكمـــال
ونحريـــراً لـــه الفضـــل الســـني
وللســـادات والأعيـــان فخـــر
لـــه العليـــاء والنســـب العلـــي
فعطـــر ربّنـــا مثـــواه روحـــ
ودام لقبـــره العـــرف الشـــذي
فـــإن أحصيـــت تأريـــخ الوفـــاة
لـــه الرضـــوان والفـــوز الجلـــي [2]

(1) عَبْـد الغافـر بْـن الحُـسَيْن بْـن خَلَـف بْـن جبريـل ، أبـو الفُتُـوح الألمعـي الكاشْـغَريّ ، وَلـه أكثـر مـن مائـة تصنيـف أَكْثَرهَـا فِي التصوف مِنْهَـا الْمقنـع فِي تَفْسِـير الْقُـرْآن . الذهبـي ، تاريـخ الإسلام ، 31/305 . أحمـد بـن محمـد الأدنـه وي ، طبقـات المفسـرين ، المحقـق : سـليمان بـن صالـح الخـزي ، ط1 . (السـعودية ، مكتبـة العلـوم والحكـم ، 1417هـ- 1997م) ، ص140 .

(2) عبد القادر ، مفتاح الأدب ، ص123 .

عدّه العلامة عبد القادر واحداً مِن أبرز علماء الإسلام في وسط آسيا ، كرَّس حياته للمجالات العِلميّة ، له إسهاماتٌ كبيرةٌ في الفقه والأصول والسلوك ، ويمكن القول بأنّه أحد رموز العلم والمعرفة في المنطقة ، وله تأثيرٌ كبيرٌ في طلابه والمجتمع المحلي .

ترك إرثاً عِلميّاً ثميناً ، تستفيد منه الأجيال القادمة .

ب – تلامذته :

تلقّى العلمَ على يد العلامة عبد القادر عددٌ من التلاميذ والطلبة ، منهم مَن طالت مدّة مُـجالستهم له ، ومنهم مَن قصُرت .

وقد أصبح أولئك الطلاب – بعد تَفقّههم وتثقيفهم – يمثّلون رموزَ الصحوةِ الإسلاميّةِ في مجالاتٍ عِدّةٍ ، علميّة ، وسياسيّة ، واجتماعيّة ، وشكّلوا هيكلَ الحركة الإسلاميّة ، فكانوا مِن أهمّ الشخصيات التي أثرت فيها ، وسأقتصر على ذِكر المبرّزين من الطلاب .

1– ابنه عبد العزيز مخدوم (1894 م – 1982 م) :

وِلد في مدينة «كاشغر» ، وتلقى تعليمه الأَوّلي على يد والده العلامة عبد القادر ، ثم بعثه فيما بعد إلى الهند ليكمل تعليمه العالي في دولةٍ أجنبيّة .

وفي عشرينيات القرن الماضي ، حينما بدأ مسيرةَ تعليمِه الجامعيّ في الهند ، صادف ذلك النضال الكبير الذي قاده الشعب الهندي ضدّ اضطهاد الغازي المحتلّ «الإمبرياليّة البريطانيّة» ، فشارك بفاعليةٍ في هذا النشاط الذي اتّخذ مِن الحريّة هدفَه الأسمى ، وكان في طلائع المناضلين .

وفي أغسطس مِن عام 1924 م ، عاد إلى تركستان الشرقيّة قادماً إليها مِن الهند حين علم بمقتل والده ، إذ كان يرغب في العثور على قاتل والده ، وتقديمه إلى العدالة ، لكنّ عراقيل النظام الاستبدادي المتعدّد الأوجه ،

حـال دون تحقيـق ذلـك .

ثـمّ بـدأ تعرضّـه للاضطهـاد مِـن قِبـل السـلطات الصينيّـة ، حتـى انتهـى بـه المقـام معتـقَلاً في السـجون الصينيّـة ؛ حيـث قضـى في معتقلاتهـا أكثـر مـن 43 عامـاً ، ولــم يُطلق سـراحُه إلا في خريف 1980 م ، وفي شـهر آب (أغسـطس) مِـن عـام 1982 م ، قضـى شـهيداً في حادثـة قطـارٍ في محطـة أورومجـي بمؤامـرةٍ مدبَّـرةٍ [1] ، بعـد أن أفنـى كلّ حياتـه في تحريـر بلـده .

2 - **ثابت بن عبد الباقي داملام** (1883م – 1942 م) :

أحـد الشـخصيات الهامّـة في تاريـخ نِضـال شـعب تركسـتان الشـرقيّة ، وأحـد تلامـذة الإمـام عبـد القـادر البارزيـن ، تأثـر بأفـكار شـيخه الإصلاحيّـة والتجديديّـة في العلـوم الإسلاميّـة ، والاجتمـاع ، والسياسـة ، فقـد كان لـه دورٌ بـارزٌ فيهـا ، حيـث شـارك مـع شـيخه في الانتفاضـة ضـدّ المبشـرين وأنشـطتهم الدينيّـة في «كاشـغر» ، وهـو معـدودٌ مِـن أحـد رواد الصـراع الإسلامـي ضـدّ الاحـتلال الصينـي والروسـي في مركـز آسـيا الوسـطى .

كمـا كان مِـن العلمـاء والمفسـرين المشـهورين في زمنـه ، عمـل علـى شـرح وتفسـير القـرآن الكـريم ، والحديـث النبـوي الشـريف .

مِـن مؤلفاتـه : «روشـن بيان في تفسـير القـرآن الكـريم» ، (الواضح في تفسـير القـرآن الكـريم) و«القصيـدة السَّـنِيَّة في عقيـدة أهل السـنة» و«العقائـد الجوهرية» و«شـرين كلام في سـيرة محمد ﷺ» ، و«قانـون الإسلام» [2] .

وقـد أثـرى العلامـة «ثابـت داملا» المكتبـة الإسلاميّـة بمـا كتـب ونشـر مِـن أفـكار ومناهـج ، ولا يـزال اسـمه محفـوراً في ذاكـرة تاريـخ الفكـر والحركـة الإسلامـيّين .

---

(1) شـېرىپ خۇشـتار، يېقىنقى زامـان تارىخـدا ئۆتكـەن شەخسـلەر، ب 1، (ئۈرۈمچـى: خەلـق نەشـرىياتى، 2002)، 2/281.

(2) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص316 .

بعـد وفـاة شـيخه انتقـل إلـى «غـولجا» ، وأصبـح قاضيـاً بمحكمتهـا الشـرعيّة ، ولـم يمنعـه منصـب القضـاء مِـن مواصلـة التدريـس والعمـل الدعـوي ، والتأثيـر بأفـكاره الإصلاحيّـة .

وقـد سـعى جاهـداً لتحريـر شـعب تركسـتان الشـرقيّة مِـن الاحـتلال الصينـي ، وتأسـيس دولـة إسلاميّـةٍ مسـتقلّةٍ ، فعقَـد العـزمَ ونشِـط في تحقيـق مُبتغـاه ، فكلّـل الله جهـودَه بالنجـاح ، واسـتطاع تأسـيس «جمهوريـة تركسـتان الشـرقيّة الإسلاميّـة» في 12 نوفمبـر عـام 1933 م .

ارتقى شهيداً في السجن عام 1942 م .

3 – إسلام بن عبد القادر بن حسين داملام الكاشغري :

واحـدٌ مِـن العلمـاء البارزيـن في تاريـخ تركسـتان الشـرقيّة الحديـث ، ولِـد في كاشـغر ، وبعـد إكمالـه حفـظ للقـرآن الكـريم ، التحـق بمدرسـة «چهارسـو» للتعلـم والتحصيـل العلمـي ، وتتلمـذ علـى العلامـة عبـد القـادر ، وحصل على شـهادة التخـرج ، إضافـة إلـى إجـازة التدريـس مـن مشـايخه .

اشـتهر في العديـد مـن العلـوم الإسلاميّـة ، بمـا فيهـا علـم الحديـث ، والجـرح والتعديـل ، وعلـم الأسـانيد وغيرهـا . ومنـذ عـام 1330 م ، أوقـف حياتـه علـى التدريـس والتدريـب ، وسـاهم بشـكلٍ كبيـرٍ في تنميـة قـدرات الشـباب في مختلـف المجالات العلميّـة .

عـرِف بأفـكاره الإصلاحيّـة والتقدميّـة في العلـوم الإسلاميّـة والسياسـيّة ، وقـد أثـرى إرثـه العلمـي الثـمين المجتمـع ، والعلمـاء وطلبـة العلـم .

سـافر إلـى الأراضـي المقدّسـة ؛ لأداء فريضـة الحـج ، وأثنـاء سـفرته قـام بزيـارة العديـد مـن البلـدان الإسلاميـة [1] .

4 – المسيب داملا (1884 م – 1957 م) :

مِـن الشـخصيات المؤثّـرة في تاريـخ المنطقـة ، وأحـد روّاد الإصلاح في

---

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 255 .

تركستان الشرقيّة ، قام بتطوير النظام التعليمي فيها ، فغيَّر التعليم القديم بإدخال تعديلاتٍ عليه ، حيث أجرى إصلاحاتٍ كبرى في طرق التدريس ، وإضافة موادّ جديدة إلى المناهج الدراسيّة زيادةً في كثافة التدريس ، مثل التاريخ ، والجغرافيا ، والعلوم ، والفلك ، والطب ، سالِكاً في ذلك نهج شيخه العلامة عبد القادر ، إذ قد يعدّ مِن أبرز طلابه ، كما كان يحاول باستمرار تكييف الطلاب بأفكار شيخه ، وبسبب تلك الإصلاحات ، توافد عليه الطلبة – بعد استشهاد شيخه العلامة عبد القادر – مِن جميع أنحاء تركستان الشرقيّة للأخذ عنه .

وبفضل إصلاحاته استطاع تحويل مدرسته في مدينة كوجا [1] إلى مركزٍ للتعليم ، جامعٍ بين الدّين والعلم [2] .

5 – **العلامة محمد أمين بن رحمة الله** (1898 م – 1961 م) :

عالم كبير ، ومفكّر إسلاميّ ، تتلمذ على يد العلامة عبد القادر ، وحظيَ بعناية شيخه حتى صار عالماً ضليعاً .

عندما اغتيل شيخه – العلامة عبد القادر – أواخر عام 1924 م ، سار على خطاه ، وأصبح مدرساً في مدرسة «عبد الولي باي» ، وتفوّق على أمثاله مِن شعراء بلده ، حيث اشتهر بتفوق قصائده بلاغة وأصالة .

كما كان شخصيّةً مهمّةً في فهم التاريخ ، وأساليب التعليم ، والثقافة والعادات ، والجذور العرقيّة لـ «كاشغر» .

شارك في المنتديات العلميّة التي نظمّها عديدٌ مِن المؤرخين والباحثين ، والمؤسسات الثقافيّة المختلفة في الخمسينيات والستينيات ، وكان له دور رئيسي في دراسة تلك المجالات . ويُعَدّ «تحصيل كاشغر» مِن أهمّ أعماله ، فهو

---

(1) هي مدينة تابعة لولاية آقسو بتركستان الشرقية . وتعتبر إحدى أقدم مدن تركستان الشرقية ، وذكرها محمود الكاشغري ، فقال : كوجا تقع على حدود بلاد الأويغور . وقال أحمد زكي وليد طوغان : بينها وبين كاشغر 703 كيلومتر مسافة . محمود الكاشغري ، ديوان لغة ترك ، 1/526 .

(2) أعلام تركستان ، ص629 .

مرجعٌ مهمّ لفهم الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة ، والاقتصاديّة ، في كاشغر .

6 – عبد الظاهر بن الصوفي (1902 م – 1977 م) :

ولد في مقاطعة شاه يار ، وحصل على تعليمه الأوّلي على يد والده ، ثمّ درس في «مدرسة خانليغ» بكاشغر على يد العلامة عبد القادر .

في عام 1935 م هاجر إلى المملكة العربية السعودية وعمل مدرّساً في المسجد الحرام لأكثر من 30 عاماً . قضى حياته في مجال العلم والتعليم حتى توفي عام 1977 م ، في مكة المكرمة ، ودُفِنَ في مقبرة «المعلاة» [1] .

7 – عبد الجليل داملاّم بن المفتي عبد الله :

ولد في مقاطعة جوما في خُتَن ، ولما بلغ السادسة عشرة مِن عمره ، رأى فيه العلامة «الحسين خان» تجلي النبوغ والذكاء ، استأذن والده المفتي عبد الله لأخذه إلى «قارغليق» ، وبعد ثلاث سنوات ، أرسله إلى العلامة عبد القادر ، فاستقبله ، واعتنى بتربيته عنايةً كاملةً .

كان شاعراً موهوباً ، كتب العديد من التحيات ، والشكر ، والإهداء ، والقصائد ، والرسائل بلغاتٍ مختلفةٍ ، عربيّة وفارسيّة ، ومعظم هذه الأعمال فقِدت مع لأسف ، وقد تمّ نشر بعض قصائده في السنوات الأخيرة ، وخاصة في مجلة «بولاق» تحت إعداد عبد الحكيم مخدوم ، كما نشرت بعض قصائده العربيّة في إسطنبول [2] ، عام 2022 م .

سافر لأداء فريضة الحج عام 1934 م ، وبعد عودته منه عام 1937 م ، تم القبض عليه ، وتعرّض في السجون الصينيّة للتعذيب والإذلال ، فكان ضحية القمع الذي مارسَه «شنيغ شي ساي» على جميع أنحاء تركستان الشرقيّة .

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان الشرقية ، ص475 .

(2) ئابدۇلھەكىم مەخدۇمھاجى، ئابدۇجەلىل داموللا ھاجى، بۇلاق ژۇرنىلى، خەلىق نەشرىياتى، 1989، 26 سان، 37 بەت. شىرىپ خۇشتار، يېقىنقى زامان تارىخىدا ئۆتكەن شەخسلەر، ب 1، (ئۈرۈمچى: خەلىق نەشرىياتى، 2002)، 2/268.

8 – زيـن العابديـن بـن عبـد الله مولـوي الكاشـغري الأرتوجـي (1910 م – 1996 م) :

فقيـه ، ومـؤرّخ ، وأديـب ، تعلـم اللغـة العربيّـة ، والفقـه ، والأدب ، علـى يد العلامـة عبـد القـادر في مدرسـة «طوغـان خـان» ، وأصبـح واحـداً مِـن تلاميـذه المتميزين .

سـافر – بعـد استشـهاد شـيخه العلامـة عبـد القـادر – إلـى الهنـد للتعلم ، فتعلّـم علـى أيـدي كبـار علمـاء الهنـد ، مثـل العلامـة شـبير أحمـد عثمانـي ، والعلامـة أنـور شـاه الكشـميري ، والعلامـة حـسين أحمـد المدنـي وغيرهـم .

في عـام 1944 م عـاد إلـى تركسـتان الشـرقيّة ، وعمل في «كاشـغر» مدرسـاً في عدّة مـدارس .

اعتقلتـه الحكومـة الصينيّـة عـام 1959 م ، وزجّـت بـه في سـجونها مـدّة اثنـا عشـر عامـاً ، حتـى أَفرجـت عنـه عـام 1971 م .

توفي في مدينة كاشغر [1] .

9 – صالح دامُلّا نظامي (1895 م – 1957 م) :

أثّـرت فيـه تعاليـم المدرسـة التـي كان شـيخه العلامـة عبـد القـادر يتبنّاها ، إذ يُعـدّ أحـد تلامذته المباشـرين .

بـذل جهـوداً كبيـرةً في تعليـم النـاس ، وتدريـب الأجيـال الجديـدة علـى العلـوم الحديثـة ، حيـث كان يـروّج للتعليـم الحديـث بجانـب التعليـم الإسلامـي التقليـدي ؛ لأنّـه كان يـرى أنّ العلـم وحـده هـو مـا ينقـذ النـاس مـن الجهـل والذلـة ، الأمـر الـذي دفعـه إلـى تشـييد مدرسـة جديـدة تجمع بين الدّيـن والعلـم الحديـث .

كمـا كانـت لـه – رحمـه الله – إسـهاماتٌ كبيـرةٌ في الأدب الأويغـوري ، حيـث كتـب العديـد مـن الأعمـال الأدبيّـة الهامّـة ، مثـل : «الديـوان العربي» ،

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 365 .

و«عنـوان الصـرف» و«عقـد المرجـان» ، و«تجويـد تركـي» ، و«ترجمـة رواة مشـكاة المصابيح» .

وبعــد حــادث «الطوفــان» الــذي ضــرب الــبلاد في 13 يونيــو 1944 م ، وتسـبّب في خسـائر كبيـرة ، كتـب عنـه العلامـة «صالـح داملّا نظامـي» متناولاً فيـه الظواهـر الطبيعيّـة ، وواصِفـاً الآثـار التـي سـبّبها لأهـل «أرتـوج» ومُصـوِّراً الأعمـال البطوليّـة – التـي لا تمحـى مـن الذاكـرة – للفتيـان الشُّـجعان الـذي قاومـوا الطوفـان بشراسـةٍ بتصويـرٍ بديـعٍ . ويعـدّ «الطوفـان» أحـد أهـمّ أعمالـه النـادرة .

تـوفي عـام 1957 م ، بنوبـة قلبيـة في مسـقط رأسـه «أرتـوج» عـن عمـر ناهـز 63 عاماً .

10 – دانش حنفي بن يعقوب (1889 م – 1970 م) :

كان عـالمًا بارعـاً ، وطبيبـاً حاذقـاً وقاضيـاً عـادلاً ، سـافر إلـى كاشـغر عـام 1916 م ، لطلـب العلـم ، وتعـرّف عـن قُـربٍ علـى العلامـة عبـد القـادر ، وأصبـح تحـت رعايتـه ، ومحـطّ اهتمامـه عـالمًا بـارزاً ، وعـاملاً مخلصـاً لوطنـه وشـعبه .

في عـام 1935 م ، عُيِّنَ قاضيـاً لولايـة «آقسـو» ، وشـغَل مناصـبَ مختلفـةً في جمعيّـة الثقافة والتعليـم بالولايـة ، كمـا قـام بتأسـيس «جريـدة آقسـو» ، وأوّل مدرسـة ثانويّـة حديثـة في المنطقة ، وشـجع الفتيـات علـى الالتحـاق بها .

وفي عـام 1938 م ، اعتقِـل وسـجن في «أورومجـي» مـدّة خمـس سـنوات ، حتـى عام 1943 م ، وبعـد الإفـراج عنـه ، تولـى رئاسـة جمعيّـة الأويغـور في ولايـة «آقسـو» ، ووقـف إلـى جانـب الثـوار في الولايـات الثلاثـة ، ونظّـم أنشـطةً اجتماعيّـةً بـكلّ أنواعهـا دعمـاً لهـم .

مِـن كتبـه «تاريـخ الثقافـة والتعليم في آقسـو» و«التيارات الفلسـفيّة في تركسـتان الشـرقيّة» وخلال «الثورة الثقافيّة» في السـتينيات .

نُفي مِن قريته ، وأجبر على العمل الشاق ، حتى وافته المنيّة في 10 مايو 1970 م .[1]

(1) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 356 .

مكانته العلميّة وثناء العلماء عليه

نظَر المجتمع الأيغوري بإجلالٍ وتقديرٍ كبيرين إلى إسهامات العلامة عبد القادر في نشر العلم والمعرفة ، وثَمّنوا دعوتَه إلى تطوير النِّظام التعليميّ ، وحازَت جهوده الإصلاحيّة والتجديديّة – لِقيمتها الكبيرة – إعجاب العلماء والمثقّفين ، فعدّوه واحداً مِن روّاد الإصلاح والفِكر في آسيا الوسطى ، وأثنوا على جهوده ، وأشادوا بإنجازاته العظيمة ، واحتَفَوا بتعاونه الفعّال في خدمة المجتمع ، وسَعيه الجادّ إلى تحسين واقع مسلمي تركستان الشرقيّة ، وتطوير حياتهم الاجتماعيّة ، والاقتصاديّة ، والثقافيّة .

وصَفه أحد مُعاصريه ، وهو العلامة الشيخ «حسين خان بن قطب الدِّين تجلى» (1856 م – 1925 م) بقوله :

إنّه بشر روحه

إلا إنه جبل وبحر فضله زاخر

والعلم والتقوى خليل نفسه

لله كلّ لباسه فاخر (أعماله) [1] .

وقال عنه المؤرخ التّتري «ذاكر قادري طوغان» : «كان مفكّراً ، ومصلحاً عظيماً ، ومجاهداً وعالماً ، وكان له أنداد قليلون في العالم الإسلاميّ» [2] .

كما مدَحَه «مراد خوجا» في مقدّمة كتابه «شوقي گلستان» بقوله : «علامة الزمان ، حائز قصب سبق العرفان ، الفاضل المحقّق ، والكامل المدقّق ، جامع المعقول والمنقول ، ومرشد أركان الفروع والأصول ، صاحب

---

(1) ئابدۇل ھەكىم مەخدۇم ھاجى، تەجەللى مۇجەللى، (قەشقەر: ئۇيغۇر نەشرىياتى، 1984) بەت 42

(2) ئابدۇرەھىم سابىت، ئابدۇقادىر داموللام ۋە مىفتاھۇل ئەدەب، 1992.

«مفتاح الجنان» ، و«جواهر الإيقان» وغيرهما من الرسائل ، داملا عبد القادر الكاشغري الأرتوجي – أدام الله وجوده وأمثاله –» [1] .

ونَعَتَه «سراج الدين مخدوم» بأنّه : «عالمٌ فاضلٌ نحريرٌ ، ومدرّسٌ عديم نظيره» .

كما مدحه بأبياتٍ فارسيّةٍ أيضاً [2] :

چه گويم از صفت آن مترجم فاضل
كه نفس ناطقه لال است وكنك شده است زبان
بهر كجا برود همچو مشک مي بويد
كه جامع همه علمست ولوذعي جهان
بعمل ونطق وفصاحت از عالمان كبار ببرد
كوهى نكو نامي آن فريد زمان
شگفته روي ونكو خو از ديدنش هر كس
بدوستي بكزيند كند نثارش جان

وأثنى عليه «محمد أمين بغرا» ثناءً عاطراً ، واصِفاً إيّاه بأنّه : «علّامة زمانه ، وحامل راية الإصلاحات في المناهج الإسلاميّة في العلوم والتربيّة والتعليم ، وأساليبها المتقدّمة وأسبابها وأصولها ، مؤسّس مدارس «مطلع الهداية» في البلاد ، وصاحب المؤلّفات المفيدة» [3] .

وعندما كتب محرّرو مجلة «الشورى» تعليقاً على مقالته «بياني حقيقت – بيانات الحقائق» ، لـمّا رأينا لأوّل مرة «جواهر الإيقان» ، حكمنا بأنّ المؤلف يجب أن يكون عالماً شاميّاً أو مصريّاً . لم نعتقد أبداً أنّ العالم

(1) ملا محمد خوجا إيشان ، شوقي گلستان ، 1906م ، 316ص . فەخرۇددىن ئىمىن ، ئابدۇقادىر داموللامنىڭ گۈلستانغا يازغان بېغىشلىمىسى ، بۇلاق ژورنىلى ، 87 .

(2) العلامة عبد القادر ، تسهيل الأمالي ، طشقند : مطبعة غلامية ، 1328ه ، 12ص .

(3) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص 687 .

الـذي درس العلـوم في بخـارى سـيكون قـادراً علـى الكتابـة باللغـة العربيّـة بهذه الدرجـة مِـن البلاغـة والفصاحـة [1] .

(1) العلامة عبد القادر ، بياني حقيقت ، مجلة شورى ، 1915م 15أوكتوبر ، عدد 2 .

مذهبه الاعتقادي والفقهي

أ- مذهبه الاعتقادي :

يَظهر لِمَن تتبّع سيرةَ العلامة عبد القادر أنّ انتماءَه الفِكري كان إسلاميّاً ، وحركته التجديديّة كانت إصلاحيّة ، ومعتقَده كان ماتريديَاً كما تدلّ على ذلك كتبُه الثلاثة [1] التي ألّفها في العقيدة .

كما أنّه لم يَنقُل أحدٌ ممّن ترجم له مَا يَثلِم عقيدَتَه ، أو يَشِين سِيرتَه ، فقد كان جميع شيوخه الذين أخذ عنهم علماء بارزين ، منتسبين إلى أهل السنّة والجماعة .

أمّا مَن نسبَه مِن الباحثين إلى السلفيّة [2] انطلاقاً مِن إخباره عن نفسِه بأنّه «قرأ وتعمّق ، وتأثّر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن القيّم» فقد أبْعَد النُّجعَة وجانَبَ الصّواب ؛ لأنّ العلامة عبد القادر ذكِر مقروناً بالمصلحَين «جمال الدّين الأفغاني ، ومحمد عبده» ، ممّا يدلّ على تأثّره بأفكارهما الإصلاحيّة ، وحركاتهما التجديديّة ، ولندَعِ الشيخ يوضِّحُ لنا مذهبَه ، فما أَعرَبَ عن الشخصِ مِثلُ لِسانه وفِعَاله ، فأمّا فِعَال الشيخ ، فناطقةٌ بذلك ، حيث زار ضريحَ الإمام البخاري ، وألقى عتده قصيدتَه التاليّة :

سلامٌ على طيب النسيم الذي أتى
بنفحة «خرتنج» كمسك وعنبر
وفيها ضريح طيب العرف والشذ
لكنز أحاديث النبي المطهر

---

(1) وهي : تسهيل بدء الآمالي ، وجواهر الإيقان ، والعقائد الضرورية .

(2) نسب إليها محمد قاسم أمين . محمد قاسم أمين ، أعلام تركستان ، ص 256 .

ولو باهَتِ الدنيـــا بـ «خرتنج» لائـــق

بهـا إنهـا حـــازت لقبــر معطــر

لــــحافظ أنــواع العلــوم وخيرهــ

وحجــة أصحــاب الحديــث المحبــر

وكان أميــر المؤمــنين بنقــده

صحيـح الحديـث مـن ضعيـف مكـدر

كأنــه عرشــي وأن كتابــه

كتــاب ســماوي شــبيه بكوثــر

ســمعت ثقــات العلــم أن وجــوده

لمعجــزة كانــت لطــه المنــور

فيعجــز كلّ المادحين مديحــه

وناهيــك ريّــا ذا الضريــح المعطــر

وقــال في آخرهــا : قلتُــه حين تشــرّفتُ بزيــارة ضريــح العلاّمــة البخــاري رضـــي الله عنــه [1] .

إذ لــو كان متأثّــراً بالســلفيّة – أثنــاء إقامتــه بمكــة المكرّمــة لأداء مناســك الحــجّ – لَــمَا صــدَر منــه مِثــل ذلــك .

وأمّــا لســانُه ، فمؤلّفاتُــه العقديّــة الثلاثــة التــي كتبهــا أدلّــةٌ ســاطعةٌ ، وبــراهينُ قاطِعــةٌ علــى مذهبــه العقــدي – المذهــب الماتريــدي – .

ب– مذهبه الفقهي :

تفقّــه العلامــة عبــد القــادر في الفقــه الحنفــي ، وتمذهَــب بمذهبــه ؛ لأنّــه المذهــب الســائد آنــذاك في بلاد وســط آســيا والهنــد ، وتركســتان الشــرقيّة مِــن

(1) العلامة عبد القادر ، مفتاح الأدب ، ص69 .

جنوبها إلى شمالها – ولا يزال – ، وكان للعلامّة دورٌ كبيرٌ في صوغِ علماء ، وفقهاء ، وقضاة المنطقة .

ويُعدّ كتابه الفقهي في المذهب «عبادات إسلاميّة» مِن الكتب الشهيرة التي تناولها العوامّ ، وتُدُووِلَ في المدارس .

كتبه ومؤلفاته

1 – «العقائـد الضروريـة» ألّـف هـذا الكتـاب باللغـة الأويغوريّـة لتبسـيط العقيـدة الإسلاميّـة بأسـلوبٍ مبسّـط ؛ ليسـهل فهمـه علـى النـاس .

2 – «جواهـر الإيقـان» وقـد تميّـز هـذا الكتـاب بأسـلوبه النظمـي المبسّـط ، ألفـه باللغـة العربيّـة لتسـهيل علـم العقيـدة بطريقـةٍ سـهلةٍ تلائـم طبيعـة الـطلاب .

3 – «تسـهيل بـدء الأمالـي» للعلامـة الأوشـي ، نظـم فيـه العقيـدة الإسلاميّـة باللغـة الأويغوريّـة .

4 – «العبـادات الإسلاميّـة» ، وهـو باللغـة الأويغوريّـة كذلـك ، وتأتـي هذه الخطـوة في إطـار حرصـه علـى توضيـح الأمـور الدينيّة للمسـلمين بشـكلٍ سـهلٍ وميسّـرٍ ، ولتوفيـر فـرص للمسـلمين لفهـم العبـادة الإسلاميّـة بشـكلٍ أفضـل خاليـة مِـن الاختلافـات المذهبيّـة التـي قـد تُعِيـق فهمَهـا .

5 – «مفتاح الأدب لفهم كلام العرب» ، مؤلّف في الأدب العربي .

6 – «تجويـد تركـي» الكتـاب يقـدِّم شـرحاً وافيـاً لقواعـد علـم التجويـد باللغـة الأويغوريّـة ، ويهـدف إلـى تعليـم الـطلاب الراغـبين في تعلّـم هـذا العلم الشـريف ، حيـث عـدّ الكتـاب مقـرّراً دراسـيّاً .

7 – «علـم الحسـاب والرياضيـات الحديثـة» ألّفـه لدراسـة الرياضيـات الحديثـة في المـدارس الشـرعيّة ؛ لزيـادة المعرفـة ، وتحـسين قـدرات الـطلاب الرياضيّـة .

8 – «بداية الصرف» وهو كتاب في علم الصرف .

9 – «بداية النحو» ألّفه في علم النحو .

10 – «علـم الجغرافيـة وتقـويم البلـدان» ، ألّفـه لإلحاقـه مـادّة مقـرّرةً في

المـدارس الشـرعيّة .

11 – «بداية أصول الحديث ومراتب الصحابة» .

12 – «إرشاد المسلمين» .

13 – «تعليم الصبيان» .

14 – «نصيحة الأطفال» .

15 – رسـالة «النصيحـة للعامّـة» ، وهـي رسـالة مختصـرة لعامّـة النـاس ألقاهـا في كاشـغر .

16 – قصة «مناظرة الفواكه» .

17 – ديوان «كليات مخمس» .

18 – «شوقي گلستان» وفي نسبته خلاف .

طبِعـت ونشِـرت بعـض مؤلّفـات العلامـة عبـد القـادر في دمشـق ، وجـدّة ، وطشـقند ، وبخـارى ، والهنـد ، في حياتـه ، وبعـد وفاته .

مِن أبرز إصلاحاته

1 - الإفتاء بضرورة التعليم العصري .

2 - فتح مدارس عصريّة باسم «مطلع هدايت» (مطلع الهداية) .

3 - ابتعاث الطلاب .

4 - إنشاء دار للأيتام لحماية الأيتام من المبشّرين .

5 - تأسيس جمعيّة خيريّة إسلاميّة ؛ لسدّ حاجات الفقراء ، والمشردين ، والمحتاجين ، والأرامل .

6 - تأسيس «مجلس علماء المسلمين» .

7 - إنشاء المكتبات العامّة .

8 - نشر الكتب ، والرسائل ، والتقويم الميلادي ، والهجري [1] .

9 - تأليف كُتب في العلوم العصريّة .

10 - التجديد والإصلاح في المناهج الدراسيّة .

11 - التشجيع على دمج العلوم العصريّة بالعلوم الشرعيّة .

12 - الدعوة العامّة لتوعية الشعب خطورة المبشّرين .

13 - التنديد بالمبشّرين ومقاومتهم .

---

(1) العلامة عبد القادر ، بياني حقيقت ، مجلة شورى ، 1915 ، 1 ديكابير . عدد 33 .

أبرز الـمُتأثِّرين بفِكره الإصلاحي

يعـدّ العلامـة عبـد القـادر أَحَـد رِجَـالات تركسـتان الشـرقيّة الأوفيـاء لأمتّـه ووطنـه ، كـرّس حياتَـه لخدمـة أمّتـه وبلـده ، فكان مِـن أبرز شـخصياتها ، وأهـمّ قياداتهـا التـي أثّـرت في شـعب تركسـتان الشـرقيّة وتاريخهـا ، فقـد أثّـرت أفـكاره التجديديّـة ، ودعوتـه الإصلاحيّـة تأثيـراً كبيـراً على الشـعب الأويغوري المسـلم ، ولـم يَقتصـر تأثيـره – رحمـه الله – علـى فتـرة حياتـه فحسـب ، بـل اسـتمرّ حتـى بعـد وفاتـه ، ومـا زال ذلـك التأثيـر واضحـاً حتـى يومنـا هـذا ، وشـخصيّة تمتّـع بهـذه الصفـات ، لا بـدّ وأن تَـجتذِب إليهـا الأنظـار ، وتُثيـر الاهتمـام ، وتُـحفّز إلـى الاقتـداء بهـا ، والنّسـجِ علـى مِنوالهـا .

وهـذا الأمـرُ ليـسَ بغريـبٍ ، فقـد خَلّـد تاريـخ تركسـتان الشـرقيّة في صفحاتـه المشـرِقة أسـماء العديـد مِـن العلمـاء والمثقّـفين ممّـن تأثّـروا بأفـكار العلامـة عبـد القـادر الإصلاحيّـة والتقدميّـة سـواء في حياتـه ، أو بعـد رحِيلـه ، وسـعَوا إلـى تطبيـق العديـد مِـن تلـك الأفـكار والمفاهيم التـي نـادت بالتحديث والتجديـد في المجتمـع الأويغـوري ، ممّـا سـاهَم في نشـرها وتطويرها ، ومـن أولئك :

1 – **حمد الله داملا بن الملا عيسى الطورفاني** (1866 م – 1933 م) :

العالـم الشّـهير ، والمفكّـر الإسلامـيّ الرفيـع ، والسياسـيّ القدِيـر ، والمنظِّـم الاسـتراتيجي للانتفاضـة الشـعبيّة .

غـادر بلدَتـه «طورفـان» متّجهـاً إلـى «كاشـغر» ؛ ليبـدأ مسـيرته العلميّـة والتعليميّـة . فالتحـق بـ «مدرسـة خانليغ» ، وفيهـا التقـى عبـد القـادر بـن عبد الـوارث دامُلاَّ فتَعَارفـا وتَصاحَبـا ، وأثمـرت تلـك الصحبـة إصـرارَ «حمـد الله داملا» علـى مواصلـة المسـير في طلـب العلـم ، والاسـتماتة في تحصيلـه وتحمّلـه ، غيـر آبِـهٍ إلـى المعوِّقـات ، ولا مُكتَـرثٍ لِلحـوَادِثِ والأَشـاغيل ، إيمانـاً منـه بـأنّ العلـم هـو النّـور الـذي بـه يَسـتضيء الـدّربَ ، ويُنير السـبيلَ ، فهـو غِـذاء الروح ، وبِنـاء العقـول ، لا يَـخِيب صاحبُـه ، ولا يَضعُـف حامِلـه .

وكانت تلك المبادئ أحد العوامل الرئيسيّة التي دفعت إلى تطوّره لاحقاً ، وتبنّيه للأفكار الثوريّة والوطنيّة .

قضى «حمد الله داملا» رفقةَ زميلِه عبد القادر بن عبد الوارث أربع سنواتٍ مِن الدراسة والتحصيل في «بخارى» و«قوقند» ، واستطاع خلالها اكتساب معارف واسعة في العديد من المجالات ، كما تَضلّع في فُنون العلم مِن اللغات والأدب ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والعلوم الشرعيّة ، وترسَّخ فيها مما جعلَ منه عالماً موسوعِيّاً .

وقد حرَصَ على نشرِ ما تعلّمه مِن معارف ، وعمِل على تطبيق ما اكتسَبه مِن علومٍ ، ورغِب في بثِّها ، تَرويجاً وتعليماً ، فقام بإصلاح طرق التدريس والمناهج السائدة في البلد ، متّبعاً نهجَ زميله العلامة عبد القادر في ذلك ، فشيّد بمساعدة الأثرياء مدرسةً ، وعكف على التدريس ، وبفضل تلك الجهود ، تخرّج على يَدِه العديد مِن العلماء ممّن أناورا «وادي إيديقوت» بنور العلم ، وربما ساعدوا – بقدر استطاعتهم – في تحسين الأوضاع الاجتماعيّة ، وتخفيف أعباء حياة سكّان المنطقة .

ونظراً لِسُمعة «حمد الله داملا» الطيّبة بين الناس ، عيّنته الحكومة المحليّة آنذاك منصِب القضاء في المحكمة الشرعية ، وكلّفته بالتعامل مع الشؤون الداخليّة للبلاد .

فقام بإصلاح قنواتِ المياه الجوفيّة المتضررّة ، ومدّ قنواتٍ جديدةً ، وأحيا كثيراً من الأراضي الموات ، ممّا أنعَش الاقتصاد الوطني الذي كان على شفى الانهيار .

كما أدرك «حمد الله داملا» ضرورة قيام الثورة ؛ لإسقاط النظام الفاسد ، وتحرير الشعب مِن القمع والإذلال ، ومِن أجل مصير الأمة ، حمل السلاح ، وتوجّه إلى العدوّ ، وأصبح – فيما بعد – أحد قادة الثورة .

وساق الله له الشهادة ، فأصِيب بسهم غريبٍ في معركة «لوكجين» مع القاضي رقيب آخون في الثامن من شهرِ مارس ، عام 1933 م ، ونَقل

أهل البلد جُثمانه إلى «طورفان» ، ودفنوه في مقابر أصحاب الكهف الواقعة فيها .

2 – عبد الحميد خان مخدوم بن المفتي راشد الدّين (1923 م – 1981 م) :

كان عالماً ، أديباً ، قاضياً شرعيّاً ، مؤرّخاً ، فهو أحد رجالات العلم والسياسة ممّن تأثر بأفكار العلامة عبد القادر وإن لم تكتَحِل عيناه برؤيته .

كان يجيد اللغة العربيّة ، والفارسيّة ، والصينيّة ، ومِن مؤلفاته : «الغزليات الوطنيّة» و«سبعة أرواح» و«أحكام المسلمين وأسسه» و«السجلات التاريخية» و«شواهد القرآن» و«بدر الدجى» ، إضافة إلى العديد مِن القصائد والأعمال العلمية ، فُقد معظمُها .

توجّه مع زميله «عبد الحكيم مخدوم» إلى «كاشغر» للدراسة ، فالتحق عام 1943 م بمدرسة «خانليغ» ، واتفق هو ورفيقه «عبد الحكيم مخدوم» مع زملاء آخرين في المدرسة على القيام بأنشطةٍ لتنوير شعب تركستان الشرقيّة في جميع أنحاء البلاد ، اقتداءً بسيرة العلامة عبد القادر .

كان يلقي ما بين عامي 1951 م ، و1953م ، دروساً يوميّة للعامّة في التفسير بعد صلاة الفجر ، أتمّ فيها تفسير القرآن الكريم كاملاً .

وبعد استشهاد والده ، خَلفَه في منصب القضاء حتى عام 1951 م ، حيث ألغت الصين الشيوعيّة «المحكمة الشرعيّة» في تركستان الشرقيّة .

وعندما كلِّف عام 1953 م ، مشرفاً على الإشراف الصحيّ ، رفضت والدته «خديجة خانم» ذلك تماماً ، – رغم حثّ زملائه في الفريق على قبول العَرض – قائلةً له : «إنّ والدك استُشهد على يد هؤلاء الصينيين ، فلا يليق بك أن تخدمهم ، بل الأمر اللائق بك أن تخدم قومك ، وإلا فإنهم سيقتلونك أيضاً ، وأنا لن أكون راضيةً عنك في الدنيا والآخرة» .

وفي عام 1956 م ، أسّس مع زملائه : عبد الحكيم مخدوم ، والشيخ عبد الرشيد ، والشيخ محمد عمر ، وأحمد خلفت ، وسليمان داموُلَّا ، والشيخ

محمـود ، ويعقـوب دامُلّا «المنظّمـة الوطنيّـة لتحريـر تركسـتان الشـرقيّة» .

وفي عـام 1957 م ، حضـر الجمعيّـة الوطنيّـة في «تشـينغداو» ، واجتمع وجهـاً لوجـهٍ مـع رئيـس الـوزراء الصينـي ، وأَومَـأ لـه أنّ الصينـيين قالـوا : إننـا جئنـا إلـى تركسـتان الشـرقيّة لتدميـر الكومينتانـغ وحمايـة أمنكـم ، وسـنرجع بعـد سـنواتٍ قليلـةٍ إلـى الـصين .

وفي عـام 1958 م ، بعـث رسـالة إلـى الأمم المتّحـدة ، بنـاءً علـى قـرار المنظمّـة . وفي تشـرين الثانـي (نوفمبـر) مِـن نفـس العـام ، تـمّ اعتقالـه ولـم يُطلَـق سـراحُه إلا عـام 1966 م ، بعـد أن أمضـى قرابـة عشـر سـنوات مِـن حياتـه في السـجن .

وفي عـام 1967 م ، أسّـس بالتشـاور مـع أحمـد ضيائـي ، ورفـاق آخريـن «رابطـة العالـم الإسلامـي ، فـرع تركسـتان الشـرقيّة» ، وكتـب مـع أحمـد ضيائـي ميثـاق المنظّمـة المكـوّن مـن 40 مـادّةً .

لقـد رتّـب العلامـة «عبـد الحميـد خـان مخـدوم» عملـه الهـامّ ، ونظّمـه في كتابـه «سـبعة أرواح» ، ووزّع نسـخته الخطيّـة كدليـلٍ لأعضـاء المنظمـة ، وعلـى الرغـم مِـن عـدم طباعـة الكتـاب ونشـره ، إلا أنـه اشـتُهر في جميـع أنحـاء تركسـتان الشـرقيّة ، وقـد عامَلـتِ الـصين بصرامـةٍ نشـرَ الكتـاب ، وحكمـت بالسـجن علـى مَـن قـرأه .

اعتُقـل عـام 1969 م ، ثـمّ أطلـق سـراحه في 12 كانـون الثانـي (ينايـر) عـام 1981 م ، بعـد أن قـام الجلادون الصينيـون بتسـميمه ، بحـث لـم يُفِـد معـه الـعلاج ، ففاضَـت روحـه إلـى بارئهـا في 22 سـبتمبر ، مـن نفـس العـام (1981) م .

3 – **شمس الدّين دامُلّا** (1881 م – 1934 م) :

مِـن أبـرز علمـاء الأويغـور الذيـن أسـهموا إسـهاماتٍ كبيـرةً في مجـال التعليم والتربيّـة للشـعب الأويغـوري خاصّـة ، وشـعوب تركسـتان الشـرقيّة عامّة .

التحـق بمدرسـة «خانليـغ» في كاشـغر ، ومكـث بهـا عشـر سـنوات ، ثـم رحل إلـى «بخـارى» عـام 1908 م ، لإرواء ظمئـه العلمـي ، وأقـام بهـا تسـع سـنوات ،

ولـولا الفوضـى التـي اندلعـت في آسـيا الوسـطى عـام 1917 م ، وأشـلّت التعليـم في بخـارى ، لَــمَا اضطُـرّ للعـودة إلـى مسـقط رأسـه ، وأصبـح مدرّسـاً مـن الدرجـة الثانيـة في مدرسـة «خانليـغ» .

وفي عـام 1924 م ، حـرّك طلابَ المدرسـة – تحـت قيـادة العلامـة عبـد القـادر – فحشـدوا الشـعب ، ونظّمـوا حركتـه العمليّـة ، وسـاروا إلـى مركز التوزيـع الديني للجمعيّـة المسـيحيّة السـويديّة بــ «كاشـغر» ، فأحرقوه ، ودمـروا المطبعـة والمعدات ، وبعـد استشـهاد العلامـة عبد القـادر ، تولى «شـمس الدّيـن دامُلاَّ» إدارة المدرسـة .

وفي عــام 1929 م ، ســافر لأداء فريضــة الحــج ، وبعــد أداء المناســك ، زار مصــر ، وتركيــا ، ووســط آســيا ، وعــاد إلــى الوطــن الأمّ عــام 1931 م .

وكانـت للعالـم «شـمس الديـن دامُلاَّ» مكانـة رفيعـة بين العلمـاء والشـعب ؛ لذلــك عيّن وزيــراً للأوقــاف بـــجمهورية تركســتان الشــرقيّة الإسلاميّــة التــي تأسســت عــام 1933 م ، في «كاشــغر» .

وفي 13 أبريـل مـن عـام 1934 م ، عُقِـد اتِّفـاقٌ سـريّ بين «خوجـا نيـاز» وبين «الاتحـاد السـوفيتي» ، يقضـي بــمُوجبه بيع الاتحـاد السـوفيتي أسـلحة حربيّـة لــ «خوجــا نيــاز» شــريطة أن يســلّم وزراء حكومــة «جمهوريــة تركســتان الشــرقيّة الإسلاميّــة» إلــى «شــنغ شــي ســاي» ، فقبـض الخائــن «خوجـا نيـاز» علــى وزراء الدولـة ، وكان مِـن بينهـم : ثابـت دامُلاَّ ، وظريـف قـاري ، وسـلطان بـك ، وسـلّمهم إلـى «شــنغ شــي ســاي» .

أمّـا «شـمس الديـن دامُلاَّ» فاختبـأ في مقاطعـة «مـارال باشـي» ، حتـى غيَّبـه المـوت في أكتوبـر مِـن نفـس العـام ، بعـد معانـاةٍ شـديدةٍ من التهـاب المعـدة الحادّ ، ودفــن هناك .

لقـد كان عالمنـا «شـمس الديـن دامُلاَّ» شـاعراً مقتـدِراً ، وكاتبـاً موهوبـاً علـى وجـه الخصـوص ، بـرَعَ في كتابـة الغـزل والرباعـي ، والقصائـد الطويلـة . ولكـن مـع الأسـف لـم تصلنـا قصائـدُه بسـبب تقلّبـات الزمـان علـى الرغـم مِـن كتابـة معظمهـا باللغـة العربيّـة ، فجُـلّ مـا نعرفـه مِـن قصائـده مَرثيّتـه التـي رثـا بهـا

العلامـة عبـد القـادر حين أسـلم روحَـه إلـى بارئهـا شـهيداً :

أيا شجرة الرمان ما لك نظرة

كأنك لم تجزعي لابن الوارث

ومـن أعمالـه : «مهمّـات الـزوجين» ، بيّن فيـه واجبـات المـرأة تجـاه الرجـل ، وتربيـة الأبنـاء ، وواجبـات الرجـل تجـاه المـرأة والأسـرة ، وتحتـوي أول 12 صفحـة منـه ، علـى تفسـير سـورة الفاتحـة ، ألّفـه في كاشـغر عـام 1313 هـ ، وطُبـع عـام 1908 م ، في «طشـقند» بـدار طباعـة غلاميـة ، وأعيـد طبعه في كاشـغر عـام 1374 هـ (1954 - 1955 م) .

4 - قُطْلـوغ شـوقي بـن عبـد الرحيـم بـك الكاشـغري (1876 م — 1937 م) :

مِـن أهـمّ شـخصيات الفكـر الإصلاحـي البـارزة في تاريـخ تركسـتان الشـرقيّة الحديـث ، أو لِنقُـل في القـرن العشـرين . كان عـالماً بـارزاً ، وفقيهـاً كبيـراً ، وشـاعراً بارعـاً ، ومفكـراً عظيمـاً ، أُولِـع بالعلـم والمعرفـة ، حتـى أصبـح مرجعـاً دينيّـاً في العلـوم الإسلاميّـة .

بعـد أن تلقّـى تعليمـه الأوّلـي في مسـقط رأسـه ، ارتحـل لطلب العلم ، فسـافر إلـى الحجـاز لأداء مناسـك الحـج رفقـة والـده ، ثـم توجّـه إلـى مصـر ، والتحـق بالأزهـر ، ودرس فيهـا الشـريعة الإسلاميّـة واللغـة العربيّـة ، ثـم غادرهـا متّجهـاً إلـى إسـطنبول عاصمـة الخلافـة العثمانيـة ، ومنهـا واصَـل مِشـواره إلـى بخـارى لمواصلـة رحلتـه العلميّـة .

وقَـف العلامـة «قُطْلـوغ شـوقي» - في رحلتـه تلـك - عـن قُـرب علـى أحـوال العالـم الإسلامـيّ ، ومـا شـهِد مِـن تغيـراتٍ كبيـرةٍ ، كمـا شـهِد أيضـاً موجـة الثـورات الديمقراطيّـة في العالـم العربـي ، وآسـيا الصغـرى ، وروسـيا ، وآسـيا الوسـطى ، والتـي بـدأت في العقـد الأخيـر مـن القـرن التاسـع عشـر .

رفَـع رايـةَ الإصلاح والتجديـد مع العلامـة عبـد القـادر في حياتـه ، وواصـل المسـيرَ بعـد استشـهاده ، مسـاهماً في نشـر الوعـي والتوعيّـة بأهميـة الإصلاح

والتحـرر .

تميّـز بإصـدار سلسـلةٍ مِـن القصائـد والمقـالات السياسـيّة تحـت اسـم مسـتَعارٍ «شـوقي» ، أبـداع فيهـا ، وكانـت تحمل رسـائل هامّـة ، ودعـوات للإصلاحً والتحرّر مـن الاحـتلال والقمـع ، كمـا أنّـه سـخّر شِـعرَه وكتاباتـه لنشـر الفكـر الإصلاحي والتجديـدي ، وإحيـاء الـروح الوطنيّـة والدينيّـة في المجتمعـات الإسلاميّـة ، وقـد خاطـب قومـه في قصيدتـه «الصحـوة» :

إذا ناضلنـا مِـن أجـل الحريـة نعيـش في شـرفٍ
افتح عينيك يا شـعبي استيقظ الأرض والسماء
ابتهـج المسـتيقظون اشـتكى النائمـون
إن لم تحزن نفسـك فقد اسـتيقظت عنبرة الشتاء
هلـم نسـتيقظ مِـن السـبات والنيـام عدونـ
لقـد اسـتيقظ العالـم كلّه ضـد السـفه والجهلاء

وقـد كافـح بلا هـوادةٍ ؛ لنشـر الوعـي السياسـي والاجتماعـي والدينـي بين النـاس ، ودعـم حـركات التحـرّر والإصلاح في الـبلاد لتحقيـق طموحاتـه النبيلـة ، فأصـدر عـام 1933 م جريـدة «أركين حيـاة» (الحيـاة الحـرة) ، وبعـد توقّـف نشـر هـذه الصحيفـة لفتـرة وجيـزة ، ثـمّ أعيـد إحياؤهـا تحـت مسـمّى جريـدة «ينـي حيـاة» (الحيـاة الجديـدة) ، وفي عـام 1936 م ، تغيّـر اسـمها إلـى «جريدة كاشـغر» ، واسـتمرّ نشـرها حتـى عـام 1949 م .

وفي أبريـل 1937 م ، لـم تكتَـف حكومـة «شـنغ شـي سـاي» باعتقالـه ، بـل تعـرّض مـع ذلـك للاضطهـاد مِـن قِبـل السـلطات الصينيّـة ؛ حيـث ألقتـه في زنزانـةٍ في مدينـة «كاشـغر» ، ثـمّ لـم يلبَـث جلّاد «شـنغ شـي سـاي» حتـى أضرم النّـارَ في السّـجن بتوجيهـاتٍ مِـن الاتحـاد السـوفيتي ، فارتقـى ومَـن كان معـه في السـجن شـهداء في فاجعـةٍ مأسـاويّة .

ألّـف العلامـة «قُطْلـوغ شـوقي» كتبـاً عديـدةً ، ويُعـدّ «تاريـخ كاشـغر» مِـن أشـهر كتبـه ، ولا يـزال محفوظـاً في متحـف أورومجـي .

وفاته ورثاؤه

أوقَف العلامة عبد القادر حياتَه على توعِية أمّته وتعليمها ، فبَعثَ الصحوة الإسلاميّة ، ورسّخ العقيدةَ الصحيحةَ الصافيةَ ، ورفع مستوى الوعي حول أنشطة المبشّرين وأخطارها ، وقاوم أعداءَ البلاد ، وناضَل عن الحِمى والأعراض ، أصلح التعليم ، وجدّد طرائق تدريسه ، ونشر العلوم الإسلاميّة ، حتى ارتقى شهيداً في هذا السبيل .

ولقد كان لوفاته - رحمه الله - تأثيرٌ قويٌّ على البلاد ؛ حيث أدّى هذا الحادث الأليم إلى خسائر هائلةٍ ماديّةٍ ومعنويةٍ ، كما كان له تأثير أقوى على العباد ، حيث صُدم الشعب الأويغوري بأكمله - خاصّة أهل كاشغر منهم - مِن هَول المصيبة وفداحتها ، جسّدتها تلك اللَّوَعات التي باحت بها قلوب محبّيه .

فقد وصَّفَ «قتلوغ شوقي» رحيلَ صَفِيِّه إلى الأبد «الإمام عبد القادر» بأنّه : النّجم الساطع الذي قاد الأمّة مِن الظلام إلى النّور ، سقط مِن سماء «كاشغر» .

وعبّر «عالم جان عنايت» عن رَزيّة الشعب الأويغوري بمصابهم الجَلَل ، قائلاً : إنّ موت العلامة عبد القادر المفاجئ كان خسارةً لا يمكن تعويضها للشعب الأويغوري .

وحينما علم باستشهاده المحدّث «محمد أنور» - أحد أقطاب علم الحديث في الهند - ، قال : لعلّ الله يحدِث بعد ذلك أمراً ، تشاؤماً باستشهاده .

في صبيحة يوم 14 مِن أغسطس عام 1924 م ، صحَا سكّان مدينة «كاشغر» على أمر فاجع ، وتلقّت الأمّة في صَحْوَة النّهار - بقلوب مَكلُومة ، وعيونٍ دَمْعَى - نبَأ استشهاد الإمام عبد القادر - أنزلَ الله عليه شآبيبَ

رحمتـه – علـى يـد أجيـرٍ ، مدفـوعٍ مِـن قِبَـلِ الحـكام المعتَديـن الغاشـمين ، فتـورّط هـذا الخَسِـيس في عمليّـةٍ قـذِرَةٍ – مؤيَّـداً مِـن قِبَـلِ السـفارة البريطانيّـة في تلـك الفتـرة [1] – حيـث أقـدم علـى اغتيـال الإمـام بـدمٍ بـاردٍ ، مقتحمـاً عليـه منزلـه [2] في هَجيـع ليلـة 14 مِـن أغسـطس بــ «كاشـغَر» ، فترجّـل الفـارس ، وارتقـى شـهيداً عنـد ربّـه .

أمّـا قاتلـه فلـم يـزد عـن كونـه مُنـذَلّاً نـذِيلاً ، تلوّثـت يَـداه بدمـاء الإمـام الزكيّـة ، وهلَكَـت نفسُـه ، وهَـوَت – كالمجـرمين – لِقَعـر السـعير .

ولــم تكن السفارات الأجنبيّة بِــمَنْأىً عن هذا الــحدَث الــجَلل ، بل كان لهـا دورٌ في واقعـة اغتيـال الإمـام عبـد القـادر الأليمـة ، حيـث كانت السـفارتان البريطانيّـة والسـويديّة منزعجَـتَين مـن نشـاطاته ضـدّ فعّاليّاتهـم التبشـيريّة ، في حين كان تَوَجُّسُ السـفارتين السـوفياتيّة والبريطانيّـة كَبيـراً مِـن عَرقَلـة السـلطة السياسـيّة اللـتين تسـيطران عليهمـا في تركسـتان الشـرقيّة ، وتخوّفهمـا مِـن انـدلاع ثـورةٍ تنتقـل شـراراتها إلـى الإمبرياليّـة في البلـدان المجاورة ، مثـل الهنـد التـي كانـت تَـرْزَح تحـت وَطْـأَةِ الغـزو البريطانـي ، وتركسـتان الغربيّـة ، التـي مـارس عليهـا الاتحـاد السـوفيتي كلّ أشـكال القمـع ، وصنـوف الاسـتبداد ؛ لـذا اِرتَأتـا أنـه لا بـدّ مِـن وضـع حـدٍّ لأيّ خطـرٍ يقِـف في طريقهمـا ، أو يُهـدّد وجودهمـا ، ولــم يكـن أمامهمـا مِـن خيـارٍ لاسـتِبقاء وجودهما سـوى شـلّ يمين حامـل لـواء الإصلاح ، وذلـك حين أدركـوا أنّ إحيـاء الصحـوة الإسلاميّـة في تركسـتان الشـرقية ، نِتـاجُ لحملـة الإمـام عبـد القـادر التعليميّـة ، والثقافيّـة ، والدعويّـة – بوصفهـا حركـة إصلاحيّـة – .

أمّـا موقـف السـلطات الصينيّـة مِـن حـادث الاغتيـال ، فلـم يكـن أقـلّ

(1) مۇھەممەد تۇرسۇن ئەھمەد، يۈز مەشھۇر ئۇيغۇر، (ئىستانبول: سۇتۇق بۇغراخان نەشرىياتى، 2017)، 2/19.

(2) 马良春、李福田主编，中国文学大辞典 · 第五卷，天津人民出版社，1991年，第3374页 .年铁木尔 · 达瓦买提 主编，中国少数民族文化大辞典：西北地区卷，民族出版社，1999年

خِزياً مـن السـفارات الأجنبيّـة ، وهـي التـي أَمعَنَـت في سياسـة القمـع ، والتضييـق علـى الشـعب التركسـتاني ؛ للحيلولـة دون أيّ حـراكٍ سياسـيّ ، أو اجتماعـيّ يهـدف إلـى الــمناداة بالحريّـة والاسـتقلال ، ومارسَـت سياسـة التجهيـل والتعليـم المحدود ، واسـتخدمت تدابيـرَ صارمـةً لــمنع وصول الشـعب التركسـتاني إلـى المعلومـات والأفكار الــحرّة ، بهـدف تثبيط نشـاطاتهم الثوريّة ، وعرقَلَتهـا ، ومنعهـم مِـن الاسـتيقاظ مِـن غفلَتهـم .

فلقـد أسـعد السـلطات الصينيّـة اغتيـال العلامـة عبـد القـادر ؛ لأنّهـا لــم تكـن تـرى في حركتـه الإصلاحيّـة والدعويّـة إلا كابوسـاً متسـلِّطاً علـى مطامِعهـا السياسـيّة الرامِيـة لبَسـط نفوذهـا علـى تركسـتان الشـرقيّة ، والسـيطرة علـى كامـل أراضيهـا ، وقـد انـزاح عـن طريقهـا ، بـل مـا زاد الأمرُ لديهـا خِسّـةً ونذالـةً أنهـا لــم تُقِـم أيّ وزنٍ أو اعتبـارٍ لمشـاعر نــجلِ الإمـام الحزينـة الشـيخ «عبـد العزيـز مخـدوم» ، الـذي انفطـر قلبـه حزنـاً ، وتقطّعت نفسـه حسـراتٍ علـى الداهِيـة التـي فجِـع بهـا في والـداه ، فعنـد مـا تناهـى إلـى عِلمِـه الخبـر ، سـارَع إلـى العـودة مِـن الهنـد مضطـرّاً – بعـد أن تـرك دراسـته – طامحـاً إلـى العدالـة لِتقتـصّ لـه مِـن الجانـي ، وتأخـذ بثـأر والـده ، وبعـد محاولاتـه تقديم شـكاوى لأكثـر مِـن جهـةٍ ، بـاءت جهـودُه بالفشـل ، فلـم يكـن مِـن السـلطات الصينيّـة إلا أن كافأتـه علـى محاولاتـه تلـك باعتقالـه ، والـزجّ بـه في سـجونها ؛ لِيَقضـي في غَياهِـب ظُلُماتهـا أكثـر مِـن 42 سـنة مِـن حياتـه ، ظلمـاً وعدوانـاً .

وهكـذا أغرقـت هـذه المؤامـرة الدمويّـة مدينـة «كاشـغر» بأكملهـا في أعمـق حـالات الــحزن والــحِداد ، ولا تـزال هذه الذكـرى الموجِعة لهـا الأثر البالـغ علـى الشـعب الأويغـوري بشـكلٍ عـامّ ، وأهالـي مدينـة «كاشـغر» بشـكلٍ خـاصّ ، فعلـى الرغـم مِـن مـرور عقـودٍ علـى حـادث الاغتيـال الأليـم ، إلا أنّ ذاكـرة شـعب تركسـتان الشـرقيّة لا تـزال مليئـةً بالــحزن والألــم ، وكلّمـا حلّـت ذكـرى هـذه الفادِحـة العظيمـة ، أثـارت في نفـوس النـاس المواجِـع ، وجـدّدتِ الأحزان ، وفتحتِ الــجِرَاحَ الــمَدْمُوسةَ ، وكدّرَت سـاعاتِ الصَّفـا ، ولله الأمـر مِـن قبـل ، ومِـن بعـد .

إنّ رحيلَ علماءِ الأمّة رَزِيّةٌ عُظمى ، ومصِيبةٌ كبرى . قال الحسن البصري رحمه الله : «موت العالم ثُلْمَةٌ في الإسلام لا يَسدُّها شيءٌ ما طرد الليل والنهار» [ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله] .

فبعد أن نفضَ الناس أيدِيَهم مِن التراب الذي وارَوا به جثّة العلامة عبد القادر ، راحَ أهالي «كاشغر» ينشدون قصائد رثاء في إمامهم :

هل اهتزت الصخور؟
أم ومض البرق الشديد؟
وهل أجرت نهر تومان دمًا؟
أم انقلب مجراه؟
أم تلوّثت سماء كاشغر؟
أم اغبرت بالعِثْيَر والقَسطَل؟
وهل تفلَّعت قصور كاشغر وإيواناته
أم احتلها الحزن والحرد؟
ظننّا أن الشمس لا تنكسف
وأن القمر لا ينخسف
وظننا أن الديوث والكاشح
لا يستطيعا أن يغتالاك
كنت عندليبا في الحديقة
وتغني في كل مكان
لقد فصلك العدو عنـ
في أسوأ الأيام وأصعبهـ
أليس اسمك عبد القادر
فهو أجمل الأسماء
أو لم تقض حياتك
تقود الشعب بالهدى

قتلــك الأعــداء

والخصــوم الغيــرة

جــرت الدمــوع كالســيل

وبكــت العيــون مــن الأســى

جعــل الله الجنــة مثــواك

وجعــل الولــدان خدمــك

لــن ننســاك أبــد

في قلوبنــا خالــد

كما رثاه جمهرة من العلماء والمفكرين داخل البلاد وخارجها ، ومنهم العلامة مفتي روسيا «فخر الدّين رضا» ، والشيخ العلامة «محمد مراد الرَمزي» (1) في قصيدته اليائية ، المكوّنة مِن 160 مصرعاً ، قال فيها (2) :

صبت لو أنها صبت

على الأيام صرنا لياليــ

كما جاء فيها أيضاً :

جماع كل فضيلة قلاع كل

ذميمة لطريق حق داعيــ

(1) مراد رمزي : هو مراد الله بن بهادر شاه عبد الله بن عادل شاه بن إسحاق ، المشتهر بمراد الرمزي ، العالم البارز ، والمفكر الإسلامي ، والمصلح ، والداعي إلى وحدة الأمة الإسلامية ، ولد في عام 1854م في مقاطعة أرينبورغ ، زار بخارى وطشقند ، ودرس في مدارس بخارى ثم في مكة ، جاء إلى تركستان الشرقية 1919م بعد اطلاق سراحه في منفاه سيبيريا ، واستقر في مدينة جوجك واشتغل بالتدريس والإمامة ، ومن كتبه الشهيرة : «تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار وملوك التتار» توفي في عام 1936م .
Рамзи М. Талфик аль-ахбар... Т. II. С. 412. Талфик аль-ахбар ва талких Научн. ред., ‹ аль-асар фи вакаи‘ Казан ва Булгар ва мулюк ат-татар авт. вступ. статьи и комментариев С. И. Хамидуллин. — Уфа: БашГУ; ЦИИНБ «ШЕЖЕРЕ»; НБ РБ; Китап, 2017. С12ç

(2) محمد قاسم ، أعلام تركستان ، ص 416 .

وقال في آخرها :

أعنـــى بذلــك الشـــيخ عبــد القــادر

لأرتوجـــي المشـــهد الغازيــ

ولا شـكّ أنّ العلمـاءَ هـم أكثـر مَـن يَتجـرّع حـرارةَ الفِـراق ، ويُلَوِّعـه فُقـدان الأحِبّـة والرِّفـاق ؛ فهـم علـى نهـج إخوانهـم سـالكون ، وعلـى هديهم سـائرون ، ولمنزلتهـم حافظـون ، وبعلمهـم مُتنـوِّرون ، وهكـذا كان حـال أصحـاب العلامـة عبـد القـادر ورفاقـه في الصحـوة الإسلاميـة ، فمـا أن وَارَوْه الثّـرى حتـى فاضَـت مدامِعُهـم ، وانْسـابَت يراعُهـم في بَنانِــهم ، وتفَتَّقت أذهانُــهم عن مَراثي لــَهْبى كمَـداً وحزنـاً ، ومِـن تلـك الــمَراثي مرثيـة «قتلـوغ شـوقي» ، صَفـيّ الإمـام عبد القادر وجلِيســه :

إحــداث الضوضــاء ونشــر الشــر ســمة هــذا العصــر

الظلــم والضيــم عادتــه والرحمــة ليــس لهــا مــن أثــر

واعجـــباه تلــك هـــي الأيــام دول

الشــر كســب الجاهــل أســتاذه الخنــاس بالصــدور

لا وفــاء للدنيــا الفانيــة ولا نقــاء وصلاح في الضــال

الجــور أفــكار وتصــورات ، الرجــال لا لهــم ثمــر

أيهــا الســيد العظيــم أنــت معــدن الحــق والهمــم

عشــت للأمــة دائمــا والحــزن صاحبــك بالليــل والنهــار

الإصلاح هدفــك والحــق سلاحــك لأجــل البلــد

الخصوم الجهلاء صيادون سلاحهم سـيوف ومعاولهم(1)

لقــد رحلــت يــا مرشــدنا يــا ويلاه يــا ثبــوراه

وتركــت البلــد بلا ســادة ولا قــاده

(1) نوع قديم من السلاح يشبه الفأس .

وهجرتنـا بالحيـرة وأفلـت يـا نجـم الظلمـاء
وشـددت الرحـال بالسـفر فوقعنـا في الحيـر
أصبحنـا فقـراء إلـى الأبـد لا رجـل مثلـك
إن رحـل أهـل الكمـال فيغشـى العمـى بصـر
يـا رب! لطفـك لا تـدع القـوم كالأنعـام
وهـب لنـا الخلـق والكمـال والعقـل والنظـر
اليـوم يـوم حـدادي بفـراق صاحـب الكـرم
يـا حسـرتاه رحـل العالـم واختبـأ كالقمـر [1]

وعندما اغتيـل العلامـة عبـد القـادر ، كان «محمـد علـي توفيـق» – أحـد روّاد الحركـة التنويريـة في مقاطعـة «جوجـك» – مغـادراً إلـى تركيـا ، فألقـى مَرثيتَه الـمُحزِنة :

أيهـا المسـلمون! تعلّـم الكفـار وتقدّمـوا علينـ
رأينـا اجتهـادَ الكفّـار فتحسّـرنا
أيهـا الأرواح! افتحـوا العيـون واسـتيقظو
ليعـش الأيتـام ولتبتهـج كلّ أمّتنـ
عـاش أجدادنـا في الجهـل والغفلـة
لـم تبـق لنـا الحكـم مـن أمهاتنـ
ذُكِـر الحـق المـبين في الذكـر الحكيـم
نقـرأه لا نتدبـره لسـانه صعـب علينـا
لا يـبين العارفـون هـذا الفرقـان لنـ

(1) باتـۆر روزى، ئابدۆقادىـر دامـوللام، ش، خەلـق نەشـرىياتى، 2003، 1ـ نشـر، ص 102.

يطيــر الكفــار في الهــواء كالطيــور الكبــار
نحــن في أســفل ســافلين فكــروا يــا قومنــ
فتحــت أبــواب الحكــم علــى الكفــار
رَزقهــم بمــا كســبت أيديهــم ربّنــ
أَكــرمْ مــن قــادك لــم يولــد نبــراس لنــ
رحــل عبــد القــادر دمــه مهــدور
اغتيالــه علَّمنــا الحــقّ والباطــل

قــال الشــيخ «عِنايــت مخــدوم» – وهــو تلميــذ العلامــة عبــد القــادر – الذي تــوفي في الســعودية عــام 1948 م : «لــو جمِعــت قصائــد التعزيــة ، والمقــالات التــي كتِبــت لوفــاة داملا عبــد القــادر بــن عبــد الــوارث في آســيا الوســطى ، والهنــد ، ومصــر ، وقــازان ، وكشــمير – لكوّنــت عــدّة مجلــداتٍ»[1] .

(1) بعــدم متوفــرة هــؤلاء الرثــاء ، ذكــرت بعــض رثــاء التــي ألقيــت باللغــة الأويغوريــة ترجمــة إلــى اللغــة العربيــة .

الفصل الثالث : التبشير في تركستان الشرقيّة

- تعريف التبشير لغةً واصطلاحاً .
- تاريخ التبشير في العالم الإسلاميّ .
- تاريخ التبشير في تركستان الشرقيّة قبل الفتح الإسلاميّ .
- تاريخ التبشير في تركستان الشرقيّة بعد الفتح الإسلاميّ .
- أصناف المبشّرين المشتغلون بحركة التنصير في تركستان الشرقيّة .
- الأسباب الرئيسيّة لقدوم المبشّرين إلى تركستان الشرقيّة .
- تعريف موجَز ببعض مبشّري تركستان الشرقيّة .
- وسائل التنصير المتَّبَعة في تركستان الشرقيّة .
- أنشطة المبشّرين في جنوب تركستان الشرقيّة .
- أنشطة المبشّرين في شمال تركستان الشرقيّة .

الفصل الثالث
التبشير في تركستان الشرقيّة

تعريف التبشير لغةً واصطلاحاً :

أصـل التبشـير في اللغـة : الإخبـار بما هـو خيـرٌ ، أو تبليـغ مـا هـو خيـرٌ ، ولكـن واقـع حـال المبشّـرين الصليبـيين وأهدافهم مِن التبشـير ، جعلت التبشـير يحمـل معنـى آخـر غيـر معنـاه اللغـوي الأصلـي [1] .

فالبشـارة المطلقـة لا تكـون إلا بالخيـر ، كقولـه تعالـى : (وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّـةِ الَّتِـي كُنْتُـمْ تُوعَـدُونَ) [2] وإنمـا تكـون بالشـرّ إذا كانـت مقيّـدةً بـه ، كقولـه تعالـى : (فَبَشِّـرْهُمْ بِعَـذابٍ أليـم) [3]

جـاء في معجـم مقاييـس اللغـة : يقـال : بَشَّـرْتُ فُلَانـاً أُبَشِّـرُهُ تَبْشِـيراً ، وَذَلِـكَ يَكُـونُ بِالْخَيْـرِ ، وَرُبَّمَـا حُمِـلَ عَلَيْـهِ غَيْـرُهُ مِـنَ الشَّـرِّ ، وَأَظُـنُّ ذَلِـكَ جِنْسـاً مِـنَ التَّبْكِيـتِ .[4]

وجـاء في لسـان العـرب لابـن منظـور : التبشـير يكـون بالخيـر والشـر ، والبشـير هو : المُبَشِّـرُ الَّـذِي يُبَشِّـرُ الْقَـوْمَ بأَمـر خَيْـرٍ أَو شـرٍ [5] .

---

(1) عبـد الرحمـن حبنكـة الميدانـي ، أجنحـة المكـر الثلاثـة وخوافيهـا ، ط 8 . (دمشـق : دار القلـم ، 1420هـ - 2000م) ، ص58 .

(2) سورة فصلت ، الآية : 30 .

(3) سورة الانشقاق ، الآية :24 .

(4) الـرازي ، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القزوينـي الـرازي ، أبـو الحسين ، معجـم مقاييـس اللغـة ، المحقـق : عبـد السـلام محمـد هـارون ، (دار الفكـر ، 1399هـ - 1979م) ، 1/251 .

(5) ابـن منضـور ، محمـد بـن مكـرم بـن علـى ، أبـو الفضـل ، جمـال الديـن ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـى الإفريقـى ، لسـان العـرب ، الحواشـي : لليازجـي وجماعـة مـن اللغـويين ، ط 3 . (بيـروت : دار صـادر ، 1414 هـ) ، 4/160 .

وجـاء في الصحـاح : وبشّـره مِـن البشـرى ، وبابـه نصـر وأبشـره أيضـاً ، وبشّـره تبشـيراً ، والاسـم البشـارة بكسـر البـاء وضمهـا . ويقـال أيضـاً : بشـره بكـذا بالتخفيـف ، فأبشـر إبشـاراً أي : سـرَّ [1] .

وجـاء التَّبْشِـيرُ في عُـرْفِ اللُّغَـة مُختـصٌّ بالخَبَـرِ الَّـذِي يُفِيـدُ السُّـرُورَ ، إلّا أَنـه بِحَسَـبِ أَصْـلِ اللُّغَـةِ عبـارةٌ عَـن الخَبَـرِ الَّـذِي يُؤَثِّـر فِي البَشَـرةِ تَغَيّـراً [2] .

أمّـا في الاصـطلاح : فتعبيـرٌ أطلقـه رجـال الكنيسـة النصرانيّـة علـى الأعمـال التـي يقومـون بهـا لتنصيـر الشـعوب غيـر النصرانيّـة ، ولاسـيما المسـلمون ، بهـذا عرّفـه الميدانـي .

ثـمّ تحـوّل هـدف التبشـير داخـل الشـعوب المسـلمة إلـى غايـة التكفيـر ، وإخـراج المسـلمين مـن دينهـم ، ولـو إلـى الإلحاد ، والكفـر بـكلّ ديـنٍ .[3]

ويظهـر مِـن مصطلـح «التبشـير» أنـه مـرادفٌ للتنصيـر مِـن جهـةٍ ، وهـو : تحويـل النـاس مِـن ديانتهـم التـي يدينـون بهـا ، – سـواء كانـوا مـن المسـلمين أم مِـن غيـر المسـلمين – إلـى الديانـة النصرانيّـة ، كمـا حـدث ويحـدث في الواقـع في العالـم الإسلامـي وغيـره .

وثَمّـة جهـةٌ أخـرى تختلـف عـن سـابقتها ، وهـي : أنّ التبشـير يقـوم علـى الدِّعايـة والإغـراء ، وأمـا التنصيـر فيعتمـد – عـادةً – علـى القـوّة والإكـراه ، ممـا يـؤدي إلـى إجبـار الكثيريـن علـى التحـوّل إلـى المسـيحيّة .

ومـع وجـود ذلـك كان الفـرق بين الكلمـتين ، إلا أنّ مُؤداهمـا يصـبّ في

(1) الفارابـي ، أبـو نصـر إسـماعيل بـن حمـاد الجوهـري الفارابـي ، الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة ، تحقيـق : أحمـد عبـد الغفـور عطـار ، ط 1 . (بيـروت : دار العلـم للـملايين ، 1407 هـ – 1987م) ، 2/590 .

(2) الـرازي ، تفسـير الـرازي ، 20/54 . محمّـد مرتضـى الحسـيني الزَّبيـدي ، تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس ، تحقيـق : جماعـة مـن المختـصين ، وزارة الإرشـاد والأنبـاء في الكويـت – المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب بدولـة الكويـت ، أعـوام النشـر : (1385 – 1422 هـ) ، 10/185 . الفيـروز آبـادي ، قامـوس المحيـط ، التعليـق : الشـيخ أبـو الوفـاء ، (بيـروت : دار الكتـب العلميـة ، 1971م) ، 2/17 .

(3) عبد الرحمن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ص58 .

هـدفٍ واحـد – كمـا انبثَقـا مِـن منبـعٍ واحـدٍ – ، وهـو : الحقـد والكراهيّـة للإسلام والمســلمين .

ويؤكّـد هـذه الحقيقـة مقولـة دروزة في حقيقـة المبشـرين : «وهـم (أي المبشـرون) قبـل كلّ شـيءٍ عـملاء ومطايـا للحاقديـن مِـن رجـال الـدول الغربيّـة الاسـتعماريّة الدينـيّين والسياسـيّين الذيـن كانـوا ، وظـل أسلافهـم يتضامنـون مـع أسلافهـم ضـدّ الإسلام والمسـلمين ، منـذ حركـة الفتـح الإسلامـي الأول ، ثـم في الحـروب الصليبيّـة ، ثـم في المحاولات الاسـتعماريّة الحديثـة» .[1]

يقـول جـاك مندلسـون : «حين تكـون حالـة الشـباب الإفريقـيين سـعيدة ، فإنهـم لا يتعبـون مِـن ترديـد القصـة القديمـة : إنّ المبشـرين جـاؤوا إلينـا ، وقالـوا إننـا نريـد أن نعلّمكـم العبـادة ، وقلنـا : حسـناً ، إنّنـا نريـد أن نتعلّـم العبـادة . وطلـب المبشِّـرون أن نُغلِـق أعيننـا ، ووجدنـا الإنجيـل في يدنـا ، ووجدنـا أراضينـا قـد اغتُصِبـت»! [2] .

(1) عبـد الفتـاح أحمـد أبـو زايـدة ، التبشـير والغـزو الاسـتعماري ، ط 1 . (مالطـا : منشـورات مجلـة رسـالة الجهـاد ، سـنة 1988م) ، ص20 .

(2) أحمـد عبـد الوهـاب ، حقيقـة التبشـير بين الماضـي والحاضـر ، (القاهـرة : مكتبـة وهبـة ، سـنة 1981م) ، ص133 .

تاريخ التبشير في العالم الإسلاميّ

أثّــرت الحــروب الصليبيّــة بعــد هزيمــة الصليبــيّين فيهــا ، وخســارتهم للأراضــي المقدّســة ، علــى تصــورات المســيحيين تجــاه الإسلام والمســلمين ، حيــث وجــدوا أنفسَــهم عاجزيــن عــن مواجهــة الإسلام بالقــوة العســكريّة ، وهــذا مــا دفعهــم إلــى التفكيــر مليّــاً في إيجــاد بدائــل تحقّــق لهــم نتائــج أفضــل ، وتجلــب لهــم منافــع أوفــر حظــاً – مــع تفــادي الخســائر في الأرواح – .

فقادهــم تفكيرهــم إلــى ابتــكار طريقــةٍ جديــدةٍ للقضــاء علــى الإسلام ، وهــي المتمثّلــة في التبشــير ، والدعــوة إلــى المســيحيّة .

يقــول رشــتر : خابــت دول أوربيــة في الحــرب الصليبيّــة الأولــى مــن طريــق الســيف ، فــأرادت أن تثيــر علــى المســلمين حربــاً صليبيّــة جديــدة مــن طريــق التبشــير ، فاســتخدمت لذلــك الكنائــس والمــدارس ، والمستشــفيات ، وفرّقــت المبشــرين في العالــم ، وهكــذا تبنّــت الدولــة حركــة التبشــير لمآربهــا السياســيّة ، ومطامعهــا الاقتصاديّــة [1] .

ومــا زال التحامــل علــى الإسلام ، والحقــد الــدّفين للمســلمين ، مســتمرّاً لــم يــخْبُ لهبُــه ، ولا خمــدت شُــعلَته ، بــل تسعّــرت حَربُــه ، واشــتدّت حِدّته حتــى في القــرون التــي تلــت تلــك الحــروب إلــى عصرنــا الحاضــر ، وقــد وضّــح الدكتــور عمــارة أنّ إســاءة [2] بابــا الفاتيــكان بنديكتــوس للإسلام لــم تكــن حماقــة ، ولا صدفــة ، ولا خطــأ غيــر مقصــود ، بــل إنهــا – وبالدليــل القاطــع

(1) A History of Protestant Missions in the Near East 1910 [Leather Bound] Leather Bound – January 1, 2019

خالــدي ، وفــروخ ، التبشــير والاســتعمار في الــبلاد العربيــة عــرض لجهــود المبشــرين التــي ترمــي إلــى إخضــاع الشــرق للاســتعمار الغربــي ، ص 115 .

(2) (في محاضرتــه الشــهيرة عــام 2006 في جامعــة ألمانيــة والتــي أســاء فيهــا الــى نبــي الإسلام وكتــاب الإسلام وبشــكل ســافر جــدا)

– كانت حلقةً ضمن سلسلةٍ مِن الإساءات الفاتيكانيّة للإسلام وأهله [1] .

تعدّدت آراء الباحثين حول تاريخ التبشير في العالم الإسلامي :

فذهب بعض الدارسين إلى أنّ التبشير ابتدأ في العالم الإسلامي عام 1250 م على أثر فكرة لويس التاسع .

في حين يرى البعض أنّ التبشير ابتدأ في العالم الإسلامي في الربع الأول من القرن الرابع عشر بعد مؤتمر فيينا المنعقد سنة 1311 – 1312 م ، حيث قرر القساوسة إرسال بعثات تبشيريّة إلى العالم الإسلامي لتنصر المسلمين .

ويذهب البعض الآخر إلى أن التبشير ابتدأ في العالم الإسلامي في القرن السابع عشر أو التاسع عشر .

ويمكننا القول بأنّ الجذور الأولى التي برزت عن قصدٍ وظهرت جِديّةً في إطارٍ مِن التخطيط المدروس ، والاعتمادات الماليّة الرهيبة ، وبَعث الإرساليات التبشيريّة التي تعمل ليلَ نهارَ مِن أجل تنصير المسلمين تعود إلى القرن الثالث عشر ؛ لأنّ «لويس التاسع» بعد هزيمته في المنصورة ، رسَم معالمَ اللّبنةِ الأولى في خُطته اللئيمة التي أقيم عليها – فيما بعد – هيكل الحركة التبشيرية مِن ألفه إلى يائه .

يقول الأستاذ أنور الجندي : لقد أشار «لويس التاسع» في وثيقته إلى أنّه : لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوّة ، ذلك لأنّ في دينهم عاملاً حاسماً : هو عامل المواجهة ، أو المقاومة والجهاد ، وبذل النفس والدم رخيصاً في سبيل حماية العِرضِ والأرضِ ، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين فمِن المستحيل السيطرة عليهم ؛ لأنهم قادرون دوماً – انطلاقاً مِن عقيدتهم – على المقاومة ، ودحر الغزاة الذين يقتحمون بلادهم ، وأنه لابد من إيجاد سبيلٍ آخر مِن شأنه أن يُزيِّف هذا المفهوم أدبيّاً أو وجدانيّاً ، وإيجاد ما يبرّره على نحو من الأنحاء ،

---

(1) عمارة ، الفاتيكان والإسلام ، أهي حماقة؟ أم عداء له تاريخ؟ ص 23-9

بحيث تسقط خطورته واندفاعاته ، وأن ذلك لا يتمّ إلا بتركيزٍ واسعٍ على الفكر الإسلامي وتحويله عن منطلقاته وأهدافه ؛ حتى يستسلم المسلمون أمام بقاء القوي الغربي وترويض أنفسهم على تقلبها على نحو من أنحاء الاحتواء أو الصداقة أو التعاون .[1]

وأما ظهور المبشّرين بشكله المنظم فيرجع إلى فكرة «القديس لويس التاسع» ، وهو ممن شارك في هذه الحروب ، ورسم خُطةً مفادها : أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين إلا بعد تحريف مفهوم الجهاد عندهم ، وهذا لن يكون إلا بدراسة تراثهم ، والتركيز على الفكر الإسلامي وتحويله من منطلقاته وأهدافه حتى يمكن تزييف مفهوم الجهاد وتسهل السيطرة عليهم .

في عام 1219 م قام فرنسيس الإسيزي بتقسيم العالم الإسلامي بين تلاميذه ، وخصّ نفسه بسوريا والبلاد المقدسة ، وهذا ما جعله مِن أوائل الأوربيين الذين حصلوا على معلومات حقيقية ودقيقة عن البلاد والشعوب الإسلامية [2] .

وما مِن شكٍّ في أنّ جهود القديس لويس ، وما قام به فرنسيس الإسيزي ، ورامون لول تعدّ الأسس الذي انطلقت منها أوربا ساعيةً نحو معرفة الفكر الإسلامي معرفةً دقيقةً ، وكان غرض الأولين منهم تحريف مفهوم الجهاد حتى يفقد المسلمون المقاومة عندما تتجه النيّة لاستعمارهم ، وغرض الآخرين إقناع المسلمين بعقيدة التثليث كبديلٍ عن عقيدة التوحيد التي يؤمنون بها .

فـ «رامون لول» يعدّ أوّل مَن تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فقد تعلّم «لول» اللغة العربية وجال في بلاد الإسلام ، وناقش علماء المسلمين في بلادٍ كثيرةٍ ، وإلى جانب «لول» كانت

(1) مقدمة العلوم والمناهج ، دار الأنصار القاهرة ، 5/1 .

(2) https://www.britannica.com/biography/Saint-Francis-of-Assisi

السفن البحريّة تطوِّق العرب ، وتفرض شبكة من التجسس حول العالم الإسلامي ، تَسرق حضارتَه ، وتفتِّت ركائزَ قوّتِه [1] .

ومِن هنا نرى تعليم المبشرين اللغة العربية بهدف التسلّل إلى المجتمع الإسلامي ، ونشر الفتن ، وإثارة النِّزاعات والخلافات بين المسلمين ؛ لتضعيف وحدة صفِّهم ، وهذا ما تؤكِّده المراكز العِلميّة التي قامت في أوروبا – تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكيّة – بفتح أقسام لتعليم اللغة العربية في عدّة جامعاتٍ أوروبية مشهورة ، مثل : أوكسفورد ، وباريس ، وغيرها .

وبتأسيس هذه المراكز أصبحت حملة التشويه والافتراء على الإسلام أكثر تنظيماً ودقّةً ، وأكثر تأثيراً على المجتمعات الأوروبيّة «ولعلّ أهمّ أثرٍ لهذه الكتابات وغيرها هو استقرار الصورة المشوّهة ، والادعاءات المزيفة عن التاريخ الإسلامي ، والعقيدة في الذِّهن الأوروبي» [2] .

ولم يَنحصر دور المبشِّرين – في تاريخهم – على نشر النصرانيّة باللِّين كما ادّعَوا ، بل قاموا بمهامّ التجسّس واستطلاع نِقاط الضعف ، وكشفها داخل القلعة الإسلامية ، والسّعي إلى شراء بعض الذِّمم مِن ذوي النّفوس الدنيئة ؛ ليكونوا عُملاء لهم ، وبثّ الأعوان ، ونشر الفتن تعاوناً مع الدول المحتلّة .

وحول هذه الصلة الوطيدة بين المبشرين ودول الاحتلال يقول بلفور وزير خارجية بريطانيا : «إنّ المبشرين هم ساعِدُ جميع الحكومات المستعمرة ، وعضدها في كثيرٍ مِن الأمور الهامّة ، ولولاهم لَتَعذّر على تلك الحكومات أن تُذلِّل كثيراً مِنَ العقَبات» . [3]

(1) دراسات في التبشير والاستشراق ص (121) .

(2) فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، ص33 .

(3) أبو زايدة ، التبشير والغزو الاستعماري ، ص34 .

تاريخ التبشير في تركستان الشرقيّة قبل الفتح الإسلاميّ

نظراً لموقع تركستان الشرقيّة الجغرافي ، ووجودها على أحد الممرّات الأساسيّة في طريق الحرير التاريخي ، تَمرّ عَبرَه العديد مِن الحضارات والثقافات المختلفة ، كان طبيعيّاً أن تجتذبَه – منذ القِدم – العديد مِن الأديانِ ، والمعتقدات الدينيّة المختلفة ، مثل البوذية والمانوية ، والزردشتية ، واليهودية ، وغيرها من الاعتقادات الأخرى كالطوطمية والشامانية

وصل المبشرون النسطوريون ، الذين كانوا ينتمون إلى الكنيسة الشرقية ، إلى وسط آسيا في القرن السابع الميلادي ، وانتشرت النسطورية مِن بلاد فارس إلى آسيا الوسطى بواسطة المبشر «ألوبين» ، الذي قدِم مِن سوريا [1] . فقد وصَل إلى أرض تركستان الشرقيّة بعدما مرّ بـ «بدخشان» ، وعبَرَ جِبالَ «فامير» ، وجال في مدنها مثل «ختن» ، و«كوجا» ، ومِن ثم واصل رحلته إلى «تشانغ أن» ، عاصمة الصين في ذلك الوقت في أسرة تانغ ، حيث توسّعت المسيحيّة هناك [2] .

وبناءً على هذه المعلومات التاريخيّة ، يمكن القول بأنّ المسيحيّة وصلت إلى الصين عن طريق تركستان الشرقيّة . أمّا فيما يتعلق بتركستان الشرقيّة ، فقد استقرّت المسيحية في مناطقها الغربيّة الشماليّة الواقعة جنب حدود الصين مثل «دونخوان» ، ووسطها مثل «طورفان» [3] .

(1) 阿 · 克 · 穆尔著，郝镇华译：《一五五零年前的中国基督教教史》，中华书局，1984 年版，第 2 页。

(2) 冯承钧:《景教碑考》，商务印书馆,1931 年版，第 58 页。引自徐永志:《景教在中国少数民族地 区的传播》，《中央民族大学学报》，2003 年第 1 期。

(3) 《大秦景教流行中国碑》，引自阿 · 克 · 穆尔著，郝镇华译:《一五五

في عـام 845 م ، أصـدر ملـك الـصين «تانـغ ووزونـغ» أمـراً بطـرد النصرانيـة علـى مسـتوى الـبلاد ، مّمـا أدى إلـى اضطـرار المبشـرين وبعـض المسـيحيين مّمـن أصـرّوا علـى إيمانهـم إلـى الفـرار إلـى تركسـتان الشـرقيّة ، حيـث اسـتمروا في أنشـطتهم الدينيّـة وواصلوهـا .

وجـد علمـاء الآثـار العديـدَ مِـن الشـواهد علـى وجـود النصرانيّـة في تركسـتان الشـرقيّة ، وخاصـة في «طورفـان» ، حيـث تّم اكتشـاف العديـد مـن القبـور النسـطورية التـي تعـود إلـى القـرنين التاسـع والعاشـر . وتضمّنـت تلـك القبـور ترجمـةَ نصـوصٍ مِـن الإنجيـل بعـدّة لغـاتٍ ، كمـا عُرفـت غالبيّـة قبيلـة القيـراط بتديّنهـا النصرانيّـة في القـرن الحادي عشـر . ويعتقـد بعـض العلمـاء مثـل الفرنسـي «نـاو» والروسـي «كافالسـون» أنّ هـذه المناطق كانت مسـتوطنات نسـطورية في الماضـي [1] .

كمـا اسـتوطن عـددٌ مـن المسـيحيين في «كاشـغر» خلال عهـد إمـارة القاراخانيـة ، وفي نهايـة القـرن الثانـي عشـر أنشـأوا مركـزاً للتبشـير في هـذه المنطقـة ، مّمـا جعلهـا مركـزاً آخـر لانتشـار النسـطورية [2] .

بعـد سـقوط إمـارة القاراخانيـة أمـام غـزو المغـول ، حـاول المبشـرون نشـرَ النصرانيّـة ، وكان مِـن ضمـن هـؤلاء المبشـرين أويغـور ، وكان «لابـان صومـا» أشـهرهم ، إذ يُعـدّ مِـن أشـهر المبشـرين المسـيحيين في آسـيا الوسـطى [3] .

ويشـير «ماركـو بولـو» في رحلتـه الشـهيرة إلـى أنّ هنـاك طوائـف مسـيحية في «كاشـغر» ، بمـا في ذلـك النسـطورية واليعقوبيـة ، وأنهـم كانـوا يملكـون كنائس

零年前的中国基督教教史》， 中华书局，1984 年版，第 43 页。

(1) [韩国]李宽淑著:《中国基督教史略》，社会科学文献出版社，1998 年版，第 25 页

(2) 魏良弢:《西辽史纲》，人民出版社，1991 版，第 137 页。

(3) 杨富学:《回鹘景教研究百年回顾》，曹中建主编:《中国宗教研究年鉴》1999—2000，宗教文化 出版社，2001 年版，第 395 页。

خاصّة بهم ، كما ذكر أيضاً أنهم يتمتعون بالحريّة الدينيّة في الإقليم [1] .

في نهاية القرن الثالث عشر ، وبعد اعتناق خانات المغول الإسلام وانصِهارهم في الشعوب المحليّة ، انخفضت أنشطة النسطورية والمسيحيّة في تركستان الشرقيّة ، وتلاشت تدريجيّاً آثارهما ، ولم يبق منهما أيّ أثرٍ في الفترة اللاحقة .

وهنا من الجدير أن النصرانية ولو كانت موجودة في تركستان الشرقية ولم تكن منتشرة بين الشعوب بشكل واسع ، وكذلك تدل الآثار التي وجدت إلى قلة المسيحين أو انحصارها بالدعاة النصرانية فقط لا غير . وبناء على ذلك نرد بشكل حاسم بعد الادعاءات التي تدعى أن الشعب بالكامل أو الخانية (الإمارات) بكاملها كانت معتقدة إلى النصرانية .

وفي هذه المغالطة والادعاء تحدث محمد أمين بغرا بأسطر لا تقل تحت عنوان «أكذوبة تاريخية» ، وأنا أسردها سردًا كاملًا كما ستأتي :

إن الروايات التي أخذت من المصادر البابوية المسيحية بدأت تذكر في بعض المؤلفات التاريخية في وقتنا الحاضر . وبعد بحثي في هذه الروايات اتضحت لي أنها لا تستند إلى أي أساس علمي ، وإنما هي في حقيقتها أكاذيب وحكايات اختلقها المبشرون المسيحيون لأغراضهم الخاصة ، فيقولون مثلًا :

الأول : إن قبيلة كوجلوك خان وهي قبيلة نايمان كانت تعتنق المسيحية ، وكوجلوك نفسه كان مسيحيًا واسم أبيه يوحَنّا ، وقد اعتنق الشامانية بعد أن استولى على تركستان الشرقية بتأثير زوجته (ابنة جورخان) .

الثاني : الخان التركي المسمى يوحَنّا كان خانًا على قبيلة كِرايت ، وهو عاش قبل عهد جنكيز خان أو في عهد أحفاد جنكيز خان كان من العلماء والأحبار في الديانة المسيحية .

---

(1) ماركوفولو ، رحلات ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م) ص 106 .

الثالـث : إن قبيلـة كِرايـت وهـي قبيلـة يوحنـا ، قطنـت في المنطقـة التـي بين كوكنـور وخُتَنَ . ومثـل هـذه الروايـات المتناقضـة يذكرهـا المـؤرخ أبو الفـرج جرجس[1] في كتابـه «مختصـر الـدول»[2] .

وأسـطورة يوحنـا هـذه والتـي لا أسـاس لهـا مـن حيـث المـكان ولا مـن حيـث الزمـان ، قـد كشـف المؤرخـون الأوربيـون أنهـا أكذوبة مختلقة مـن جانب البابـاوات المسـيحيين ، وفي العصـور المتأخـرة اسـتخدمها الـروس لإضافـة صبغة مسـيحية لتاريـخ القبائـل التركيـة عندمـا احتلتهـم ، وذلـك تمهيـدًا لتنصيرهـم ، ولإثبـات هـذه الروايـة اختلقـت الكثيـر مـن الحكايـات والقصص المتناقضـة[3] .

والقصـص والروايـات السـابقة وإن كانـت تناسـب بيئة تركسـتان الشـرقية إلا أن كذبهـا واضحـة كالشـمس ؛ لأنـه مـن المعلـوم أن قبيلـة نايمـان أو قبيلـة كرايـت أو أي قبيلـة مـن القبائـل المنغوليـة قبـل جنكيـز خـان لـم تكـن لهـا أي نـوع مـن الاتصـال بحضـارة الغـرب والأجانـب وخاصـة العالـم المسـيحي ، وأن هـذه القبائـل كانـت مـن البـدو الرحـل الذيـن لا يهتمـون بديـن أو مذهـب . ويشـهد التاريـخ علـى عـدم وجـود أي شـعب آخـر غيـر الأويغـور الأصفـر في منطقـة جرجـن وضواحيهـا ، كمـا أن هـذه الروايـات لـم تذكرهـا المئـات مـن المـؤرخين المسـلمين والصينـيين الذيـن أرخـوا لتاريـخ الأتـراك والمغـول بـكل تفاصيلهـا ، ثـم يأتـي أبـو الفـرج المالطـي الدخيـل علـى الشـام فيذكـر هـذه الروايـات العجيبـة بتناقضاتهـا السـابقة ، وهـذا دليـل كاف علـى كـون هـذه الروايـات محـض اختـلاق . ولكـي يوجـدوا جوابًـا مقنعًـا للسـؤال الـذي يطـرح

(1) أبـو الفـرج ابـن العبـري غريغوريـوس (واسـمه في الـولادة يوحنـا) ابـن اهـرون (او هـارون) بـن تومـا الملطـي ، المعـروف بابـن العبـري ، مـؤرخ سـرياني مسـتعرب ، مـن نصـارى اليعاقبـة . تعلـم العربيـة والطـب ، واشـتغل بالفلسـفة واللاهـوت . وتنقـل في البلـدان ، تـوفي في مراغـة (بأذربيجـان) ونقلـت جثتـه إلـى الموصـل فدفنـت في ديـر مارمتـي . لـه 35 مصنفـا في علـوم مختلفـة ، منهـا : «مختصـر الـدول» . الزركلـي ، الأعلام ، ط 15 . بيـروت : دار العلـم للـملايين –2002) ، 5/ 117 .

(2) ابـن العبـري ، تاريـخ مختصـر الـدول ، المحقـق : أنطـون صالحانـي اليسـوعي ، ط 3 . (بيـروت : دار الشـرق– 1992م) ، ص 226 .

(3) وهذه القصص ذكرت في «تلفيق الأخبار» مُحمَّد مراد رمزي أفندي .

نفسـه وهـو : كيـف وصلـت المسـيحية إلـى قبيلـة نايمـان أو قبيلـة كرايـت؟

فقالـوا : وصلـت عـن طريـق الأويغـور ، ولإثبـات هـذا الادعـاء يحاولـون نشـر إشـاعات تقـول بأنـه قـد عثـر علـى قطـع آثـار مسـيحية في منطقـة بزكليك خلال أعمـال الحفـر التـي تم في طورفـان .

يثبـت التاريـخ بالإجمـاع أن الأويغـور كانـت لديهـم الديانـة البوذيـة والمانويـة ، وبعـد انحسـار المانويـة بقيـت البوذيـة فقـط ، وهـذا مـا أثبتتهـا أيضـا قطـع الآثـار التـي تم الحصـول عليهـا في الحفريـات الأثريـة ، فالقطـع الأثريـة التـي تم العثـور عليهـا خلال الحفريات الأثريـة في منطقـة بزكليـك وغيرهـا مـن المناطـق في طورفـان تعـرض الآن في متحـف بـرلين للأعـراق البشـرية ومتحـف بريطانيـا في لنـدن ، ومـن الواضـح تمامًـا أنـه لا يوجـد فيهـا أي أثـر للمسـيحية .

وهــذه الأيــام وإن كان قــد تم تأســيس بعــض المؤسســات والمنظمــات للنشــاطات التبشــيرية في بعــض مــدن تركســتان الشــرقية بترخيــص مــن الحكومـة الصينيـة إلا أن بعـض المبشـرين الذيـن لـم يحققـوا أي نجاح تذكـر في هــذا الخصــوص ، يكتــب قــائلا :

«إن جاغاتايخـان الـذي حكـم تركسـتان الشـرقية بعـد جنكيـز خـان كان مسـيحيا ، وفي عهـده قـد ازدهـرت المسـيحية في آسـيا الوسـطى ، وفي كاشـغر كان يجلـس كبيـر البابـوات ، وأن الرحالـة الشـهيرة ماركـو بولـو الـذي زار الـصين يقـول إنـه رأى كنيسـتين في ياركنـد « .

نعـم ، قـد بحـث المؤرخـون حـول مـا إذا كان جاغاتايخـان مسـيحيًا أم لا ، ولكـن هـذه القضيـة خـارج نطـاق الخلاف ، فالتاريـخ يثبـت بمـا لا يـدع مجـالاً للشـك أن الإسلام قـد رسـخت جـذوره تمامًـا في تركسـتان الشـرقية قبـل عهـد المغـول بـثلاث قـرون ، وأنــه لـم يبـق في مـدن كاشـغر وياركنـد علـى وجـه الخصـوص في عهـد القاراخانـيين أي مجموعـات دينيـة غيـر المسـلمين ، وقـارا خطائيـون وإن كانـوا يعتنقـون الديانـة الشـامانية إلا أنهـم لـم يتعرضـوا لديانـة المسـلمين ولـم يكـن هنـاك في المـدن السـتة أي ديـن غيـر الإسلام وهـذا معلـوم للجميـع ، وكـون أبنـاء جنكيزخـان غيـر مهتـمين بديـن مـن الأديـان بمعنـى

أنهم ما كانوا يحملون الناس على دين أو يعادون دينا من الأديان قضية مسلمة لمن له أدنى معرفة بالتاريخ .

إن هدف هؤلاء المبشرين الذين اختلقوا هذه الأكاذيب التي لم يشهدها تاريخ الشرق والإسلام ولم تكن في مذكرات ماركوبولو هو إضلال وتمويه الناس وخصوصا الجهال منهم قائلين لهم : «انظروا! إن ملوككم وأجدادكم كانوا مسيحيين ، وقد ضللتم لماذا تركتم طريق آبائكم هذا؟ وتوظيف ذلك لخدمة مهمتهم التبشيرية .

والأمثلة على أكاذيب المبشرين المسيحيين كثيرة في مؤلفات مؤرخي بلدان شمال أفريقيا والشرق الأوسط مثل مصر والشام وتركيا وتونس والمغرب ، إن بابا الروم وإن كان قد قام بإرسال عدة بعثات إلى منغوليا في عهد دولة المغول محاولا بذلك تنصير أحفاد جنكيز خان والقبائل التركية ، إلا أن مؤرخي أوربا مجمعون على هذه المحاولة لم تأت بنتيجة ، وماركو بولو نفسه كان إيطاليا مبعوثًا من قبل البابا في روما ، وهو سافر إلى منغوليا والصين وتقلد منصبًا لدى قوبلاي خان في وقت من الأوقات ، ورغم محاولته لنشر المسيحية في منغوليا والصين طوال خمسة وعشرين عامًا لم يظفر بأي نجاح . وأخيرًا كتب مذكراته السياحية وعاد إلى بلاده .

إن بعضًا من كتاب الشرق المعاصرين الذين يقبلون كلام أي أوربي على أنه الحقيقة قد كتبوا تلك الكلمات بين الأحداث التاريخية من غير أي تمحيص ، والحال أن الزمان الذي يتم التصديق بنعم على افتراءات المؤلفين المسيحيين والمبشرين في عصرنا حول الكيانات التركية والإسلامية قد ولت ، وعصرنا الذي نعيشه إنما هو عصر التمحيص والتحقيق العلمي وسأقدم إلى حضرة القراء الكرام فقرة وردت في كتاب «عمومي تاريخ» (التاريخ العام) الذي نشرتها «جمعية دراسات تاريخ الترك» :

إن أولاد جنكيز خان الذين يتمسكون بقانون جنكيز خان ما كانوا يتعرضون للحرية الدينية لرعاياهم ، كان عندهم المسلم والمسيحي والبوذي والشاماني ومنتسبي الطوائف الأخرى فيعاملونهم بدون تفرقة ويستعملونهم

في المناصب ، وفي زمن ما قام البابوات في روما بإرسال بعثات المبشرين الواحدة تلو الأخرى محاولاً بذلك تنصير رجال البلاط المنغولي وأرادوا بذلك الوصول إلى هدفهم الذي لم يحققوها في الحروب الصليبية ، وفي النتيجة لم يتمكنوا إلا تنصير عدد من الأمراء أحفاد جنكيز خان وزوجاتهم فقط ، وقد خيب هؤلاء آمال الروم ، إن أباطرة البلاط في مملكة جنكيز ما كان يخطر ببالهم أن يكونوا ألعوبة في يد البابا ورهبانه . وباستثناء الصين فقد تمكنت الإسلام في كل أرجاء البلاد التي تقع تحت سلطان الدولة المنغولية أكثر من أي ديانة أخرى ، فقد أسلم ملوك آلتون أوردا وبلاط جاغاتاي والإلخانيون كلهم أجمعين ، ونتيجة لهذا أسلم العديد من الأقوام التركية ممن لم يسلموا حتى ذلك الوقت[1] .

(1) محمد أمين بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، ص353 .

تاريخ التبشير في تركستان الشرقيّة
بعد الفتح الإسلاميّ

لـمّا شعّ نور الإسلام، ورفرفَت رايتُه في تركستان الشرقيّة، نقّى تُربتَها مِن الاعتقادات الباطلة، ونوَّر أراضيها بشعلته المرونقة، واستمرّ الإسلام فيها صافياً مطهَّراً مِن غزو المعتقدات الأخرى، واستمسك الناس بعقيدتهم الإسلامية، وحافظوا على هويتهم الإسلاميّة، إلى أن بدأت الكنائس في نهاية القرن التاسع عشر ترسل مبشِّرين إلى تركستان الشرقيّة؛ بهدف تبشير السكان المسلمين، وزعزعت معتقداتهم.

وذلك بعدما شاهد الكنيسة التراجع والتخلف اللذين وقعت فيهما الأمّة الإسلامية، فظنّت أنّ الفرصةَ مواتيةٌ لِبَذرِ غِراسِ النصرانيّة، وعمّا قليلٍ ستجني ثِمار ما غرسَت، خاب ظنّهم، وضلَّ سعيُهم، فهذه الأرض عَبَّت الإسلامَ عَبّاً حتى ارتَوَت عُروقُها، وصارت قلعةً حصِينةً مِن قلاعِ الإسلام في أقصى الشرق منذ هَلَّ الإسلام في رُبَاها وسُهولِها، وأسهَمت إسهاماتٍ عظيمةً في الحضارة الإسلاميّة وثقافتها بإخراج العلماء، والدعاة، والمصلحين وأصحاب الفكر، كما جادت بالقادات والزعماء، وظلّت سدّاً منِيعاً تحطّمت على أسواره إرادات الغُزاة، باستِماتة أبنائها دِفاعاً عن حياضِ الدّين، وذَوداً عن تعاليمه وشرائعه.

حتى برَز القرن التاسع عشر فأقبَلت حملات التنصير مدعومةً مِن قوى مسيحيّةٍ مختلفةٍ، كألمانيا، وبريطانيا، والسويد، وبلجيكا، وأمريكا وغيرها من القوى النصرانيّة، لتحويل المسلمين إلى المسيحيّة مستخدمةً أساليبَ متنوّعة لتحقيق مآربها، كالتعليم، والرعاية الاجتماعيّة، والغَوث.

ومع ضخامة الجهود المبذولة، فإنّ محاولات الكنيسة في غزو تركستان الشرقيّة لم تحقق نجاحاً مرجوّاً، حيث تمكّن العلماء المسلمون مِن الدفاع عن عقيدتهم، وتصدَّوا لتلك المحاولات البائسة.

شـارك في هـذا الدفـاع العديـدُ مِـن العلمـاء والمفكريـن والدعـاة ، فقدّمـوا حُججـاً قويّـةً ، وأدلّـةً مقنِعـةً دحَضـت مزاعـم الكنسـية ، وأكّـدت علـى صحّـة الديـن الإسلامـي ، ونصَاعـة عقيدتـه .

وبفضــل تلــك الجهــود المبذولــة للمحافظــة علــى العقيــدة الإسلاميّــة الصحيحــة ، تمكّــن مســلموا تركســتان الشــرقيّة مِــن الحفــاظ علــى هويتهــم الإسلاميّــة ، وثقافتهــم الخاصّــة ، كمــا حافظــوا علــى مكانتهــم في العالــم الإسلامــيّ .

أصناف المبشّرين المشتغلون بحركة التنصير في تركستان الشرقيّة

مِن المعلوم أنّ المبشِّرين هم مَن يجنّدون أنفسهم للقيام بمهامّ التبشير، سواء أكانوا مِن ضمن العاملين في السِّلك الكَنَسي، أو متطوِّعين مِن ذوي الاختصاصات الأخرى، وذلك باستخدام أساليب تبشيرٍ خفيّة، أو غير مباشرة، مثل توفير التعليم، والتدريب، والدعم الصحي، والاجتماعي، أو غيرها مِن الوسائل كتوفير الدعم الماديّ والغَوثي للأفراد والمجتمعات بشكلٍ عامّ.

في نهاية القرن التاسع عشر، قامت أربعة طوائف مسيحيّة بتنظيم أنشطةٍ تبشيريّة في تركستان الشرقيّة بهدف نشر المسيحيّة في المنطقة بعد وُلُوجِها، وتمثّلت تلك الطوائف في: البعثة التبشيريّة السويديّة المنتميّة إلى الطائفة البروتستانتيّة، والكنيسة البلجيكية الكاثوليكيّة التابعة لكنيسة مريم المقدسة، والبعثة البريطانيّة الداخليّة، والكنيسة الأرثوذكسيّة الروسيّة.

توحّدت هذه البعثات على هدفٍ واحدٍ، وهو إيصال رسالة المسيحيّة إلى هذه المنطقة التي لم تكن مسيحيّة مِن قبل، والعمل على تعزيز الانتشار المسيحيّ في البلاد.

فتركّزت الكنيسة الكاثوليكيّة في نشاطاتها التبشيرية في شمال تركستان الشرقيّة، وعلى وجه الخصوص في مدن مثل: «إيلي وماناس وقطوبي وأورومجي».

وتركّزت عمل البعثة التبشيريّة السويديّة في كاشغر ومناطقها المجاورة مثل: «كياركند ويني حصار»، بالإضافة إلى مدن أخرى في جنوب البلاد مثل: «ختن».

أمّا البعثة الإرساليّة البريطانيّة فتركزت في «أورومجي». في حين كانت

أنشطة الكنيسة الأرثوذكسيّة في تركستان الشرقيّة ضعيفة – بشكلٍ عامّ – مقارنةً بالبعثات الأخرى ، إذ لم تكن كمثيلاتها مِن الطوائف النصرانيّة الأخرى .

شيّد أولئك المبشرون الكنائس ، وترجموا الإنجيل إلى اللغة المحليّة ، ووزّعوا المنشورات الدينيّة ، كما فتحوا مستشفياتٍ ، ومدارس ، ودوراً لرعاية الأيتام ، ممّا أدى إلى تأثير إيجابي على سكّان المنطقة المحليّة .

وبناءً على هذا الوصف لنشاطات البعثات المسيحيّة في تركستان الشرقيّة ، يمكن القول : إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة ، والبعثة التبشيريّة السويديّة كانتا الأكثر نشاطاً في حركة التبشير في المنطقة .

الأسباب الرَّئيسيَّة لقدوم المبشرين
إلى تركستان الشرقيّة

في منتصف القرن التاسع عشر ، قرّرت الحكومة السويديّة برئاسة «لندس» إرسال وفدٍ مِن المبشِّرين إلى منطقة «كاشغر» ، واتّخذها مركزًا لنشاطه .

وتمثّلت الأهداف الأساسية للوفد في الأمور السياسيّة ، والاجتماعيّة ، والعِلميّة ، بالإضافة إلى فتح منطقةٍ جديدةٍ لانتشار النصرانيّة .

وفي عام 1891 م ، انطلقت الجمعيّة الدينيّة السويديّة إلى «كاشغر» ؛ نظراً لكونها المركز السياسيّ والاقتصاديّ والثقافيّ للمنطقة ، فوصلت إليها عام 1892 م ، بهدف تجريب إمكانيّة تحقيق أحلامهم في هذه المنطقة ، فلم تَلبَث فيها إلا فترة وجيزة ، ثم عاد الوفد إلى «استوكهولم» ، حيث قدم تقريراً إلى الجمعيّة الدينيّة العامة بشأن زيارته التجريبية إلى «كاشغر» ، ولفَت التقرير انتباه المجتمع الديني في «استوكهولم» إلى «كاشغر» .

كما وصلت الجمعيّة التبشيريّة للكنيسة البلجيكيّة الكاثوليكيّة ، – وهي تعدّ أول منظمة كنسيّة غربيّة تقوم بحملات تبشيرية في تركستان الشرقيّة – ، حيث قام «هان مولي» أسقف قانسو ، بإرسال ثلاثة مبشرين إلى «إيلي» في 26 تشرين الثاني عام 1883 م ، لفتح مركز جديد للتبشير [1] . ومِن ثَمّ بدأت الأنشطة التبشيريّة في شمال تركستان الشرقيّة تحت تنظيم وقيادة جمعية قلب مريم المقدس [2] .

(1) 木拉提 · 黑尼亚提:《近代新疆天主教会历史考》，《西域研究》，2002 年第 3 期。

(2) 汤开建、马占军:《清末民初圣母圣心会新疆传教考述(1883-1922)》，《西域研究》，2005 年第 2 期。

وصَـل المبشّـرون إلـى تركسـتان الشـرقيّة بقيـادة الكاهـن «لارس إريـك هوغبـرغ» ، تنفيـذاً لقـرارٍ تـمّ اتخـاذه في اجتمـاعٍ عـامٍّ في «اسـتوكهولم» عـام 1893 م ، والقاضـي بفتـح مَنفَـذ دينـيّ جديـد فيٍّ عاصمـة تركسـتان الشـرقيّة «كاشـغر» ، وتحَقيـق نشـر المسـيحيّة في المنطقـةً ، مسـتغلّين ضعـف النظـام الحاكـم في ذلـك الوقـت .

سـرعان مـا أنشـأوا مراكـز تبشـيريّة في عـدّةِ مـدنٍ ، فأسّسـوا أول مكتبـة لهـم في «كاشـغر» عـام 1892 م ، وفي «ياركنـد» عـام 1895 م وفي «أورومجـي» عـام 1908 م وفي «ينـي شـهر» عـام 1909 م ، وفي «ينـي حصـار» في نفـس العـام . وقامـوا بتبشـير النـاس باسـتخدام وسـائل مختلفـة ، بمـا في ذلـك إنشـاء مكاتـب خيريّـة ، ودور أيتـام ، ومـدارس حديثـة ، ومستشـفيات ، وعلاج المرضى مجانـاً ، وتعليـم اللغـة الأجنبيّـة كالإنجليزيّـة ، وغيـر ذلـك مِـن الطـرق التـي تجـذب قلـوب النـاس [1] .

لـم ينجـح هـذا الوفـد في مهامّـه ، ولا تمكّـن مِـن تحقيـق أهدافـه ، فلـم يكـن الأمـر بالصـورة التـي ورَدت في تقريـر الوفـد الأول ، ومَـرَدّ ذلـك إلـى أنهـم لـم يدرسـوا المجتمـع والشـعب الأويغـوري دراسـةً مُعمّقـةً ، بـل نظـروا إليـه نظـرةً سـطحيّة ، فالشـعب كان مستمسِـكاً بعقيدتـه ، مُسـتَميتاً في الدفـاع عـن إسلامـه منـذ اعتناقـه ، وهـذا مـا يفسِّـر فشـل الوفـد في تحقيـق أهدافـه ، لا سـيما في مـدن : «كاشـغر» و«ختن» و«ياركنـد» إذ كانـت مِـن أهـمّ مراكـز الحضـارة الإسلاميّـة في وسـط آسـيا .

وقـد أدرك المبشـرون السـويديّون هـذه الحقيقـة تدريجيـاً ، فقـرّروا التخلـي

---

(1) James A. Millward. Eurasian Crossroads: A History of Xinjiang. Columbia unıvesıty Press Newyorrk. 2007. 179.

Language and Identity: Discourse in the World. Bloomsbry Academic. An İmpint Bloomsbry Publihing Pik. 2015. 91.

نۇرمۇھەممـەد دۆلەتـى، تاريـخ بەتلرىنـى ۋاراقلىغانــدا، ن. 1. (مىللەتلـەر نەشـرياتى، 2014).

عـن ممارسـة الترويـج المباشـر للنصرانيّـة بين مسـلمي الأويغـور ، نظـراً لعـدم نجاح جهودهـم المبكـرة في هـذا الصـدد ، فبـدأوا في البحـث عـن نهـجٍ مختَلـفٍ [1] .

(1) Gunnar jarting return to kashghar, 94; the report to the svenska missionsförbundet atstockholm from the swedish mission stati- ons in kashghar, china, swedish mission press, kashgar, 1926

تعريفٌ موجَزٌ ببعض مبشّري تركستان الشرقيّة

غوستاف ريكارد Gustaf Rikard Raquette (1871 م – 1945 م)

خـدم كمبشّـر طبـيّ في «كاشـغر» في الفتـرة مـن عـام (1896 م ، حتـى عام 1901 م) وفي «ياركنـد» في الفتـرة مــن عــام (1904 م ، حتــى عــام 1911 م) ، ومـرّة أخـرى في «كاشـغر» مـن عـام (1913 م ، حتـى عـام 1921 م) ، ثـم عـاد إلـى السـويد عبـر التبـت والهنـد [1] .

عمـل علـى تعليـم اللغـة الأويغوريّـة للمبشـرين ؛ لتسـهيل التواصـل مـع المجتمـع الأويغـوري ولنشـر النصرانيّـة ، كمـا قـام بكتابـة عـدّة كتـبٍ في اللغـة الأويغوريّـة ، منهـا «قامـوس أويغـوري إنجليـزي» ، و«قواعـد اللغـة الأويغوريـة» ، و«اللهجـات في كاشـغر وياركنـد» [2] .

جون تورنكويست John Törnquist (1876 م – 1937 م)

قـد يعـدّ مِـن المبشـرين الذيـن قامـوا بالعمـل التبشـيري في تركسـتان الشـرقيّة ، كمـا يعـدّ أطولهـم عـملاً ، إذ خـدم في الجمعيّـة التبشـيريّة السـويديّة في المنطقـة مـدّةً تزيـد عـن ثلاثـة عقـود (مـن عـام 1904 م ، حتـى وافتـه المنيّـة عـام 1937 م) .

وقـد كتـب العديـد مـن الأعمـال الشـهيرة خلال فتـرة إقامتـه في المنطقـة ، منهـا «مِـن كاشـغر إلـى القـدوس – أي بيـت المقـدس –» و«الصحـراء والجنـة» و«كاشـغر» . وقـد وثّـق في أعمالـه العـادات والتقاليـد ، والتجـارة ، والاقتصـاد ،

(1) http://runeberg.org/nfcq/0669.html

(2) ذو الحياء أوتكور ، ص363
https://en.wikipedia.org/wiki/Gösta_Raquette .

والزراعـة ، وكلّ مـا يتعلـق بتركسـتان وشـعبها ، وأرسـلها إلـى السـويد [1] .

لارس إريك هوجبيرج Lars Erik Högberg (1858 م – 1924 م)

مبشّـر سـويدي عـاش في الفتـرة مـا بين 1858 م إلـى 1924 م ، وصـل إلـى روسـيا عـام 1880 م ، كعضـو في البعثـة السـويديّة ، حيـث قـام بنشـر النصرانيّـة في بلـدان القوقـاز [2] .

ثـم عمـل كاهنـاً ورئيسـاً لشـؤون المبشّـرين في تركسـتان الشـرقيّة لمـدة 22 سـنة ، وزارهـا ثلاث مـرات ، الأولـى بين عامـي 1894 م ، و1900 م ، والثانيـة بين عامـي 1903 م ، و1909 م ، والثالثـة بين عامـي 1911 م و1916 م [3] .

وبالإضافـة إلـى عملـه كمبشّـر ، كان هوجبيـرج طبيبـاً ماهـراً ، ومهندسـاً ، وقـام بتخطيـط سـفارة بريطانيـا في كاشـغر [4] .

دافيد جوستافسون ، David gustafsson

تخـرّج مـن مدرسـة المبشـرين عـام 1908 م ، وانضـمّ إلـى بعثـة نشـر النصرانيّـة في «كاشـغر» في نفـس العـام . أمضـى وقتـه في تركسـتان الشـرقيّة بنشـر المسـيحيّة بين الشـعوب المحليّـة .

كتَـب العديـد مِـن الكتـب التـي تناولـت الحالـة الاجتماعيّـة ، والدينيّـة ، والعـادات والتقاليـد التـي انتشـرت بين الشـعوب في تركسـتان الشـرقيّة ، بالإضافـة إلـى الحالـة السياسـيّة ، والجغرافيّـة وغيرهـا [5] .

---

(1) ، Kashgar, p155. John törnqvist 1926,

(2) https://en.wikipedia.org/wiki/Lars_Erik_Högberg

(3) ئەسەت سۇلايمان، ئۆزلۈك ۋە كىملىك. ن. 1. (ش. ئۇنىۋېرسىتېتى نەشرىياتى، 2006) .152

(4) گوننار يارين، قاشقارغا قايتا سفر، 132.

(5) David gustafsson, 1917, vidskepelse och vantro, p.224.

ماريـا لوفيسـا انجفـال (Maria Lovisa Engvall) (1865 م – 1935 م)

كانـت مبشّـرة في تركسـتان الشـرقيّة ، تـمّ إرسـالها مِـن الحكومة السـويديّة إلـى تركسـتان الشـرقيّة في بدايـة عـام 1900 م .

حصلـت علـى تعليمها في مدرسـة المبشـرين ، ودرسـت الطب في لنـدن [1] . أقامـت في تركسـتان حتـى عـام 1932 م ، عندمـا اضطـرّت الحكومـة السـويديّة لإجبارهـا علـى العـودة إلـى السـويد عـن عمـر يناهز السـبعين عامًـا[2] .

ماركارتا :

كانــت واحــدةً مِــن المبشّــرات اللواتــي خدمــن في تركســتان الشــرقيّة كطبيبـة جرّاحـة . اسـتمرت في وظيفتهـا مِـن عـام 1931 م ، حتى عـام 1937 م . وعندمـا طُـرد المبشـرون مـن تركسـتان الشـرقيّة إبّـانَ قيـامِ جمهوريـة تركسـتان الشـرقيّة الإسلاميّـة عـام 1933 م ، وعـاد كلّ المبشـرين – عبـر روسـيا – بقيـت هــي في «ياركنــد» .

تقـول عــن نفســها : إنّ أميـر ياركنـد «شــاه منصـور» كان يسـتعِدّ لإعـدام ثلاثـةٍ مِـن المبشـرين برصـاصٍ حـيّ ، ولكـن تدخّـل القنصـل البريطانـي [3] ، فأطلِـق سـراحهم بشـرط مغادرتهـم تركسـتان علـى الفـور ، ولكـن الشـاب الذي اعتنق المسـيحيّة تـمّ إعدامُـه [4] .

غوستاف أهلبرت ، «Gustaf Ahlbert» :

---

(1) https://www.skbl.se/en/article/MariaLovisaEngvall

(2) زۇلھايـات ئۆتكـۈر، سـەيياھلار ئىزىدىـن، ن. 1. (تۈركىيـە: ئۇيغـۇر تەتقىقـات ئىنسـتوتى، 2021). س468.

(3) Andrew D. W. Forbes (9 October 1986). Warlords and Muslims in Chinese Central Asia: A Political History of Republican Sinkiang 1911–1949. CUP Archive. pp. 87

(4) Margareta höök wennfors, 2018, kvinnan som red över Himalaya,

مبشِّـر سـويدي ، كان يتقِـن عِـدّةَ لغـاتٍ ، منها : اللغـة العربيّـة ، واليونانيّة ، والأويغوريّـة . قـام بالخدمة في تركسـتان الشـرقيّة حتى عـام 1949 م .

ويعـدّ أحـد المبشـرين الثلاثـة الذيـن بقـوا هنـاك حتـى ذلـك العـام . وألّـف كتبـاً عديـدةً ، منهـا : «اللهجـات في تركسـتان الشـرقيّة» ، و«قواعـد الإملاء للغة الأويغوريّـة»[1] .

أوسكار هيرمانسون Oskar Hermansson :

ترجـم الإنجيـل إلـى اللغـة الأويغوريّـة بالتعـاون مـع «جوسـتاف آلبـرت» و«نـور لوقـا» ، كمـا كتـب قواعـد النحـو للغـة الأويغوريـة ، ونشـرها عـام 1935 م . كمـا نشـر كتابـه «تاريـخ وسـط آسـيا» أيضـاً عـام 1936 م [2] .

سيجفريد بيرسون موين :

قـام بخدمـة كنيسـة العهد ميشـن السـويديّة كمبشّـر في تركسـتان الشـرقيّة خلال الأعـوام : 1925 م إلـى 1931 م ، ومـن : 1934 م إلـى 1939 م [3] .

جورجي هنري [4] (George W. Hunter) :

مبشّـر بروتسـتانتيّ اسـكتلندي هنـري ، وصـل إلـى تركسـتان الشـرقيّة عام 1906 م ، وقـام بزيـارة مـدن تركسـتان الشـرقيّة ، وتعلّـم اللغـة الأويغوريّـة مِـن البعثة السـويديّة في «كاشـغَر» [5] ، وأسّـس عام 1907 م كنيسـةً في «أورومجي» ، ولكنّـه احتُجِـز فيهـا في زنزانـة الاتحـاد السـوفيتي ، لمـدّة ثلاثـة عشـر شـهراً ، ثـم

(1) https://ar.irullinidisilvia.it/wiki/Gustaf_Ahlbert

(2) https://en.wikipedia.org/wiki/Gustaf_Ahlbert

(3) https://upwikiar.top/wiki/Sigfrid_Persson-Moen

(4) Anderson, Gerald H. (1999). Biographical Dictionary of Christian Missions. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing. pp. 311–312.

(5) Ildikó Bellér-Hann (2008). Community Matters in Xinjiang, 1880–1949: Towards a Historical Anthropology of the Uyghur. BRILL. pp. 258–. ISBN 978-90-04-16675-2.

أُطلِق سراحه ، وطُرِد من البلد ، فانتقل إلى «قانسو» واستقرّ بها على أملِ العودة إلى تركستان الشرقيّة .

توفي في 20 ديسمبر عام 1946 م [1] .

هندريكس Hendricks :

مبشّرٌ كاثوليكيّ هولنديّ ، وصل إلى «كاشغر» عام 1885 م ، وبقي هناك حتى وفاته [2] .

وهناك عددٌ كثيرٌ مِن المبشرين – غير هؤلاء – عملوا في تركستان الشرقيّة ، مِن بينهم : ألبريت آندرسون ، غوستاف أدولف أريل ، ماغنوس باكلوند ، أدولف بوهلين ، إميل فيشباخير ، فريدا لونديل ، آنا مسرور ، جوزيف ماسرور ، راشيل أو وينجيت ، إيلين كارولينا سفينسون ، سيجفريد بيرسون موين ، ريكارد نيستروم ، هيلدا لوفيسا نوركويست ، وغيرهم .

---

(1) https://en.wikipedia.org/wiki/George_W._Hunter missionary.

(2) https://en.wikipedia.org/wiki/Father_Hendricks

وسائل التنصير المتَّبَعة في تركستان الشرقيّة

لـم يتـرك المبشـرون وسـيلةً إلا وسـلكوها ، ولا أسـلوباً إلا اسـتخدموه ، أملاً في زعزعـة العقيـدة الإسلاميّـة في نفـوس أبنـاء تركسـتان الشـرقيّة .

وقـد كان هـدف المبشّـرين الأسـمى – مِـن وجهـة نظرهـم – ، هـو تنصيـر المسـلمين وإدخالهـم إلـى المسـيحيّة إن ظفـروا عليهـم ، وإن عجـزوا عـن تحقيـق ذلـك ، فلا أقـلّ مِـن أن يعملـوا علـى بـثِّ الشـكوك ، وإثـارة الشـبهات في الدّين والإيمـان بمـا يروّجونـه مِـن أباطيـل ، حتـى يتسـمّى أبنـاء هـذه العقيـدة النورانيّـة باسـم الإسلام شـكلاً فحسـب ، دون الاهتمـام بجوهـر العقيـدة وروحهـا .

لقـد حـاول المبشّـرون بـكلّ جهودهـم ووسـائلهم نشـر المسـيحيّة بين شـعوب تركسـتان الشـرقيّة ، ولكنهـم فشـلوا في ذلـك رغـم اسـتخدامهم للعديد مِـن الأسـاليب الترويجيّـة .

ومـن ثـمّ أعرضـوا عـن هـذه الطريقة ولجـؤوا إلـى المجال الخدمـي ، – بهدف تحقيـق هدفهـم – فشـرعوا بإنشـاء مستشـفيات ومـدارس ، ودور للأيتـام ، وعلاج الأطفـال ، علـى مـا سـيأتي تفصيلـه بعد .

وسـأعرض هنـا لـثلاث وسـائل انتهجهـا المنصّـرون في سـبيل تحقيـق مُبتغاهـم ، وهـي كمـا يلـي :

الوسيلة الأولى : المجال الطبي

إنّ تقديم الخدمات الطبيّة بكلّ صورها وأشكالها تعدّ مِن أهمّ وسائل التبشير لدى المنصّرين ؛ لذا ركّزوا جُلّ اهتمامهم على هذا القِطاع الحيويّ في كلّ البلدان الإسلاميّة ، وشيّدوا لذلك المستشفيات ، وفتحوا العيادات ؛ رغبةً في الاحتكاك القريب مِن المرضى ، والتواصل معهم ، مما يسهّل عمليّة تبشيرهم ، وعرض الدّين المسيحيّ عليهم .

وهذا ما قرّروه في مؤتمراتهم التي عقدوها تحت رئاسة «صمويل زويمر» في القاهرة عام 1906 م ، كما أكّدوا في مؤتمراتهم التالية على أنّ العلاج الطبي يمثّل إحدى الوسائل الأساسيّة للتبشير ، حتى قال المستر «هارير» بوجوب إرساليات الطبّ [1] .

وتنفيذاً لتلك القرارات أقام المبشرون المستشفيات والمراكز العلاجيّة في بلدان الإسلام بهدف التبشير ، وتمّ استخدامها كوسيلةٍ لنشر الدّين سرّاً ، ثم أُعلِنَت وجهتها في النّهاية على أنها مراكز تبشير .

وقد تمكّن المبشرون في تركستان الشرقيّة عبرَ هذه الوسيلة - مراكز الاستشفاء - مِن استمالة قلوب الشعب ، وجذب انتباههم - بعد ما فشلوا مِن قبل في ذلك - ، والفضلُ يعود في ذلك خاصةً إلى فعاليّة أطباء المبشرين السويديين في علاج الأمراض الأكثر شيوعاً بين السكان في ذلك الوقت .

كما كان للعلاج الكيميائي للأطباء الغربيين أثرٌ فعّالٌ جدّاً في علاج الأمراض المحليّة ، إذ وصل عدد المرضى الذين تمّ علاجهم في المستشفيات خلال فترة إقامة الأطباء السويديين في تركستان الشرقيّة - وفقاً لسجلّاتهم الطبيّة - إلى ما يقرب مِن 400,000 مريض .

(1) الميداني ، أجنحة مكر الثلاثة ، 92 .

استغلّ المبشرون فرصة تواجد المرضى في المستشفيات ، فبدؤوا بتوزيع وريقاتٍ (5 – 6) مترجمة مِن الإنجيل على كلّ مريض يأتي لتلقي العلاج ، وامتنعوا عن توفير الدواء ، وتقديم العلاج لأيّ مريضٍ رفضَ الاستجابةَ .

ولم يكن تصرف المبشرين هذا محصوراً في تركستان فحسب ، بل أصبح مبدأً أساسيّاً لهم في جميع أنحاء العالم ، يقول المبشر موريس : نحن متفقون بلا ريبٍ على أنّ الغاية الأساسيّة من أعمال التنصير بين المرضى في المستشفيات ، أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحيّة الحيّة ، وأن نأتي بهم إلى المعرفة المنقِذة – معرفة ربّنا يسوع المسيح – ، وعامل هؤلاء المنصّرون المرضى معاملةً حسنةً ، تتمثّل في زيارة الطبيب المبشّر المريض المسلم ؛ ليكون هذا المريض سبيلاً إلى اجتماع عددٍ غفير من المسلمين عنده ، في انتظار زيارة الطبيب ، وعندها تكون الفرصة سانحةً لهذا الطبيب المبشّر كي يبثّ سمومه بين أكبر عددٍ ممكنٍ مِن المسلمين في القرى الكبيرة في طول مصر وعرضها [1] .

وعندما احتفل المبشرون بذكرى أربعين عاماً لتأسيس جمعيّة المبشرين في تركستان الشرقيّة عام 1932 م [2] ، كان عدد المبشرين الذين يعملون في مجال الطب والعلاج في ذلك الوقت 22 شخصاً ، مِن بينهم ثمانية رجالٍ ، وأربع عشرة امرأة [3] .

وهذا عرضٌ للمستشفيات التي فتحت في تركستان الشرقيّة مِن قِبل المبشرين :

1– مستشفى ياركند افتتحه لارس إريك هوجبيرج ورفيقته مع المبشر ميرزا مسرور الإيراني عام 1894 م .

2– مستشفى كاشغر ، افتتحه المبشرون في مدينة كاشغر ، على

(1) التبشير والاستعمار ، عمر فروخ ، ومصطفى الخالدي ، ص 62 .

(2) زۇلھايات ئۆتكۈر، سەيياھلار ئىزىدىن، س483.

(3) G.palmer, 1942, en ny port öppnas, p.222.

يـد إريـك هوجبيـرج عـام 1900 م ، وبلـغ عـدد القـادمين إلـى المستشـفى عـام 1904 م مـا يقـرب مـن 2440 شـخصاً [1] .

وقـد دمِّـر هـذا المستشـفى في الزلـزال الـذي وقـع عـام 1907 م ، وعلـى إثـر ذلـك تـمّ إنشـاء مستشـفى جديـد أكبـر وأفضـل خدمـةً في مجـال الرعايـة الصحيّـة ، وكان هوجبيـرج هـو المؤّسـس المباشـر في هـذه المـرة .

حضـر حفـلّ الافتتـاح القنصـل العـام لروسـيا وبريطانيـا العظمـى ، وتـمّ إلقـاء كلمـة الافتتـاح بتسـع لغـاتٍ علـى الأقـلّ في الحفـل [2] .

3- مستشـفى ينـي حصـار ، افتتحتـه لوفيسـا إنجفـال في مقاطعـة ينـي حصـار ، وقـدّم المستشـفى خدماتـه مِـن عـام 1912 م حتـى عـام 1936 م [3] ، وكانـت لوفيسـا تديـر خدمـات الـعلاج والرعايـة الصحيّـة بنفسـها بشـكلٍ فـرديّ [4] .

وخلال الفتـرة الممتـدّة مـا بين عـام 1884 م ، وحتـى عـام 1916 م ، تـمّ بتلـك المستشـفيات تشـخيص مـا يقـرب مِـن 200,000 حالـة مرضيّـة ، وتم تقـديم الرعايـة الصحيّـة والـعلاج لهـم [5] .

(1) John hultvall, 1981, mission and revolution in central asia, p.9.

(2) John hultvall, 1981, mission and revolution in central asia, p.7.

(3) https://www.skbl.se/en/article/MariaLovisaEngvall

(4) John hultvall, 1981, mission and revolution in central asia, p.6.

(5) pa obanada stigar- 25ar i öst - turkestan, 1917, p. 401

الوسيلة الثانيّة : المجال التعليميّ

بجانب فتح المستشفيات والمراكز الصحيّة ، قام المبشِّرون السويديّون بفتح مدارس ، ودور أيتام ، وبدأوا برعاية الأيتام ، وأبناء الفقراء ، واستمرّوا في تعليمهم في تلك المناطق ، معتقِدين أنهم بعملهم هذا يمكنهم بسهولةٍ تغيير معتقدات هؤلاء الأطفال الصغار مِن خلال ذلك .

ومِن هذا المنطلق ، تمّ افتتاح أوّل مدرسةٍ حديثةٍ عام 1896 م ، في «كاشغر» ، وعلى الرغم مِن أنّ هدف تأسيسها كان هو تعليم الأطفال المشرّدين ، إلا أنّ عدد الطلاب لم يزدَد ، بل نقص تدريجيّاً .

فقد صدَر تقريرٌ عن المبشرين السويديين عام 1926 م يشير إلى أنّ المدرسة تضمّ فصلين ابتدائيين ، وكان عدد مجموع طلاب الفصلين 40 طالباً ، مما يشير إلى النجاح الضئيل الذي حقّقوه في تعليم الأطفال في «كاشغر» ، حيث ضآلة عدد الطلاب الذين تمّ تعليمهم في هذه المدرسة .

كما سجَّل المبشرون عام 1924 م ، عدد طلاب «ياركند» والبالغ عددهم 24 طالباً ، في حين بلغ عدد فتيات دار الأيتام المخصصة للفتيات فيها 20 فتاة . كما سجّل افتتاحهم دار الأيتام الخاصة بالأولاد واستقبالهم عام 1926 م ، 28 فتى .

تمّ شراء أرض في مدينة «كاشغر» ، وأُنشئ عليها سكن للأيتام الذكور ، كما تمّ إنشاء محضن مدينة «ياركند» لتربية اليتيمات على المبادئ المسيحيّة ، إلا أنّ هذا العمل لم يحّقق هو الآخر النجاح المرجوّ .

وكانت ثمّة مدرسة تأسّست في مدينة «يني شهير» تضم 64 طالبة ، وتتكون من ثلاثة فصول ، فصل للبنات ، وفصلان ابتدائيان ، وفصل للمتوسطة .

وكانت المدارس التي افتتحوها تدرّس بشكلٍ أساسيّ الموادّ التاليةَ :

الكتابـة ، والنصرانيّـة ، واللغـة الأويغوريّـة ، والرياضيـات ، والجغرافيـا ، وتاريـخ آسـيا الوسـطى ، وطـرق التدريـس ، والرسـم ، والموسـيقى ، والرياضـة [1] . وتـمّ توظيـف العديـد مـن الـطلاب الذيـن تدرّبـوا في مـدارس التبشـير داخـل الإدارة فيمـا بعـد .

في دار الأيتـام التـي أسسـها المبشـرون في مـدن تركسـتان الشـرقيّة ، وصـل عـدد الأيتـام إلـى 200 مـن الذكـور والإنـاث في عـام 1923 م [2] . وكان عـدد الإنـاث في هـذه المدرسـة يمثـل 25٪ مـن إجمالـي الـطلاب . ويعـدّ هـذا الأمـر خطـوة كبيـرة عنـد المبشـرين ، حيـث يـرون في تعليـم البنـات في المـدارس الإرسـاليّة خطـوة كبيـرة نحـو تحريـر المـرأة في تلـك المنطقـة كمـا يعتقـدون [3] .

وأنشـأوا في ياركنـد مدرسـة مهنيّـة باسـم «تربيـة الفتيـات في الأمـور المهنيـة» والتـي انضـمّ إليهـا حوالـي 90 فتـاة ، وتعلّمـن لمـدّة عـامين كيفيـة الحياكـة والنسـيج . وتم اسـتيراد الأجهـزة اللازمـة مِـن السـويد [4] . وقـد حققت هـذه المدرسـة نجاحـاً ملحوظـاً مقارنـةً بالجهـود الأخـرى .

وقـد أرسـلت جمعيّـة التبشـير إحـدى عشـر مبشّـراً مِـن السـويد بعـد أن تلقَّـوا التدريـب في مجـال التعليـم ، وتمّ تعـيين معظمهـم كمديريـن للمدرسـة .

وفي عـام 1921 م ، قـرر مؤتمـر سـتوكهولم إنشـاء مؤسسـة لتدريـب المعلـمين الأويغـور والصينـيين ، وتبـرع أحـد المؤيديـن بمبلـغ 12000 كرونـة سـويديّة لهـذا الغـرض . وقـد اسـتأجرت المؤسسـة مكانـاً للتدريـب ، وعينـت تورنكويسـت كمديـر لهـا [5] .

(1) ذو الحياة زۇلھايات ئۆتكۈر، سەيياھلار ئىزىدىن، 482.

(2) John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia , p.16.
ئەسەت سۇلايمان 2006. 157 بەت

(3) John hultvall, 1981, mission andrevolution in central Asia, p.6.

(4) Nyrén, 1928, p. 126 f. Lundahl-Walder, 1938, p. 126 f.

(5) John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia , p.7

لكـنّ هـذا الجهـد تحوّل إلـى محاولـة فاشـلة بسـبب الحملـة التـي شـنّها العلامـة عبـد القـادر علـى البعثـة التبشـيريّة عـامً 1923 م ، حيـث عصَفَـت بهـا ، وتـمّ تدميـر العديـد مـن الممتلـكات والمؤسسـات التبشـيريّة . وبعدهـا أصبـح مِـن المسـتحيل تأجيـر أيّ قطعـة أرض حتـى لـو كانـت أصغـر بقعـةٍ في المنطقـة .

اسـتخدم المبشّـرون كافـة الوسـائل المتاحـة لجـذب قلـوب الـطلاب إلـى لالتحـاق بالمـدارس ، حتـى لجأوا إلـى إدراج القـرآن واللغـة العربيّـة والفارسـيّة ضمـن المـواد التعليميّـة ، بسـبب عـدم تسـجيل الـطلاب في الصفـوف لعـدم وجـود مـوادّ إسلاميّـة [1] ، ومـع كلّ هـذا لـم ينجحـوا في عملهـم ؛ لأنّ العلمـاء والغيوريـن علـى دينهـم ، استبسَـلوا واسـتماتوا في الدفـاع عن عقيدة المسـلمين ، والحفـاظ عليهـا مِـن سـرقة هـؤلاء المبشّـرين .

ومـع فتـح المؤسّسـات التعليميّـة ، لـم يرسِـل الأهـل – خاصّـة الطبقـات العليـا والوسـطى – أولادّهـم إلـى هـذه المؤسّسـات .

وهكـذا نـرى مـا أسـفرَت عنـه مقاومـة العلمـاء مِـن شـكوى المبشـرين مِـن تأثيرهـا الشـديد علـى أنشـطتهم ، ممّـا منـع تدفّـق الـطلاب إلـى المـدارس التبشـيرية في «ينـي حصـار» . وممـا يزيـد هـذا الأمـر وضوحـاً أنّ الفصـول الدراسـيّة كانـت مليئـةً بالـطلاب ، فصـادفَ يومـاً اكتشـف فيـه المبشِّـرون قِشـرةً مِـن لحـم خنزيـرٍ مُقـدَّدة معلّقـة علـى الشـجرة عنـد البوّابـة ، فلـم يجـرؤ أيّ مسـلم مِـن المـرور عبـر البوابـة مـا دامـت القديـدة معلّقـة هنـاك ، ممّـا أدى إلـى غيـابً الأطفـال عـن المدرسـة لعـدّة أيـامٍ .

وهـذا مـا يوضِّـح أنّ المبشِّـرين كانـوا يواجهون تحديـاتٍ كبيـرةً في محاولاتهم نشـر النصرانيّـة في تركسـتان ، حيـث قُوبِلـت تلـك المحاولات بمعارضـةٍ شـديدةٍ مِـن العلمـاء والشـيوخ والأهالـي ، مسـتخدمين تحذيـراتٍ وتهديـداتٍ لإيقـاف الأطفـال عـن الذهـاب إلـى المـدارس النصرانيّـة .

(1) Palmaer, 1942, p. 71. Lundahl, 1917, p. 461 f

بمقابلِ ذلك ، كافَح المبشّرون إرادةَ الأهالي بإنشاء المزيد من المدارس ودور الأيتام ؛ لتكون محاضن لأكثر عددٍ مِن الأطفال الذين تحتاجهم الأمّة ، الأمر الذي يعكس التزامهم برسالتهم في خدمة المجتمع تسهيلاً لنشر الدّين المسيحيّ .

ولم تَفتُر عزيمة الأهالي والشيوخ في تنبيه الأطفال مِن مكر المبشرين ، وتخويفهم مِن سرقتهم ، قائلين لهم : إنّ المبشرين تجّار البشر ، وسرّاق الدّين ، وغيرها مِن العبارات ، مما أسفر عنه إحجام الأطفال وتوقّف العمل بالمدارس ، وهكذا استطاع الشيوخ إثارة الشعب ضدّ المبشّرين أحياناً ، وإجبار آباء الأطفال على إخراج أطفالهم مِن المدرسة أحياناً أخرى . ومِن المؤكد أنهم لن يرسلوا أطفالهم إلى هناك بعد الآن [1] .

(1) Högberg, 191, p. 55. Lundahl, 1916, p. 140·John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia, p. 6

الوسيلة الثالثة : الترجمة والتأليف

مِـن بين مَهـامّ المنصّريـن الأساسـيّة في نشـر الدّيـن المسـيحي ، ترجمـة الكتـاب المقـدّس ، وطباعـة المنشـورات الدينيّـة ، وتعاليـم المسـيحيّة ، وترجمـة نصوصهـا إلـى اللغـات المحليّـة ، ونشـرها في المناطـق التـي يعملـون بهـا .

وهنـا أدرك المبشّـرون السـويديّون الحاجـةَ الماسّـةَ ، والضّـرورةَ المِلحّـة لهـذا الأمـر ؛ إذ لـم تكـن في تركسـتان الشـرقيّة وقتهـا مطبعـة ؛ لـذا كان مِـن الضـروري إيجـاد مطبعـةٍ لتحقيـق الهـدف مِـن نشـر الترجمـات ، والكتـب المسـيحيّة ، يذكـر الكاتـب «سـتيفن نيـل» في كتابـه «الصليـب فـوق آسـيا» أنّ إحـدى المهـامّ الأكثـر إلحاحاً للبعثـة المسـيحيّة في تركسـتان الشـرقيّة كانـت ترجمـة الأدب المسـيحي [1] .

وهـذا مـا تقـرّر بالفعـل في المؤتمـر العـامّ الـذي عقِـد في «سـتوكهولم» عـام 1893 م ، لكـنّ تنفيـذ هـذا القـرار لـم يتـمّ إلا في عـام 1910 م ، حيـث أقِميـت مطبعـة لتركسـتان الشـرقيّة في مدينـة «كاشـغر» .

وفي عـام 1912 م بـدأت المطبعـة عملهـا رسـمياً ، وتشـكّلت لجنـة الترجمـة والنشـر ، وكانـت تضـمّ ثلاثـة أعضـاء مـع مديـر الطباعـة ، هـم : هوجبيـرج ، أوسـكار أندرسـون ، راكيـت .

وتعـدّ هـذه اللجنـة جـزءاً مِـن الجهـود الواسـعة التـي بذلتهـا البعثـات المسـيحيّة في تركسـتان الشـرقيّة لنشـر التعاليـم المسـيحيّة في المنطقـة ، إذ كان هدفهـا الرئيسـي ترجمـة النصـوص المسـيحيّة إلـى اللغـات المحليّـة ونشـرها في المنطقـة ، إضافـة إلـى التحريـر والتدقيـق فيمـا تتـمّ كتابتـه مِـن قِبـل الآخريـن ، كمـا كانـت تتحمّـل المسـؤوليّة الكاملـة أمـام المؤتمـر عـن جميـع المنتجـات التـي

(1) Neill, 1950, p.192.

تُقـدَّم للطباعـة [1] . وكانـت المطبعـة قـادرة علـى الطباعـة بالحـروف الأويغوريـة واللاتينيـة [2] .

هـذه المطبعـة وإن كانـت مطبعـة أوليـة ، فقـد تعـدّ هـي الأولـى في جنـوب تركسـتان الشـرقيّة ، وهـذا لـه دلالتـه ، فظاهـر الأمـر يوحـي بـأنّ المطبعـة كانـت تسـتهدف في المقـام الأول توزيـع المنشـورات المسـيحيّة المترجمـة إلـى اللغـة الأويغوريّـة فحسـب ، أمّـا البُعـد النظـريّ فلـم يكـن سـوى توسـيع النفوذ السـويديّ في جنـوب تركسـتان الشـرقيّة . وهـذا مـا يفسّـر اسـتِمراء السـويديّين للمشـاقّ التـي تكبّدوهـا في سـبيل تحقيـق هـذا الحلـم ، فرغـم وُعـورةِ تضاريـس المنطقـة ، تـمّ تفكيـك قِطـع المطبعـة وأجزائهـا المكوّنـة لهـا ؛ لِتُنقـلَ علـى ظهـور الـدوّاب عبـر الجبـال الشـاهقة ، ليُعـاد تركيبهـا بعـد ذلـك ، وتولّـت البعثـة كامـل نفقـات الطباعـة ، فوفّـرت جميـع المعـدّات اللازمـة ، واللـوازم الضروريّـة للمطبعـة ، بمـا في ذلـك حـروف الطباعـة والـورق .

بـدأ المبشّـر التركـي ، «يوهانـس أفيتاريانيـان» بعملـه الأول في كاشـغر بترجمـة بعـض فصـولٍ الكتـاب المقـدّس إلـى اللغـة الأويغوريـة ، كمـا ترجـم غيـرُه «سـفرَ التكويـن» [3] .

ثـم طبـع علـى التوالـي بعـض الأجـزاء والقصـص مـن الأناجيـل ، بالإضافـة إلـى بعـض الأناشـيد مـن الزبـور ، وطبعـت أيضـاً بعـض الكتـب التـي كتبوهـا باللغـة التركسـتانيّة ولهجاتهـا ؛ بقصـد تعليـم اللغـة الأويغوريّـة التركيّـة للمبشـرين ، والباحـثين الآخريـن . وفي الذكـرى الخامسـة والعشـرين للبعثـة التبشـيريّة عـام 1917 م ، بلـغ عـدد الكتـب والمنشـورات التـي تمـت طباعتهـا 30 ألـف نسـخةٍ [4] .

---

(1) Andersson, 1928, p. 472 f. In 1917.

(2) Törnquist, 1928, p., 473. The Turkish types were delivered from Constantinople (Nyrén, 1928, p. 426).

(3) The Holy Bible in Eastern (Kasiigar) Turki.1950.

(4) Palmaer, 1942, p. 202.

ورغم هذا الكمّ الهائل مِن المنشورات المطبوعة ، إلا أنّ المبشرين اصطدموا بعوائق ، تارةً مِن عدم قدرة أكثر الناس على القراءة ، وحيناً آخر مِن عدم استجابتهم للأدب التبشيري ونصوص الأناجيل ، وهكذا استمرّت مُعاناتهم ، وزادت بعدما تعرضّت منشوراتهم الدينيّة للتمزيق والحرق مِن قِبل الناس .

وكحلٍّ لبعض تلك المشكلات ، تمّ توظيف شخصٍ متعلِّم ؛ ليتولّى قراءة النصوص بصوت عالٍ للآخرين ، وبهذا تجنّبوا توزيع المنشورات مجّاناً لتفادي التمزيق والحرق [1] .

على الرغم مِن أنّ الهدف الأساسي الذي كان يسعى إليه المبشّرين في جنوب تركستان الشرقيّة هو نشر النصرانيّة ، إلا أنهم قاموا بتنظيم أنشطةٍ ثقافيّةٍ ، وتعليميّة ، واجتماعيّة في المنطقة بغرض تحقيق الهدف الأساسي .

وقد أدّتِ الصحافة السويديّة في «كاشغر» دوراً هامّاً في سبيل تحقيق ذلك ، سواء في مجال الشؤون الثقافيّة والنشر ، أو في تشكيل اللغة الأدبيّة الأويغوريّة .

---

(1) Törnquist, 1928, p. 471.

أنشطة المبشّرين في جنوب تركستان الشرقيّة ونتائجها

لــم تحقّـق الجمعيّـة الدينيّـة السـويديّة في كاشـغر وياركنـد إنجازاتٍ ملحوظـةً في الأنشـطة الدينّيـة ، إذ يُقـدّر عـدد الأويغـور الذيـن عُمِـدوا (غَسـلوهم بماء الــمَعْمُودِيَّة) في الكنائـس السـويديّة بأقـلّ مِـن مئـة وَفقـاً لتقديـرات الباحـثين ، وتقاريـر المبشـرين السـويديّين العائديـن مِن كاشـغر إلـى سـتوكهولم أوائـل أربعينيّـات القـرن الماضـي .

تأثّـرت أنشـطة المبشـرين السـويديّين في جنـوب تركسـتان الشـرقيّة بالتغيّـرات السياسـيّة المعقـدّة التـي حدثـت نهايـة عـام 1938 م ، ممـا صعّـب الأمـرَ ، وعسَّـر عليهـم مواصلـة العمـل في المنطقـة ، ومِـن ثَـمّ بـاءَت جُهُودهـم بالفشـل ، وخـابَ مَسـعاهم ، ولـم يُحالفهـم النّجـاح في مهامّهـم التبشـيريّة ، طيلـة نصـف قـرنٍ ، فرجعوا يجرّون أذيال الــخَيبة ، ويعضّـون أصابعهـم تحسّـراً وندمـاً ؛ بسـبب قلّـة اسـتجابة السـكان المحليّين للدعـوة الدينيّـة السـويديّة .

فمـع كثـرة بنـاء الكنائـس في تلـك السـنين ، إلا أنّ التنصير نما بشـكلٍ بطـيء للغايـة ، فالإحصائيـات التاليـة تشـير إلـى اسـتقرار الكنيسـة وتطورّ أعمالهـا بشـكلٍ هـادئ ، - مـع عـدم توفّـر بيانـاتٍ وإحصائيـات وتقاريـر لبعـض السـنوات وفقدهـا - ، وتوفّرهـا في بعضهـا الآخر .

Missionaries	الطلاب	الفصل	المدارس المحلية	العضو/ المسلم	Year
24	– – –	–	5	14/ مسلم7	1913
25	100	3	6	21 / - -	1916 - 17

فعندمـا احتفـل المبشـرون عـام 1917 م بالذكـرى التأسيسـيّة الخامسـة والعشـرين ، كان عـدد المعتنـقين النصرانيّـة 21 شـخصاً – غالبيتهـم مـن الصينـيين – ، وعـدد المبشـرين 25 مبشّـراً ، فالعـدد الإجمالـي للمؤمـنين بالنصرانيّـة كان أقـل مِـن عـدد المبشّـرين .

ووصـل عـدد المعتنـقين النصرانيّـة إلـى خمـسين شـخصاً عـام 1922 م ، ولكـن غالبيـة الأعضـاء قـد اعتقلـوا ، أو هربـوا خلال ثـورة عـام 1923 م .

كمـا يوضّـح الجـدول أعلاه أنّ عـدد المعتنـقين للنصرانيّـة في عـام 1922 م وصـل إلـى أحـد عشـر شـخصاً مسـلماً ، ومـع ذلـك كان المبشّـرون يشـكون مِـن أنّ بعـض هـؤلاء الأبنـاء المتنصّريـن قـد سـافروا إلـى مكـة لأداء فريضـة الحـج ، بعدمـا كبـروا [1] .

(1) John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia , p.11

كمـا أنّ المبشّـرين لـم يكونـوا مطمئنّين لإيمـان هـؤلاء المعتنـقين للنصرانيّة ، وهـذا مـا تشـير إليـه إجابـة «تورنكويسـت» - عندمـا ألقـي عليـه سـؤال حـول مـاذا سـيحدث لهـؤلاء المعتنـقين؟ - بأنهـم سـيتعرضون للقتـل إذا لـم يتراجعـوا عـن إيمانهـم بالمسـيحيّة ، وإن لـم يُقتلـوا فإنهـم سـيعودون إلـى الإسلام مـرّة أخـرى .

وقـد تـبين لاحقـاً ، في الثلاثينيـات مِـن القـرن الماضـي ، أنّ مخـاوف المبشـرين هـذه لـم تكـن مبالغـاً فيهـا .[1]

يقـول فالمير : إنّ هـذا العـدد القليـل يمثّـل رقمـاً منخفضـاً بشـكلٍ مخيـفٍ إذا مـا قارنّـاه بالجهـود الروحيّـة والعمليّـة التـي بذلتهـا الجمعيّـة التّبشـيريّة وأعضاؤهـا في هـذه السـنوات الطويلـة [2] .

حيـث كان هنـاك 21 مسـاعداً محليـاً في عـام 1922 م ، وهـذا يعـدّ عـدداً كبيـراً بشـكلٍ مدهـشٍ ، نظـراً إلـى أنّ الكنيسـة نفسـها كانـت تضم في ذلـك الوقـت 50 عضـواً فقـط ، وذلـك راجـعٌ إلـى أنّ المعتنـقين النصرانيّـة كانـوا محـرومين مِـن الفـرص الاجتماعيّـة والاقتصاديّـة في المجتمـع ، وكان علـى البعثـة توفيـر العمـل للعديـد منهـم في مراكـز البعثـة [3] .

ونتيجـةً لما سـبق ، أصيـب بعـض المبشـرين بالاكتئـاب ؛ بسـبب عـدم تحقيـق النجـاح في الخدمـة التـي عملـوا فيهـا لسـنوات طويلـة ، وتحـت ظـروف لـم تكـن مناسـبة لهـم ، ممـا أدى ببعضهـم إلـى الاكتئـاب ، والأمـراض المحلية .

في بدايـة عشـرينيات القـرن الماضـي ، ناقشـت جمعيـة التبشـير السـويديّة مسـألة إغلاق مراكـز البعثـة في تركسـتان الشـرقيّة ، نظـراً لفشـل الأنشـطة التبشـيرية - علـى مـدى عـدّة عقـودٍ - في تحقيـق النجـاح أو الاسـتقرار ، ولـم تسـتطع الجمعيّـة الوصـول إلـى قـرار نهائـي بشـأن اسـتمراريّة العمـل أو عدمـه ،

(1) Törnquist to Lundahl, January 6th, 1926.

(2) Palmaer, 1942, p. 112.

(3) John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia , p.11

حيـث باتـت تتسـاءل عـن مـدى جـدوى اسـتمرار العمـل في هـذه المنطقـة ، وعمّـا إذا كان العمـل فيهـا يسـتحقّ التضحيّـة بمبالـغ كبيـرة مـن المال والمـوارد البشـريّة في عمـل لا يعطـى ثمـاره إلا بشـكلٍ محـدودٍ .

كمـا عقـدت جلسـات حواريّـة عـدّة مـرات ؛ لمناقشـة قضيّـة إغلاق المراكـز التبشـيريّة أو تسـليمها لجمعيـة تبشـيريّة أخـرى ، وذلـك في الأعـوام 1914 م ، و 1921 م ، و 1925 م ووجِّهـت الاتهامـات للمبشـرين بالإخفـاق في أداء مهامّهـم ، وعـدم الاهتمـام بهـا ، بالإضافـة إلـى القصـور في ترجمـة الإنجيـل بالكامـل ، وعـدم طبعـه خلال تلـك الفتـرة الزمنيّـة الطويلـة [1] .

ومـع الخيبـة التـي مُنِيـت بهـا جمعيّـة التبشـير ، قـرّرت اسـتمرار عمليـات التبشـير في تركسـتان الشـرقيّة .

وكانـت ثمّـة عوامـل متعـدِّدة أدّت إلـى عـدم إغلاق الجمعية التبشـيرية في المنطقـة في تركسـتان الشـرقية ، منها :

– تميّـز تركسـتان الشـرقيّة عـن الـدول الإسلاميّـة الأخـرى بتحدياتهـا الفريـدة والمعقّـدة ، حيـث كان التقـدم الطفيـف في العمـل التبشـيري صعبـاً ومتطلِّبـاً جهـوداً جبّـارة . مما يجعـل هـذه الحقيقـة محفِّـزاً للمبشـرين العاملين في مناطـق أخـرى ؛ لمواجهـة التحديـات المشـابهة ، والعمـل بجد لتحقيـق النجاح .

يقـول أهلبـرت في القاهـرة عـام 1923 م ، بعـد إجـراء دراسـة عـن عمـل المبشـرين في تركسـتان الشـرقيّة : وإن كانـت البعثـات التبشـيريّة في مناطـق أخـرى حقّقـت أضعـاف الإنجازات التـي حقّقتها البعثة التبشـيريّة في تركسـتان الشـرقيّة ، إلا أن النتائـج التـي حقّقتهـا تلـك البعثـات ليسـت أفضل مِـن نتائج البعثـة التبشـيريّة في تركسـتان الشـرقيّة ، ويمكـن القـول بالعكـس تمامـاً ، نظـراً للجهـود التـي بذلتهـا البعثـة التبشـيريّة في تركسـتان الشـرقيّة [2] .

– يعـود اسـتمرار العمـل التبشـيري في تركسـتان الشـرقيّة إلـى سـبب

(1) Nyström to Lundahl and Westling, November 19th, 1921

(2) Ahlbert to Lundahl, September 15th, 1923.

آخر ، والمتمثّل في الأهمية التي توليها الدوائر التبشيريّة خارج السويد لهذه المنطقة ، إذ يرى المبشرون أن تركستان الشرقيّة تشكّل قلب وسط آسيا ، وجسراً أساسياً لنشر الإنجيل في مدنٍ أخرى .

– اعتقاد الجمعيّة بأنّ المسلمين في مناطق مختلفة من العالم كانوا يتابعون بانتباهٍ تطورات النشاط التبشيري النصراني في تركستان ، وقد صرح نيرين في هذا الصدد قائلاً : إذا توقّفت البعثة التبشيريّة في عام 1922 م ، فسيتم تفسير هذا الأمر في العالم الإسلامي بأنّه إفلاس للمسيحيّة (1) .

وأما الأب هندركيس المبشر الهولاندي ، الممثّل للكنيسة الكاثوليكيّة في كاشغر ، فلم يتمكّن مِن تعميد أيّ شخصٍ خلال فترة عمله التي امتدت لأكثر مِن عشرين عاماً (من عام 1885 م ، إلى عام 1906 م) باستثناء إسكافي واحدٍ مِن الصينيين (2) .

---

(1) Nyrén to Nyström, January 21st, 1922.

(2) Ruins of Desert Cathay – Personal Narrative of Explorations in Central Asia and Westernmost China", Volume 1, M A Stein, 1907, p. 124. https://en.wikipedia.org/wiki/Father_Hendricks.

أنشطة المبشِّرين في شمال تركستان الشرقيّة ونتائجها

كان ذلك عملُ البعثات في جنوب تركستان الشرقيّة ، أمّا البعثات العاملة في شمال تركستان الشرقيّة فغالبيتها كانت مِن الطائفة الكاثوليكيّة ، تركّزت نشاطاتها الدعويّة بشكل رئيسي في المدن التالية : «غولجا ، وأورومجي ، وقورغاس ، ومانـاس ، وقطوبي» ، وغيرها من المناطق القريبة .

أسّس المبشّر البروتستانتي «جورجي هانتر» ، مركزاً تبشيريّاً في «أورومجي» عام 1906 م ، واستمرت خدمته حتى عام 1938 م [(1)] .

واختلفت طريقة عمل البعثة الشماليّة في التبشير عن طريقة البعثة السويديّة في جنوب تركستان الشرقيّة ، حيث ركّزت البعثة الشماليّة جهودها بشكلٍ أساسيّ على نشر الإنجيل والتبشير بين السكان المحليين في شمال تركستان الشرقيّة ، تحقيقاً للمهمّة الرئيسية والمتمثّلة في التبشير والتنصير ، بينما اعتمدت البعثة السويديّة في الجنوب على بناء مستشفيات ، وكنائس ، ومدارس لتوفير الرعاية الصحيّة والخدمات التعليميّة .

وخلال السنوات الأولى في المراكز التبشيريّة الشماليّة قام جورجي بتعميد اثنين مِن المسلمين ، وبعدها مرّت سنوات عديدة لم يُعمَّد فيها أحد . وبحلول نهاية عام 1925 م ، لم يتبقّ إلا حوالي عشرة مسيحيين فقط ، وأكثرهم كانوا مِن الصينين البوذيين الذين اعتنقوا النصرانيّة [(2)] .

---

(1) Neill, 1971, p. 263. Concerning other Missions in Central Asia, see Cochrane, 1925, p. 30. Anderson, Gerald H. (1999). Biographical Dictionary of Christian Missions. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing. pp. 311–312.

(2) Neill, 164, p. 334.

وكان إرسال البعثة الكاثوليكيّة في ثمانينيات القرن التاسع عشر ، حيث قام الأب «هندريج» الذي كان مبشراً في منغوليا بالانتقال إلى تركستان الشرقيّة ، وتركزت أنشطته في أورومجي ومناطقها المجاورة . كما وصل ثلاثة مبشرين آخرين إلى الجزء الشمالي في نفس الفترة ، لكنهم لم ينجحوا في مهمّتهم [(1)] .

استمرت البعثة الكاثوليكيّة في ممارسة أنشطتها في الجزء الشمالي مِن تركستان الشرقيّة ، حيث كانت هناك مراكز تبشيرية في أورومجي وغولجا وسويدنغ وماناس ، وكان الأب ستيل يقود نشاطات المبشرين . وقد تمّ رعاية 350 يتيماً - كلّهم أو غالبيتهم كانوا من غير المسلمين - تحت إشراف المبشرين[(2)] ، واستمروا في البلاد حتى أواخر الأربعينيات [(3)] .

ولم يكن حال مبشّري البعثة البلجيكيّة التابعة لجمعيّة قلب مريم المقدسة أكثر نجاحاً مِن نظرائهم الكاثوليك ، فقد وصل مبشّرو البعثة البلجيكيّة إلى إيلي عام 1883 م ، واستقروا في إحدى بلداتها الواقعة ضفاف نهر إيلي [(4)] ، والتي تقع في شمال تركستان ، كما لم تنجح البعثة التبشيريّة السويديّة في جنوب تركستان الشرقيّة ، مع قيامها بأنشطة تبشيريّة ، ولكن الاستجابة كانت بطيئة ، كما كان عدد الأتباع قلائل جدّاً ، واشتكى المبشرون من عدم دخول الناس في المسيحيّة [(5)] .

---

(1) Larsson, 1905, p. 338 f.
Törnquist, 1926, p. 189 ff.

(2) Loy 1936/37, p. 322. Latourette, 1945, p. 325.

(3) John hultvall, 1981, mission and revolution in cantral asia , p.30

(4) Themost Unfruitf ul Mission in the world, CICM Fathers Frans and Jozef Hoogers in Xinjiang: 1895~ 1922, p325. .
汤开建 马占军. 清末民初圣母圣心会新疆传教考述（1883~ 1922年). 西域研究 2005 年第 2 期. 67.

(5)《新疆省疏勒县调查外国驻华传教教堂驻在地点及教士姓名表》，新疆维吾尔自治区档案馆。

لقد عدّل الأسقف الهولندي جان بابتيست ستينمان Jan Baptist Steeneman وآخرون استراتيجيتهم التبشيريّة في مواجهة الوضع غير المواتي، حيث تحوّلوا إلى وعظ شعب الهان الذين لديهم معتقدات دينيّة ضعيفة بدلاً مِن وعظ الأويغور. وفي عام 1896 م، رفع إلى الحكومة المحليّة طلباً لشراء أرضٍ وبناء كنيسةٍ، ولكنه لم ينجح في ذلك، إذ لم يستطع بناء كنيسة كاثوليكيّة رسمية في إيلي إلا عام 1887 م، يعني بعد خمس سنوات قضاها في «غولجا» [1].

وفي نهاية عام 1895 م، قام جان بابتيست بطلب المساعدة في الأنشطة التبشيريّة في إيلي، وبعد ذلك تم إرسال القس الهولندي جاو بيكسين واثنين آخرين للمساعدة في هذه الأنشطة. وفي عام 1908 م، تم إنشاء كنيسة كاثوليكيّة في مقاطعة سويدونغ التابعة لإيلي. وبعد ذلك، أسّس Leesens Desire كنيسة كاثوليكيّة في أورومجي، وفي عام 1910 م، تم إنشاء كنيسة كاثوليكيّة في ماناس بعد أن تم إرسال ليجيخوا إليها مِن قِبل الجمعيّة [2]. وكان عدد المعتنقين في هذه الكنائس يتألف مِن 10 رجال و13 امرأة [3].

وعلى الرغم مِن الجهود التبشيريّة التي قام بها المبشرون التابعون للكنيسة الكاثوليكيّة البلجيكيّة في مدن تركستان الشرقيّة، إلا أنهم لم يحققوا النتائج المتوقّعة. فقد أظهرت الإحصائيات أنّ عدد المعتنقين

---

(1) 汤开建、马占军:《清末民初圣母圣心会新疆传教考述(1883–1922)》,《西域研究》,2005 年第 2 期。

萧然奎撰: 5 绥定县乡土志6 , 据清光绪三十四年抄本影印, 成文出版社印行, 第 3 6~ 3 7 页。

(2) 汤开建、马占军:《清末民初圣母圣心会新疆传教考述(1883-1922)》,《西域研究》,2005 年第 2 期。

(3) 木拉提 · 黑尼亚提:《近代新疆天主教会历史考》,《西域研究》,2002 年第 3 期。

الكاثوليك في تركستان الشرقيّة خلال 44 عاماً (من 1878 م إلى 1922 م) لم يتجاوز 340 شخصاً ، وأغلبيتهم كانوا مِن الهان [1] .

وأمّا الرابطة التبشيريّة للبعثة الداخليّة (OMF International) [2] ، فأرسلت المبشّر الإسكتلندي «جورجي هنري» [3] (George W. Hunter) إلى تركستان الشرقيّة عام 1906 م ،للعمل على نشر التنصير هناك . واستقر هنري في «أورومجي» [4] . زار مدن تركستان الشرقيّة ، وتعلّم لسان قوميات تركستان الشرقيّة هناك . كما تعلّم اللغة الأويغوريّة مِن البعثة السويديّة في «كاشغر» ، حيث زارها مرتين في عامي 1906 م ، و 1912 م لتعلّم لغة الأويغور [5] . وفي عام 1907 م ، أسس هنري كنيسة في «أورومجي» . وفي 25 أبريل 1907 م ، حضر جورجي هنري اجتماعاً عقدته الرابطة في «شنغهاي» ، حيث طلبت الرابطة إرسال الكهنة الأكثر خبرة إلى تركستان الشرقيّة [6] . وعلى الرغم من بذله جهوداً كبيرةً ، إلا أنه لم ينجح في أعماله التبشيريّة كباقي زملائه المبشّرين .

أمّا الكنيسة الأرثوذكسيّة فدخلت إلى تركستان الشرقيّة في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين مع دخول الروس إلى تركستان

---

(1) 李宽淑著:《中国基督教史略》，社会科学文献出版社，1998 年版，第 256 页。

(2) هي منظمة مكرسة للعمل التبشيري في آسيا ، أنشأها المبشر البريطاني هدسون تايلور في يونيو 1865 .

(3) Anderson, Gerald H. (1999). Biographical Dictionary of Christian Missions. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing. pp. 311–312.

(4) Mildred Cable and French Francesca French: George Hunter Apostle of Turkestan， Newington Green London, 1946, p.22.

(5) Ildikó Bellér-Hann (2008). Community Matters in Xinjiang, 1880–1949: Towards a Historical Anthropology of the Uyghur. BRILL. pp. 258.

(6) Mildred Cable and French Francesca French:George Hunter Apostle of Turkestan Newington Green London, 1946, p.30.

الشـرقيّة ، وإقامتهـم في إيلـي ، وأورومجـي [1] . أسسـت الكنيسـة بسـرعة كنائـس في أماكـن مختلفـةٍ وأقامـت مراكـز تبشـيريّة [2] ، ولكـن التأثيـر الـذي حقّقتـه الكنيسـة كان محـدوداً ، ولـم يسـتجب سـوى عـدد قليـل مـن السـكان الـروس المسـيحيين الذيـن اسـتقروا في تركسـتان الشـرقيّة .

يقـول بوغويافلينسـكي – العامـل في القنصليّـة الروسـيّة في تركسـتان الشـرقيّة لسـنواتٍ عديـدةٍ – في كتابـه : «وعلـى الرغـم مـن أنّـه كانـت هنـاك في «كاشـغر» مجموعـة تبشـيريّة سـويديّة بروتسـتانتيّة ، ومجموعـة تبشـيريّة كاثوليكيّـة لفتـرةٍ مِـن الوقـت ، ولكـن لم يسـتطع فعـل أيّ شـيءٍ ؛ لأنّ المشـكلة الأساسـيّة لا يمكـن تحويـل المسـلمين إلـى المسـيحيّة ، أمّـا بالنسـبة لشـعب الهـان في «كاشـغر» ، فالأفضـل عـدم إقناعهـم بالمسـيحيّة علـى الإطلاق ؛ لأنهـم حريصـون علـى المال ، ولا يمكـن أن يجذبهـم الدّيـن» [3] . المسـيحيون في ينـي شـهير «جميعهـم رجـال أعمـال وشـعب هـان» [4] .

كان عـدد المنتـمين إلـى المسـيحيّة في «أورومجـي» يبلـغ 144 شـخصاً ، وجميعهـم مِـن الصينـيين الذيـن قدمـوا إلـى تركسـتان الشـرقيّة مِـن الـصين ، باسـتثناء شـخصين فقـط مِـن مقاطعـةٍ أخـرى ، ولكنهـم لـم يكونـوا مِـن الأويغـور [5] .

(1) 乐峰:《东正教史》，中国社会科学出版社，1999 年版，第 198 页。

(2) 乐峰:《东正教史》，中国社会科学出版社，1999 年版，第 200 页

(3) 尼 · 维 · 鲍戈亚夫连斯基著，新疆大学外语系俄语教研室译:《长城外的中国西部地区》，商务印 书馆，1980 年版，第 90 页

(4) 尼 · 维 · 鲍戈亚夫连斯基著，新疆大学外语系俄语教研室译:《长城外的中国西部地区》，商务印 书馆，1980 年版，第 90 页。

(5) 钱 松 学科. 清末至民国基督教 在新疆的传播. 2005 年. 20页

الفصل الرابع : جهود العلامة عبد القادر في الدفاع عن عقيدة المسلمين :

- إصلاح النظام التعليمي مِن خلال :

  أ- التجديد في المناهج والمقرّرات الدراسيّة .

  ب- فتح المؤسسات التعليميّة .

  ج- التشجيع على التعليم ،والاهتمام بتعليم المرأة .

  د- ابتعاث الطلاب .

- العمل الخيري والخدمات الاجتماعيّة مِن خلال :

  أ- إنشاء جمعية خيريّة .

  ب- تأسيس دار للأيتام .

- التّنديد بالغزو التنصيري ومقاومته .

الفصل الرابع

جهود العلامة عبد القادر في الدفاع
عن عقيدة المسلمين

منـذ عـام 1892 م والمبشـرون يشـتغلون بالعمـل التنصيـري ، فأنشـأوا مراكـز تبشـيريّة في كاشـغر عـام 1894 م ، وحاولـوا نشـر النصرانيّة بين شـعب تركسـتان الشـرقيّة ، مسـتخدمين كلّ الإمكانـات ومسـتغلّين حاجـات النـاس ، وخاصّـة الخِدميّـة منهـا ، كالاستِشـفاء والتعليم والإيـواء ، ودار النشـر والطباعة ، والمـدارس ، ودار الأيتـام ، واتخذوهـا سـلّماً أوّليّـاً تسـهيلاً لنشـر النصرانيـة بين الشـعوب[1] .

فهـبّ الشـعب لمقاومـة أنشـطة المبشّـرين ، يتقدّمهـم العلمـاء وطلاب العلم مُنضَويـن تحـت قيـادة العلامـة عبـد القـادر ، وبجهـود الإمـام عبـد القـادر ومَـن معـه ممـن آزرَه نظّـف الشـعب وطنـه مِـن دسـائس المبشـرين الماكريـن ، وطردوهـم مِـن تركسـتان الشـرقيّة خائـبين خاسـرين .

وقـد سـلك العلامـة عبـد القـادر في جهـاده ذاك سـبلاً عديـدةً ، ووسـائلَ متنوّعـةً ، نُوردهـا فيمـا يلـي :

1 – إصلاح النظام التّعليميّ :

لا يمكـن أن نتخيّـل تطـوّر أيّ أمّـة ، أو تقـدّم أيّ مجتمـع مـا لـم يُـول قضيّـة التعليـم أهميّـة كبـرى ، ويجعلهـا مِـن أَولـى أولوياتـه ، فـإصلاح المجتمعَ ينبَثِـق مِـن خلال إصلاح التعليـم العـامّ وتحسـينه ، وهـذا مـا ركّـز عليـه العديـد مِـن دُعـاة الإصلاح والفِكـر .

(1) زۇلھايات ئۆتكۈر، سەيياھلار ئىزىدىن، 263.

لقـد أدرك العلامـة عبـد القـادر أنّ التعليـم أسـاس كلّ نهضـةٍ ، وعنصر كلّ حضـارةٍ ، فجعـل قضيّـة التعليـم مَـدار مشـروعه الإصلاحـي ، عليهـا مرتكـزه ومنهـا منطلقـه .

وقـد أخـذت إصلاحاتـه التعليميّـة العديـد مِـن الأشـكال والاتجاهـات ، نُبيّنهـا فيمـا يلـي :

أ- التجديد في المناهج والمقرّرات الدراسيّة :

انطلـق العلامـة عبـد القـادر في مسـيرته التجديديّـه بالمناهـج الدراسـيّة ، نظـراً لِـما كانـت تُعانيـه طرائـق التدريـس والكتـب التعليميّـة والاحتياجـات الفعليّـة للمتعلّـمين آنـذاك مِـن حالـةٍ جمـودٍ خّيـم عليهـا منـذ أعـوامٍ ، حيـث لـم يتغيّـر هيكلهـا منـذ عقـودٍ ، فلـم تكـن تتناسـب مـع طبيعـة المرحلـة ، فالوضـع التعليمـيّ ومناهجـه كان تقليديـاً صِرفـاً ، بقـي علـى حالتـه التـي مـرّ عليهـا عصـور ودهـور دون أن يتضمّـن أيّ مـوادّ حديثـة ، ومِـن أجـل إحيـاء روح التعليـم وتطويـع مناهجـه لمواكبـة العصـر ، سـعى الإمـام عبـد القـادر سـعياً حثيثـاً ، بـاذلاً قصـارى جهـدِه في إصلاح المنظومـة التعليميّـة متّخـذاً سلسـلة مـن الإصلاحـات في هـذا المجال ، فأجـرى تعـديلاتٍ في المناهـج ، وأدخـل إصلاحـاتٍ ضروريّـةً عليهـا ، فشـجّع علـى دراسـة تفسـير القـرآن الكـريم والحديـث النبـوي الشـريف بِتعمّـقٍ ، داعيـاً في ذات الوقـت إلـى عـدم الخـوض في الفلسـفة اليونانيّـة ، والمنطـق الجدلـي الـذي كان سـائداً في المـدارس ومحاضـن التعليـم وقتهـا .

وصـرّح قـائلاً : إنّ هـذا الانغمـاس العميـق في المنطـق والفلسـفة اليونانيّـة لـم يُثمـر سـوى التأخـر والفتـور والذهـول والذّلـة للأمـة ، فـإنّ الـطلاب يُحرَمـون مِـن دراسـة العلـوم الأساسـيّة كالتفسـير والحديـث والفقـه .

وتابـع : إذا اسـتمرّت مناهـج المـدارس علـى هـذا النّحـو ، فمتـى يمكـن تحقيـق إعلاء كلمـة الله ، وتحقيـق الإصلاح في أمّـة الإسلام ، وتبليـغ الدعـوة بالشـكل الصحيـح ، ومتـى تُخلّـص الأحـكام الشـرعيّة مِـن أيـدي الجـهلاء ، وتعـود إلـى يـد المؤهّـلين؟ قـال الشـاعر :

كَيـفَ أَرجـو الـصَلاحَ مِـن أَمـرِ قَـومٍ

ضَيَّعـوا الحَـزمَ فيـهِ أَيُّ ضَيـاعِ

فَمُطـاعُ المقـالِ غَيـرُ سَديـدٍ

وَسَـديدُ المقـالِ غَيـرُ مُطـاعِ

وأنـا العلامـة عبـد القـادر أرجـو - بـكلّ تضرّع وانكسـارٍ - مـن السـادات والعلمـاء في جميـع مناطـق تركسـتان غربـاً وشـرقاً أنّ يدعـوا طلابهـم وأتباعهـم إلـى اتبـاع طريـق السـلف الصالـح ، كمـا يجـب عليهـم تشـجيع التعليـم والعلم النافـع في الدنيـا والآخـرة ، وذلـك مِـن خلال تعليـم العلـوم الشـرعيّة والعلـوم الدنيويّـة الضروريّـة ؛ لتحقيـق التقـدّم والازدهـار في المجتمعـات الإسلاميّـة .

فالعلامــة عبــد القــادر يــرى أنّ اســتمراريّة المناهــج الدراســيّة بشــكلٍ تقليــديّ يمنـع تحقيــق إعلاء كلمــة الله ، وتحقيــق الإصلاح لأمّــة الإسلام وتبليـغ الدعـوة بالشـكل الصحيـح ، فيجـب علـى العلمـاء والمثقّـفين أن يعملـوا جاهديـن علـى تحديـث المناهـج وإجـراء الإصلاحـات اللازمـة لإعـادة الشـريعة الإسلاميّـة إلـى يـد المؤهّـلين ؛ لتفهيمهـا وتطبيقهـا بطريقـةٍ صحيحـةٍ ، حيث لا يمكـن أن يتـمّ تطبيـق الأحـكام الشـرعيّة في المجتمـع ، أو قيـام المجتمـع الإسلاميّ إلا بالتخلّـص مِـن الجـهلاء وتحييـد غيـر المؤهّـلين ، وأغلال الطغـاة ، ومواصلـة المسـير لإصلاح المناهـج ، فتحقيـقُ الإصلاح في المجتمعـات الإسلاميّـة رهينٌ بتحقيـق هـذه الأهـداف بشـكلٍ أسـرع .

وهـذا مـا أدركـه الإمـام عبـد القـادر وآمَـن بـه ، فانبعـث في تأليـف كتـبٍ مدرسـيّةٍ في مجـالات العقيـدة ، والنحـو ، والصـرف ، والأدب ، والتجويـد ، والرياضيـات ، وعمِـل علـى تبسـيط التدريـس وتسـهيله وتوفير الكتب المدرسـيّة التـي انتَقصـت مِـن المـدارس ، كمـا قـام بحملـةٍ لتدريـس الخّـط في المـدارس ، وتنفيـذ أنشـطةٍ عمليّـةٍ لوضـع حـدٍّ للشـرّ والفسـاد ، بالإضافـة إلـى ذلك ، رشّـح كتبـاً مدرسـيّةً علميّـةً للتدريـس في كلٍّ مـن المـدارس العصريّـة والدينيّـة .

كمـا قـام بجهـودٍ متميّـزةٍ في زيـادة الوعـي لـدى عامّـة النـاس ، وحـرص

علـى تنميـة الشـباب ورعايتهـم مـن خلال تأليـف الكتـب المناسـبة التـي تهتـم بتربيتهـم وتطويرهـم ، وتعزيـز الوعـي الإسلامـي لديهـم ، وتأهيلهـم ليكونـوا قادريـن علـى الدِّفـاع عـن دينهـم ، وتحصينهـم مـن أيّ محـاولاتٍ لتغييـره أو تحريفـه ، ممتلكين أسـلحةً علميّـةً يسـتطيعون الدفـاع بواسـطتها عـن عقيدتهـم مـن غـزو المبشّـرين ، ويصـدّون بهـا تحدّيـات الغـزو الفكـري التـي يُجابهونهـا مـن المارقين .

فقـد أدرك – رحمـه الله – خطـورة حركـة التنصيـر وتأثيرهـا علـى المجتمـع الإسلامـي ، فسـعى إلـى حفـظ عقيـدة الإسلام وترسـيخها في قلـوب النـاس ، وفهمهـا بشـكلٍ صحيـح ؛ تحصِينـاً للأفـراد والمجتمعـات مِـن أيّ محـاولات لتغييـر دينهـم ، وإفسـاد عقيدتهـم ، فعمـل علـى تثقيفهـم وتعليمهـم مبـادئ الدّيـن الإسلامـي ، مركّـزاً علـى جَعـلِ التعليـم الدينـي والتربيـة الإسلاميّـة جـزءاً أساسـيّاً مِـن التربيـة العامّـة ، فدعـا إلـى توفيـر المـوارد اللازمـة للمسـاعدة في نشـر المعرفـة الإسلاميّـة ، والوعـي الدينـي في جميـع فئـات المجتمـع ، الأمـر الـذي يمكّـن للأفـراد والمجتمعـات تحقيـق الاسـتقرار والثبـات علـى دينهـم ، ومنعهـم مِـن أيّ محـاولاتٍ لإضعافـه .

إنّ تصحيـح المعتَقـد هـو أُسّ الإصلاح ومرتكـزُه ، وجوهـرُ التغييـر ومنطلقُه ، وهـو منهـج الأنبيـاء والمرسـلين ، ومَسـلك الأئمـة والدعـاة والـمصلحين ؛ لـذا اقتـدى العلامـة عبـد القـادر بهُداهـم ، وسـار علـى هـذا المنهـج الربّانـي في إصلاحـه وتربيّتـه ؛ فأَولـى الإصلاح العقـدي عنايـةً كبـرى في حركتـه الإصلاحيـة ، فهـبّ لتصحيـح عقائـد المسـلمين وترسـيخها في قلوبهـم ، وألّـف ثلاثـة كتـبٍ في العقيـدة تُناسـب الفئـاتِ العمريّـةَ ، وأحـوال النّـاس العلميّـة المختلفـة .

فابتـدأ بكتابـه «العقائـد الضروريّـة» : وهـدفَ فيـه إلـى التعليـم والتثقيف ، وتقريـب المفاهيـم الدينيّـة ، وتعزيـز العقيـدة الإسلاميّـة للعـوّام مِـن شـعوب الأتـراك القاطـنين في وسـط آسـيا ، ولا سـيما في العهـد الـذي سـادت فيـه الأميّـة وبسـطت أجنحتهـا .

كما جعله مقرّراً دراسيّاً في المدارس الشرعيّة الابتدائية كي يتمكّن الأطفال مِن تَشرّب العقائد الإسلامية ، وترسّخها في وجدانهم منذ نُعومة أظفارهم .

وقد سَلك الإمام عبد القادر في كتابه هذا أسلوباً مبسّطاً وواضحاً ، متمثّلاً في تقديم السؤال والجواب عنه ، تسهيلاً على العامّة فهم مباحث العقائد الإسلامية ، وتقريبها إلى أذهان الناشئة بطريقة أكثر وضوحاً وسهولةً ، مستخدماً عباراتٍ بسيطةً ، فأثّرت تلك الطريقة تأثيراً إيجابيّاً وفعّالاً في تعليم وتثقيف الناس ، وتعزيز العقيدة الإسلاميّة في نفوسهم ، وهذا ما يفسِّر إقبال شرائح المجتمع بفئاته العمريّة على الكتاب قراءةً وفهماً واستيعاباً .

ذكر العلامة عبد القادر في كتابه اثنين وثلاثين (32) سؤالاً ؛ مستهلاّ بسؤالٍ ضمّنه كيفيّة حصول الإنسان على العزّ والشرف والسعادَة ، واختتمه بأسباب انكِفاتِ الإنسان إلى الذّلة والشقاوة ، مستدلاً ببعض الآية من القرآن الكريم مكتفياً بموضع الاستشهاد منها .

جاء في السؤال الأول :

1 . س : بِمَ تتحقّق سعادة الإنسان وشرفه وعزّته؟

ج : تتحقق سعادة الإنسان وعزّته وشرفه بالتمسك بالقرآن والسنة ، والعمل بهما [1] .

كما جاء في السؤال :

29 . س : ما طلب العلم؟

ج : طلب العلم فريضةٌ على كلّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، والعلم باعثُ السعادة في الدنيا والآخرة .

---

(1) النص الأصلي :

1 .سؤال : انسان نينيڭ سعادت واولوغ ليقى نيمه بيله بولور؟

جواب : حق وراست دين غه اوناب عمل قيلش بيله بولور .

30 . ما هو أسباب ذلة القوم وشقاوتهم؟

ج : الجهل والتفرق والاختلاف .

31 . س : بم تحصل القوّة والعزّة والرفعة؟

ج : بالعلـم ، والمعرفـة ، والاتفـاق ، ولذلـك أمـر الله سـبحانه وتعالـى بالاتفـاق في قولـه : ﴿وَاعْتَصِمُـوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُـوا﴾[1] .

فنـرى في العبـارات السـابقة أنّ العلامـة عبـد القـادر دعـا بـكلّ مـا في وسـعه إلـى التعلّـم والتعليـم ؛ لأنّـه آمن بـأنّ التعلّـم والتعليـم طريقان أساسـيّان لتحقيـق التقـدّم والتطـوّر للأفـراد والمجتمعـات ، وأنّ التخلّـف والجهل هما سـببان رئيسـان وراء مُعانـاة الأمّـة ، كمـا آمَـن بأنّـه لا يمكـن للأمّـة الإسلاميّـة تجـاوز الصعوبـات والشـقاوة التـي تواجههـا ، ولا تحقيـق التقـدّم والازدهـار إلا بالعلـم والتعلّـم .

وأودّ الإشـارة هنـا إلـى أنّ الأسـلوب الـذي اسـتعمله الإمـام عبـد القـادر في كتابـه السـابق ، أسـلوبٌ تعليمـيٌّ نبـويّ فريـدٌ ، نَهجَـه النبـي ﷺ في تعليـم أصحابـه الكـرام رضـوان الله عليهـم ، حيـث كان يوجّه إليهم الأسـئلة ، ويضرب الأمثلـة لتوضيـح المفاهيـم ، وتقريـب المعانـي ، كمـا ورد في حديـث جبريـل المشـهور ، وغيـره مـن الأحاديـث النبويـة التـي تؤكّـد علـى هـذا الأسـلوب في التعليـم ، فاسـتخدام الأسـئلة والأجوبـة في التعليـم أسـلوبٌ مُنبثِـقٌ مـن السـنة

---

(1) النص الأصلي :

29 . سؤال : علم طلب قيلمق نيمه دور؟

جواب : علـم طلـب قيلمـق حـواه ايركشـى خـواه خاتـون كشـيكا فـرض دور علـم دنيـا وآخـرت ده كـى سـعادتيغه باعـث دور .

30 . سؤال : ملّت نينك خار وزبون بولماقيغه باعث نيمه دور؟

جواب : ايكـى نرسـه دور بـرى جهـل ونادانليـق ايكنچـى تفرقـه وخلاف دور هـر قـوم وهـر ملـت نينـك خـوار وزبـون بولوشـيغه باعـث نادانلـق ونااتفاقليـق دور .

31 . سؤال : عزّت آبرو قوّت نيمه بيله بولور؟

الجـواب : علـم ومعرفـت واتفاقليـق بيلـه بولـور آنينـك اوچـون جنـاب حـق بيزلارنـى اتفاقليـق غـه امـر قيلمشـدور . ﴿ وَاعْتَصِمُـوا بِحَبْـلِ اللَّـهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُـوا ﴾ .

النبوية الشريفة ، ولنجاعة هذا الأسلوب في التعلّم والتعليم تبنّته في العصر الحديث مؤسّساتٌ تعليميّة في مختلف أنحاء العالم وطبّقته .

ولـمّا أدرك العلامة عبد القادر معاناة الطلاب في فهم العقائد الإسلاميّة واستِصعابهم الكتب الكلاميّة المعقّدة ، والمليئة بالنّزاعات الطائفيّة ، والمجادلات ، ما جعلهم يمضون أوقاتاً طويلةً في دراسة تلك المواضيع دون تمكنهم من الوصول إلى عقيدةٍ صافيّةٍ ، قام بتأليف منظومةٍ علميّةٍ عَنونها بـ «جواهر الإيقان» خصّهم بها بهدف تسهيل فهم العقائد الإسلامية الأساسيّة وتقريبها لأذهانهم ، وأفصح عن هذا بقوله :

«هذه رسالة مشتملة على المسائل المهمّة في علم التوحيد ، نظمتها بعباراتٍ يسيرةٍ مع التزام التهذيب والانتقاد ، والتحرز من الإخلال والإطناب ؛ لتسهيل حفظها على الطلاب [1] .

وعندما كتب محررو مجلة «الشورى» تعليقاً على مقالته «بياني حقيقت – بيانات الحقائق» ، لـمّا رأينا لأوّل مرة «جواهر الإيقان» ، حكمنا بأنّ المؤلف يجب أن يكون عالماً شاميّاً أو مصريّاً . لم نعتقد أبداً أنّ العالم الذي درس العلوم في بخارى سيكون قادراً على الكتابة باللغة العربيّة بهذه الدرجة من البلاغة والفصاحة [2] .

وأمّا الكتاب الثالث الذي خطّه يَراع العلامة عبد القادر فهو «تسهيل بدء الأمالي» ، وهي منظومةٌ شعريّةٌ باللغة الأويغورية ، سهّل فيها كتاب «بدء الأمالي» للعلامة الأوشي ، وتهدف المنظومة إلى تيسير فهم العقيدة الإسلاميّة ، وأصول الإيمان للطلاب والشباب ، وتتيح لهم الفرصة لحفظها ؛ نظراً لسهولتها وعباراتها البليغة المفهومة ، مما يساعد على ترسيخها في قلوبهم . والمنظومة تعدّ مستوى متوسّطاً بين الكتابين السابقين .

وهكذا ابتدأ العلامة عبد القادر مِشواره التجديدي الإصلاحي

(1) وردت هذه الألفاظ في غلاف الكتاب .

(2) العلامة عبد القادر ، بياني حقيقت ، مجلة شورى ، 1915م 15أوكتوبر ، عدد 2 .

بتصحيح المعتَقد ، منطلقاً منه إلى رحاب فضاءاتٍ شملت جوانب أخرى مِن مسيرة حركته الإصلاحية شملت كافّة مجالات حياة المسلمين وجوانبها .

وتلك الرؤية الإصلاحيّة الشاملة النابعة من إيمانه بأنّ أيّ تغيير اجتماعيّ ، أو تقدّم حضاريّ يجب أن يبدأ من الداخل ، من قلوب المسلمين وعقولهم ، ثمّ الانتقال بعدها إلى جوانب أخرى من الحياة ، أثمرت العديد من الخطب والمواعظ في مجالس العامّة ، وأنتَجت عدداً من الكتب والمؤلّفات تناولت مواضيع التربية والتعليم ، والاقتصاد ، والثقافة ، والتاريخ ، والفكر ، والأخلاق ، وغيرها .

وقد كانت تلك المؤلّفات مرجعاً للكثير من المسلمين ممن يسعَون لتحقيق التقدّم الحضاري لمجتمعاتهم ، وازدهار حياة شعوبهم .

ب- فتح المؤسسات التعليميّة :

حاول أعداء الأمّة أن يُبعِدوا المسلمين عن التعليم الإسلاميّ الأصيل الذي هو أصل العلم ، ومَنبع الحكمة ، وهذا ما شغَل فِكر العلامة عبد القادر ، وكرَّس له جهدَه ، حيث كان يدرك تمام الإدراك أنّ قضيّة العلم والمعرفة الإسلاميّة هما الحلّ المثالي لتطوير المجتمعات ، والتخلّص مِن مشكلات الفقر والجهل والتخلّف .

فقام بفتح مدارس جديدة تجمع بين التعليم الديني ، والتعليم العصري ، فالعلم الذي لا ينسجِم مع روح الدّين الإسلامي لا يحقّق سعادةً حقيقيّةً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يؤدي إلى عزّةٍ أو شرفٍ ، بل سيعود - هذا العلم المجرّد مِن الدّين - بالضرر على الإنسان والكون .

أوضَح عبد القادر جلال الدّين المراحل الثلاث التي مرّت بها مناهج التعليم في المدارس العصريّة :

المرحلة الأولى : منهج العلامة عبد القادر ، وهو : تجسيد العلوم مع الدّين .

المرحلة الثانية : منهج مقصود محيطي ، ومحمد علي توفيق ، وهو : فصل الدِّين عن التعليم العصري في المدارس ، وهو منهج علماني .

المرحلة الثالثة : منهج سيف الدين عزيزي ، وبرهان شهيدي ، وهو : صبغ التعليم بصبغة الشيوعيّة ، وبذلك أصبح التعليم في تركستان الشرقيّة مصبوغاً كاملاً بالماديّة ، خالياً مِن الدِّين [1] .

فالعلامة عبد القادر - بناء على رأي عبد القادر جلال الدِّين - يعدّ مِن روّاد دعاة التوفيق بين التعليم الشرعي ، والتعليم العصري بشكلٍ منسَجِمٍ ومُتناسِقٍ .

فالعلامة عبد القادر كان يدعو إلى تقديم التعليم الشرعيّ بصورةٍ تتماشى مع التعليم العصري ، حيث كان يؤمن بأنّ الدِّين والعلم يجب أن يتمازجَا ويتكامَلا بدلاً مِن أن يتقاطعا ، فلا تضادّ بينهما كما يظنّ مَن يستمسك بالتعليم التقليدي - المنحصر في التعليم الشرعي فقط - وينتَصِر له .

وحتى يُفهم كلامنا في سياقٍ صحيحٍ ، فنحن لا نَعيب ولا نُنقِص مِن قدر العلوم الشرعيّة ، بل لم يخطر هذا الأمر بِبالنا أصلاً ، كيف والعلوم الشرعيّة ميراث الأنبياء!! وإنما قَصدنا مِن بيانِنا تنبيهَ خطإِ مَن يَمتعِض مِن العلوم المدنيّة - كالطبّ ، والهندسة ، والفيزياء والعلوم الكونيّة وغيرها - ولا يراها شيئاً ، فهذه العلوم ممّا تقوم عليه مصالح الناس ومعايشهم ، ويجب أن يتخصّص فيها بعض المسلمين ، وقد تتعيّن على بعضِ الطلبة إذا توجّهوا إليها ، وكانوا مؤهّلين لتعلّمها ، والأمّة محتاجة إليها .

إنّ الدولة الإسلاميّة لا يكتمل بِناؤها إلا بالمزج بين العلوم الشرعيّة ، والعلوم المدنيّة في برامجها التعليميّة ، وبهذا تتقدّم المجتمعات الإسلامية وتتطوّر ، كما كان شأن الدولة الإسلاميّة إبّان عصور ازدهارها وتقدّمها ، وتاريخنا الإسلامي حافِلٌ بعلماء نبَغوا في العلوم المَدنيّة مِن طبٍّ وجراحةٍ ،

---

(1) ئابدۇقادىر جالالىدىن: «مەۋجۇتلۇق تەشنالىقى» ، ص217 .

وبصريات ، وهندسةٍ ، ورياضيات وجبرٍ ، وفلَك ، وجغرافيا ، وعلم النباتات وغيرها .

وهذا ما كان يؤمن به العلامة عبد القادر ، وعمِل على تحقيقه في المدارس التي أنشأها ، حيث أدرك بأنّ هذا المنهج المتناغِم سيحقّق السعادة والعزّة والشرف للإنسان في الدنيا والآخرة .

بدأ العلامة عبد القادر بافتِتاح المدارس العصريّة المصبوغة بصبغة الدّين الإسلاميّ ، وسماها مدارس «مطلع هدايت» [1] وشجّع الناس على إرسال أولادهم إليها ، كما اعتنى بالأيتام المتخلّى عنهم ، والأطفال المشرّدين في الشوارع ، وألحقهم بالمدارس مع التكفّل برعايتهم ؛ حمايةً لهم مِن بطش المبشِّرين الذين حثّوا الأطفال بكلّ أساليبهم على التعليم العصري ، حتى استجاب لهم بعض الناس ، وأرسلوا أولادهم إلى المدارس ؛ ليتعلّموا العلوم العصريّة .

وسرعان ما تفرّعت المدارس التي افتتحها الإمام عبد القادر ، وكتب الله لها الانتشار في أنحاء تركستان الشرقيّة ، كـ «ختن ، وكوجا ، وطورفان ، وأرتوج ، وغولجا» [2] .

وبهذا العمل الجليل استطاع العلامة عبد القادر إنقاذ أمّته مِن التخلّف والجهل ، فحفِظ عقيدتهم مِن جانبٍ ، وحقّق التنميّة والازدهار العِلميّ مِن جانبٍ آخر ، فالعلمُ يزدهرُ حين يجد التربةَ الخِصبةَ المناسبةَ لِازدِهاره .

الخلاصة : تهدف المدارس التي فتحها العلامة عبد القادر إلى مَزج العلوم الحديثة بالتعاليم الإسلاميّة ، وتقديم تعليمٍ شاملٍ يتشكّل مِن التربيّة الدينيّة ، واللغات ، والعلوم العصريّة ، والفنونً ، والرياضة ، والحِرف اليدويّة ، والزراعة ، واتّسَع نِطاقها في تركستان الشرقيّة ، وأصبحت تحظى

(1) العلامة عبد القادر ، بياني حقيقت ، مجلة شورى ، 1916 ، 15 ديكابير .

(2) بغرا ، تاريخ تركستان الشرقية ، 690 .

بشعبيّةٍ كبيـرةٍ .

وتميـزت تلـك المـدارس بتوفيـر التعليـم للأيتـام والفقـراء ، فأسـهمت بهـذا في تحسين حيـاة كثيـرٍ مِـن النـاس ، ورفـع مسـتواهم التعليمـيّ والاجتماعـيّ .

نشـأ طلاب تلـك المـدارس علـى قـوّة الإيمـان ، والرسـوخ في العلـم ، والشـجاعة علـى مقاومـةِ الباطـل ودفعِـه ، فشـكّلوا حِصنـاً متينـاً ، وسـدّاً منيعـاً أمـام دعـوة المبشـرين المدعـومين مِـن قـوى الإمبريالية ، كمـا أصبحوا مِـن طلائعِ المقـاوِمين ضـدّ الاحـتلال الصينـي والروسـي اللّذَيـن كانـا يهـدِّدان بتدميـر دين مسـلمي تركسـتان ، وسـلخهم مِـن هويتهـم وثقافتهـم . فشـارك أولئـك الرجـال بدمائهـم بحـقٍّ في كتابـة سـطور تاريـخ تركسـتان الشـرقيّة بالحفـاظ علـى عقيدة مُسـلِميها مِـن غـزو أؤلئـك المنصّريـن الغُـزاة .

كمـا أخرجـت تلـك المـدارس عـدداً كبيـراً مِـن المثقّـفين ، والسياسـيّين والزعمـاء والقـادة ، ناضلـوا في سـبيل حريّـة تركسـتان الشـرقيّة ، وشـعبها .

وهكـذا باتـت مـدارس «مطلـع هدايـت» مَنبعـاً للتعليـم والتربيّـة والتوجيه ، ومركـزاً للأنشـطة الثقافيّـة والاجتماعيّـة والسياسـيّة ، شَـعّت أنوارُهـا علـى الـبلاد ، وأمدّتهـا بجيـلٍ متعلّـم مثقّـفٍ ، مَلَـك القـدرة علـى الصمـود شـامخاً أمـام التحديـات العواصِـف مِـنَ احـتلالٍ ، وظلـمٍ ، واسـتبدادٍ ، وغـزوٍ فكـريّ .

ج- التشجيع على التعليم ، والاهتمام بتعليم المرأة :

لِتكويـن فهـم صحيـحٍ لِـحَقيقة مـا يجـري ، ولتعزيـز درجـة وعـي الأمّـة بمكائـد المبشـرين ومكرهـم ، كـي يتعاونـوا وتتكاتَـف جُهودهـم في سـبيل حفـظ عقيدتهـم وعقيـدة أولادهـم ، طَبَـع العلامـة عبـد القـادر رسـائل إرشـاديّة تنويريّـة ، وقـام بتوزيعهـا ونشـرها في تركسـتان الشـرقيّة والغربيّـة منهـا : «النصائـح العامّـة للنـاس» .

دعـا الإمـام في هـذه الرسـالة إلـى تعميـم التعليـم ليشـمل النسـاء والرجال والأولاد ، كمـا دعـا إلـى تشـجيع الفتيـات علـى التعليـم والالتحـاق بالمـدارس ، ونـادى ببنـاء مـدارس خاصّـة للبنات والنسـاء .

يقول العلامة عبد القادر في رسالته : «من الأمور الضروريّة بالنسبة لنا أن نناقش ونُلفت الانتباه إلى موضوع تعليم الرجال والنساء ، بالإضافة إلى إنشاء مدارس خاصّة للبنات . فإذا كان الأطفال الصغار يعانون مِن العادات السيئة والجهل في طفولتهم بسبب الأمّ الجاهلة ، قد يكون مِن الصعب التخلّص منها فيما بعد ، ولكن إذا كانت الأمّ على درايةٍ وقادرةٍ على تعليم أطفالها الأخلاق الحميدة ، فسيكون مِن السهل على هؤلاء الأطفال بلوغ مرحلة النضج عندما يكبرون .

ويصدّق كلامي قول رسول الله ﷺ : «ما مِن مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ» [1] .

فأنا عبد القادر أدعو نفسي وإياكم إلى أن نعرف أنفسنا جميعاً ، ونفكّر في المستقبل ، ونتّخذ جميع التدابير الممكنة لتحرير شعبنا وأمّتنا مِن الفقر والجهل .

أيها الناس : التحق الكثير مِن الأيتام والمشردين بدار الأيتام والمدارس التي بناها المبشرون والأجانب في أرضنا بسبب حاجتهم الماسّة إلى الغذاء والمعيشة ، وهؤلاء الأطفال والأيتام والفقراء لا يعرفون أنّ عقيدتهم الدينيّة ستدمّر .

أدعوكم إلى أن نحاول القيام بواجبنا الإنساني والإسلامي ، ونجد طريقة لإنقاذهم .

أيها الناس! هذا ليس عصر اللامبالاة والغفلة ، بل عصر الوعي والإحساس .

ليس عصر الجهل ، بل هو عصر العلم .

إنه ليس وقت الرضا عن الذات والكسل ، بل وقت الجدّ والعمل .

(1) أخرجه البخاري ، في الصحيح ، رقم الحديث ، 1358 . ومسلم في الصحيح ، رقم الحديث 2658 .

أيها الناس! دولٌ أخرى تطير في الهواء في مجال العلم، وتغوص في البحر كالبر، وأمّا نحن ففي سبات الغفلة. [1]

ومنها «مخمس»، وهو نظم شعري يحتوي على 120 مقطعاً، كّل مقطع مكوّنٍ من خمسة أبياتٍ، عبَّر فيها عن آرائه في الإيمان والأخلاق والتعليم والمجتمع، إضافة إلى انتقاداته الأخلاق السيئة والرديئة المنتشرة بين الحكام والعلماء وعامّة الناس.

يعدّ هذا الـ «مخمس» عملاً فريداً في تاريخنا الأدبي في العقد الأول من القرن الماضي بعمقه الدّلالي، وجماله التعبيري، ونقده الواقعي.

ويُعَدُّ العلامة عبد القادر أوّل مَن دعا في تركستان الشرقيّة إلى تعليم الفتيات في المدارس في التاريخ الحديث، ففد فَشا أمرٌ في القرون المتأخّرة، وبات عُرفاً سائداً، وهو ألا تلتحق الفتيات بالتعليم، ليس في المدارس فحسب، بل اتّسع الخَرق حتى حُرِمت المرأة مِن حضور مجالس العلم والنّيلِ مِن بركتِها.

د- ابتعاث الطلاب:

إنّ ابتعاث الطلاب للتعليم أو استكماله في الخارج أحد الوسائل الفعّالة في تطوير البلاد ورقيّها، ورفع مستواها العلمي والثقافي، فالتعليم في مراحله العليا في الخارج يمنح الطلاب فرصةَ التعرف والانفتاح على الثقافات المختلفة، والوقوف على أسباب التقدّم والبحث العلمي الحديث، ووسائله وتقنياته.

وحينما يعود الطلاب إلى بلدانهم، يحملون معهم ما اكتسبوه مِن معارف علميّة وثقافيّة، وخبرات ميدانيّة، ومهارات جديدة، تمكّنهم مِن المساهمة في تطوير بلدانهم مِن خلال نقل المعارف والخبرات التي اكتسبوها، وهذا ما يؤدي إلى تحسين مستوى التعليم، ورفع الوعي الثقافي

---

(1) ئابدۇقادىر داموللام ئىبنى ئابدۇلۋارىس كاشغەرىي، نەسىھەتى ئامما، ش. مەدەنىيىتى، 2000، 1.سان، ب 70.

لـدى المواطـنين ، وأَنعِـم بهـا مسـاهمةً في تطويـر الثقافـة والتعليـم .

وهـذا مـا أدركـه العلامـة عبـد القـادر وسـعى لتحقيقـه ، فاسـتنهض هِمـمَ الأثريـاء وأهـلَ اليَسـارِ للبـذل في تثقيـف وتنويـر عقـول الأجيـال الصاعـدة ، فتـمّ إرسـال 52 شـاباً إلـى كلٍّ مِـن ألمانيـا ، وفرنسـا ، وتركيـا ، ومصـر ؛ للتـزوّد بالمعـارف واكتسـاب المهـارات ، وتوظيفهـا في دفـع عجلـة التنميّـة بعـد تخرجهـم وعودتهـم إلـى أوطانهـم ، مؤسِّـسين مراكـز تأهيليّـة ، ومـدارس تعليميّـة يبُثّـون العلـم ، وينشـرون المعرفـة في ربـوع الـبلادِ .

إنّ تمـكين الـطلاب مِـن الالتقـاء بنُظرائهـم في الخارج ، وتوسـيع أُفقهـم وتعزيـز معارفهـم بـالاطلاع علـى تجـارب الـدول الأجنبيّـة في التطـور والتقـدّم ، والوقـوف علـى أسـباب ذلـك ، كان مِـن بين أهـداف العلامـة عبـد القـادر مِـن ابتعـاث الـطلاب ، إضافـةً إلـى معرفـة كيفيّـة مواجهـة المسـلمين لغـزو الاحـتلال الأجنبـي ، والتمعـنّ في سـبُل تطـوّر السياسـات في الـدول الغربيّـة ، واكتشـاف سـرّ انتشـار الصحـوة الإسلاميـة في أقطـار الأرض ، والتأمّـل والنظـر في أنشـطة الدعـاة والمصلـحين تجـاه الغـزو الفكـري ، الأمـر الـذي يمكِّنهـم مِـن العـودة إلـى الـبلاد بمعلومـات قيّمـة ، وخبـرات عمليّـة تُسـهِم في بنـاء الـبلاد ، والتخطيـط السياسـي والاسـتراتيجي ، واسـتمرار تطـوّر المجتمـع .

يقـول الباحـث اليابانـي أويشـي شتشـينرو «Oishi Shinichirō» إنّ المصلـح والباحـث الحكيـم العلامـة عبـد القـادر افتتـح مـدارس عصريّـة في مدينـة كاشـغر عـام 1912 م ، فجلـب المعلـمين مِـن خـارج الـبلاد ؛ لتطويـر التعليـم في كاشـغر ومـدن أخـرى ، وبالإضافـة إلـى ذلـك أرسـل في كلّ عـام مـا بين 10 – 15 طالبـاً إلـى دول إسلاميّـة متقدمّـة مثـل إسـطنبول ، قـازان ، أوفـا ، أورينبـورغ .

وتولّـت «جمعيـة المعرفـة البخاريـة» التي تأسّسـت في إسـطنبول عـام 1911 م علـى يـد مجلـسٍ تألّـفَ مِـن : عبـد الـرؤوف فتـرت ، وعثمـان خوجـة ، وعبـد العزيـز (مـن غـولجا) ، وصـادق عاشـور أوغلـو نفقـاتِ الـطلاب الذيـن درسـوا في

إسطنبول [1] .

2- العمل الخيري والخدمات الاجتماعيّة :

يمثّل العمل الخيري قِيمةً إنسانيّةً كبرى ، تتمثّل في العطاء والبذل بكلّ أشكاله ، فهو مسعى نبيل ومهمّ ؛ لأنه يمتلك القدرة على إحداث تأثيرٍ كبيرٍ على المجتمع .

فالعمل الخيري يساعد في معالجة المشكلات الاجتماعية ويخفّف مِن آثارها ، ويعزّز التكافل الاجتماعي لدى أفراد المجتمع .

فبعدما لاحظ المبشّرون وجودَ أيتامٍ ومشرّدين ممّن لا مأوى لهم ، ولا أُسَر تهتمّ بشؤونهم ، استغلوا هذا الوضعَ الإنساني المأساوي فبادروا ببناء دارٍ للأيتام ؛ لإيواء هؤلاء وتربيتهم على المسيحيّة النصرانيّة .

وعندما شاهد العلامة عبد القادر أنّ أولئك الأيتام المتمدرِسون في مدرسة المبشرين ، بدؤوا يتعرّضون لخطر تأثير الدعوة المسيحيّة التي يروِّج لها المبشّرون ، أسرع بتأسيس جمعيّة خيريّة [2] ودُوراً للرعاية الاجتماعيّة لتكون محضناً آمناً للفئة المستهدفة ، تحفظ هويّتهم الإسلاميّة ، وتحميهم مِن غزو المبشرين .

عملت الجمعيّة على جمع التبرعات والزكوات لتوفير مصادر دخلٍ تلبّي مُتطلّبات دار الأيتام ، وتؤمّن حاجياتها ، وتكفُل عيشَ المقيمين فيها مِن مأكلٍ وملبَسٍ وتعليم ، وشجّع العلامة عبد القادر العلماء والأثرياء على التبرعات ، والتكفّل برعاية الأيتام [3] . كما أسهم بأموال الجمعيّة في تخفيف معاناة الأرامل ، وقدّم مساعداتٍ للمعوزين والمحتاجين ؛ حفاظاً

---

(1) يالقۇن روزى، يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى – ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيىتى ژۇرنىلىنىڭ 2010-يىللىق 5-سان

(2) العلامة عبد القادر ، بياني حقيقت ، مجلة شورى ، 1915 ، 1 ديكابير .

(3) ئابدۇقادىر داموللام ئىبنى ئابدۇلۋارىس كاشغەريي، نەسىھەتى ئامما، ش. مەدەنىيىتى، 2000، 1.سان، ب 70.

على هويّتهم الإسلاميّة ، وحمايةً مِن تعرّضهم لتأثيرات دعوة المبشرين .

وبهذا التدبير الحكيم والعمل الرشيد المتمثّل في تقديم الرعاية الاجتماعيّة ، والمشاركة في شؤون المجتمع وقضاياه الإنسانيّة ، أسهم الإمام عبد القادر في الحفاظ على الهويّة الدينيّة والثقافيّة للأيتام المسلمين ، وحمى عقيدتهم مِن تأثير الغزو الأجنبي التبشيري النصراني .

3- التّنديد بالغزو التنصيري ومقاومته :

حاولت البعثة السويديّة والدينيّة في كاشغر خداع الأيتام وأطفال الفقراء والمحتاجين بفتح مدارس ومستشفيات ؛ لتحويلهم إلى النصرانيّة الكاثوليكيّة ، فأصدروا نسخاً من الكتاب المقدّس ، تولّوا طباعتها في مطابعهم ، كما قاموا بتوزيع منشوراتٍ عن الكاثوليكيّة ، الأمر الذي حَدا بالعلّامة عبد القادر إلى التفكير في الأمر بتعمّقٍ .

فعزم على إنشاء دار نشرٍ مُقارَعةً لأولئك المنصّرين ، لكنّ منع الحكومة صعّب الأمر عليه . فقد ورد في كتاب «تاريخ النظام الصيني في إدارة الولايات الغربيّة» لمؤلفه : زينغ وينوو ، نشره عام 1936 م :

«طلب المفتي الكبير العلامة عبد القادر من كاشغر من الحكومة الإذن بنشر مجلة لإيقاظ المسلمين في ظلّ تكاثر القوى المسيحيّة هناك ، لكنّ الحكومة لم تسمح بذلك» [1] .

ويرجع عدم سماح الحكومة بإنشاء دار للنشر إلى السياسة التي نفّذتها الصين في تركستان الشرقية ؛ فلم تكن تأذن لأيّ خطوة تنمويّة فيها ، وبناء على ذلك ، لم تتخذ الحكومة الصينية أيّ تدابير لمواجهة سياسة التجهيل التي فرضها الحاكم العام «يانغ زيشنغ» في تلك المنطقة ، بل أيّدتها .

ويعدّ «يانغ زيشنغ» معادياً لأيّ شكلٍ مِن أشكال الإصلاح في

---

(1) يالقۇن روزى، يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى – ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيىتى ژۇرنىلىنىڭ 2010-يىللىق 5-سانى

تركسـتان الشـرقيّة ، كمـا كان حريصـاً علـى منـع التأثيـرات الاقتصاديّـة والفكريّـة الخارجيّـة ، فأيّـد حركـة المحافـظين بالتقييـد ضـد المـدارس الجديـدة [1] ، حيـث يؤكـد في ملاحظاتـه المكتوبـة بخـط اليـد مثـل : «ملاحظـات مـن الأخطـاء» ، و«ملاحظـات في الحجـرة المظلمـة» و«قـراءة عقيـدة لاوزي للتعلـم مـن الأخطـاء» : أنـه مـن الصعـب حكـم الـبلاد إن كان هنـاك أنـاس ذوُو معرفـة ، فتمنياتـي ألا يكـون النـاس علـى العلـم . . . . حكـم الـبلاد بالعلـم والمعرفـة سـيكون كارثـة علـى البلـد ، فكلمـا زادت معرفـة النـاس سـيبدؤون في التفكيـر في الأمـور السـيّئة (الثـورة) والتسـبب في الحـوادث وتدميـر الـبلاد (تحريـر الـبلاد مـن الأجانـب) ، . . . إذا كان هنـاك المزيـد مـن الأشـخاص ذوي المعرفـة والعلـم ، فسـيكون هنـاك المزيـد مـن الأشـخاص الذيـن يتسـبّبون في كـوارث للـبلاد . معظـم الأشـياء الغبيّـة في العالـم يقـوم بهـا أشـخاص أذكيـاء . . . المـدارس ليسـت جيّـدة ، لأنهـا تنشـر بـذوراً ضـارّة للـطلاب تحـت ظـلّ التعليـم ؛ لذلـك ، يجـب إزالـة جميـع المـدارس ، وسـأوّظف الجـهلاء ، ولـن أوظّـف أشـخاصاً أذكيـاء ومثقّـفين .

فـخلال 17 عامـاً مـن حكمـه تركسـتان الشـرقيّة (1912–1928) ، نفّـذ «يانـغ زيشـنغ» سياسـة التّجهيـل «تـرك النـاس في حالـة جهـل» ، رافعـاً شـعاره السياسـيّ : «لقـد جئـتُ مِـن الشـرق الأقصـى (الـصين) ،لكي أحكـم بالغرب (تركسـتان الشـرقيّة) أتركهـم في الجهـل ، سـأُخضِع الشـعب للملـك» [2] .

ومِـن قـراءة الأسـطر السـابقة نـدرك تمامـاً محـور تفكير «يانـغ . .» وهـو : أنّ المـدارس لا تنشـر سـوى الأفـكار الضـارّة ، ويجب إزالتهـا وتوظيف الجـهلاء فقط في المناصـب الحكوميّـة ، فالجهـل والفقـر همزتـا وصـلٍ بين الحاكـم والشـعب ، وهكـذا كان يـروّج لفكرتـه الخبيثـة وهـي : أنّ الأشـخاص الأذكيـاء والمثقـفين

(1) James A. Millward. Eurasian Crossroads: A History of Xinjiang. Columbia unıvesıty Press Newyorrk. 2007.1٨9.

(2) يالقۇن روزى، 20 ئەسـىردىكى ئىسلاھاتچى – ئابدۇقادىـر دامـوللام، شـىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنلىنىڭ 2010-يىللىق 5-سانى

يتسبّبون في الكوارث والثورات ، مثل التغيير الاجتماعي والسياسي .

كما نلاحظ في تلك التصريحات أنّ سياسة التجهيل التي فُرضت على السكان المحليين ، وحَرمَتهم مِن حقّهم في الحصول على التعليم ، وعمِلت على محو المعالِم الحضاريّة والثقافيّة ، وطمس الهويّة الإسلاميّة في تركستان الشرقيّة ، عاملٌ أساسيّ في الركود الثقافي ، والتخلف الحضاري للشعب التركستاني في بداية القرن العشرين ، على الرغم مِن أنّ القرن شهد طفرَةً اجتماعيّةً عالميّة على مستوى الفكر والثقافة ، إلا أنّ شيئاً مِن ذلك لم ينعكس على تركستان الشرقيّة .

وعلى الرغم مِن تلك الممارسات القمعيّة التي فُرضت على الشعب التركستاني المسلم بحث العلامة عبد القادر في خياراتٍ أخرى سَعياً للتّصدي لتلك الأنشطة التنصيريّة ، وتوعيةً للأمّة بمخاطرها ، فقام بالوعظ في المجالس العامّة ، والتحدّث عن أخطار الإنجيليين وأنشطتهم في الأوساط المحليّة ، ونادى بضرورة تعاون المجتمع المحليّ .

كما قام بالتواصل مع أئمة وعلماء المسلمين في المنطقة ؛ لتنظيم دورات تعليميّة ، وإقامة أنشطة توعويّة حول الإسلام والدفاع عنه ، فكان مِن أبرز مَن استجاب – بصدقٍ – لهذا التعاون العلامة ثابت بن عبد الباقي الكاشغري ، فأثناء عودته مِن زيارته الخارجيّة إلى كاشغر ، وجد العلامة عبد القادر وقتلوغ شوقي يعملان على إعداد حملةٍ شعبيّةٍ ، وقاعدةٍ جماهيريّةٍ ؛ لتكون تُرساً وحِصناً مانعاً أمام محاولات المبشرين الأوربيّين في نشر النصرانية بين شعوب تركستان الشرقيّة ، فانضمّ إليهما مع جموعٍ مِن العلماء ، وانكبّ على التدريس وتثقيف الناس [1] .

كما أصدر كلٌّ مِن يعقوب داملام ، ومحمد نياز خلفة ، والمفتي الحاج محمود ، وأمين خلفة ومعهم العلامة عبد القادر فتوى شرعيّة بضرورة طرد المبشرين من المدينة موقّعَةً ومختومةً بالأختام ، فأمر العلامة عبد القادر

---

(1) عبد الخبير التركستاني ، إجازة عبد الخبير ، ص16 .

طلابه بِلَصقِها على جدران المساجد والمدارس والنوادي التي يجتمع فيها الناس [1] .

فلمّا شاهد الناس تلك الملصقات ، سارعوا لقراءتها ، ومَن لم يقرأها سمع مَن قرأها ، وتأثر الناس بها تأثيراً كبيراً .

وساهمت تلك الجهود المباركة في تحصين المجتمع المحليّ ضدّ محاولات التنصير ، والحفاظ على الهويّة الإسلاميّة والثقافيّة للمنطقة .

في أحد الأيام ، خطَبَ العلامة عبد القادر الطلاب في مدرسة «لاي فشتاق» قائلاً : إنّه واجبٌ مقدّسُ على كلّ ابنٍ مِن أبناء البلد وقف هذه الكارثة التي وقعت على البلاد لتدمير عقيدة المسلمين ، يجب عليهم أن يصبحوا أبطالاً يحمون وطنَهم مِن المخاطر ، كما يجب عليهم أن يتخذوا إجراءاتٍ عاجلةً في هذا الصدد . . .

فرفع طلاب المدرسة أصواتهم عاليةً مجيبين : يا شيخنا ، نحن جاهزون لكلّ شيء

وتعاون شمس الدين دامُلاّم مع الإمام عبد القادر ، فقام بإلقاء الخطب في مدرسة خانليغ ، وحرّك الطلاب ، فخرجوا مِن المدارس ، ونزلوا إلى الشوارع منتظمين في مظاهراتٍ حاشدةٍ ضدّ الغزاة المنصِّرين ، حاملين لافتاتٍ ، ومردِّدين شعاراتٍ وتكبيراتٍ وتهليلاتٍ ، فانضمّ الشعب إلى صفوفهم ، وساروا متّجهين إلى وكْرِ المبشرين السويديين ، فاقتحمت حشودٌ غاضبةٌ مركزاً دينيّاً سويديّاً ، وأشعلتِ النِّيران في المنشورات الدينيّة ، حتى طال الحرق مركز التوزيع الديني للجمعيّة المسيحيّة السويديّة بكاشغر ، ودُمّرت المطبعة ومُعدّاتها .

هزّت هذه المظاهرات الطلابيّة والحشود الشعبيّة مدينة كاشغر وأرجاءها ، حيث صُدمت كلّ مِن القنصليّة البريطانيّة في كاشغر ، والمبشرين السويديين ، وشعوب الاتحاد السوفيتي حتى طلبوا مِن الحكومة أن يعاقبوا

(1) باتور روزى، ئابدۇقادىر داموللام، س83.

أولئـك المتظاهريـن ورؤوسـهم .[1]

وفي صبـاح يـوم الاحتجـاج ، اعتقَـل حاكـم كاشـغر العلامـة عبـد القـادر والحاج محمـود ويعقـوب حاجـي ضمـن مجموعـة أخـرى قاربَـت 30 شـخصاً ، وأُودِعـوا السّـجنَ لمـدة 40 يومـاً [2] .

لـم تمضِ إلا أيـامٌ قلائـلُ علـى إطلاق سـراح العلامـة عبـد القـادر ، حتـى اسـتيقظ النـاس صبـاح يـوم 14 مـن أغسـطس عـام 1924 م علـى أمـرٍ فاجـع ، تلقّتـه الأمّـة بقلـوبٍ مَكلُومـةٍ ، وعيـونٍ دَمْعَـى ، نَبـأ استشـهاد الإمـام عبـد القـادر علـى يـد أجيـرٍ خسِـيسٍ ، لـوّث يَديـه بدمـاء الإمـام الزكيّـة ، فاغتالـه بـدمٍ بـاردٍ في منزلـه في كاشـغر .

تـمّ القبـض علـى القـوات التقدميّـة في كاشـغر بشـكلٍ جماعـيّ ، فلجـأ بعضهـم إلـى مـدن تركسـتان الغربيّـة مثـل «طشـقند» ، و«بخـارى» ، وبعضهـم توجّـه إلـى مـدن شـمال تركسـتان الشـرقيّة مثـل «غـولجا» ، حتـى لجأ بعضهـم إلـى مـدنٍ صينيّـةٍ كــ «شـنغهاي» و«تيـانجين» .

تعـدّ وفـاة العلامـة عبـد القـادر خسـارة كبيـرة للشـعب الأويغـوري ، وللصحـوة الإسلاميّـة في المنطقـة بأسـرها ، فلقـد كان – رحمـه الله – رمـزاً للمقاومـة ضـد الاحـتلال والتنصيـر ، عمـل بجـدّ لحمايـة العقيـدة الإسلاميّـة وتعزيزهـا في المنطقـة .

لقـد كتـب الشـعراء والعلمـاء قصائـد وأشـعاراً عبّـروا فيهـا عـن حزنهـم وتأسّـفهم لخسـارة هـذا القائـد الشـجاع ، ولكـن رغـم موتـه المأسـاوي ، فـإنّ إرثه لا يـزال حيّـاً بيننـا حتـى اليـوم ، فلـم تنجـح الحـركات التنصيريّـة إلـى اليـوم رغـم محـاولات المبشـرين الضاريـة .

---

(1) مۇھەممەد تۇرسۇن ئەھمەد، يۈز مەشھۇر ئۇيغۇر، س73. ئەسەت سۇلايمان، ئۆزلۈك ۋە كىملىك، س 162.

(2) باتور روزى، ئابدۇقادىر داموللام،90.

نسـأل الله سـبحانه وتعالـى أن يتقبّـل إمامنـا عبـد القـادر في الشـهداء ، وأن يجعـل مثـواه الفـردوس الأعلـى مِـن الجنة .

وصلـى الله تعالـى علـى خيـر خلقـه ، نبينـا محمـد وعلـى آلـه وأصحابـه أجمـعين .

الخاتمة

على الرغم مِن وفاة العلامة عبد القادر ، إلا أنّ تأثيره الفكري – في بَعثِ الصحوة الإسلاميّة التي تولّى توجيهها – لم ينطفئ في قلوب شعب تركستان الشرقيّة ، بل ظلّ شُعاعه متّقِداً في تفكيرهم ، وستظلّ روح تلك الصحوة المباركة ملهِمةً – إن شاء الله – لهذا الجيل مِن شعب تركستان الشرقيّة ، وللأجيال القادمة .

لقد تكلّلت – بتوفيق الله تعالى – جهود العلامة عبد القادر – رحمه الله – بالنجاح ، وكتب الله لها الاستمرار حتى بعد وفاته ، فرغم مرور مئة عام على المظاهرات التي قادها في كاشغر ، إلا أنّ تأثيرها لا زال مستمرّاً حتى بعد رحيله ، وما فشَلُ جهود المبشِّرين الوافدين مِن الخارج لتنصير شعب تركستان الشرقيّة إلا خير دليلٍ على تميّز تلك الجهود المبذولة منه وتأثيرها على الأجيال .

ومَردّ ذلك – بعد توفيق الله تعالى – إلى الجهود النِّضاليّة ، والكفاح النّبيل الذي حمل لِواءه العلامة عبد القادر دِفاعاً على عقيدة أبناء بلده وسلامتها ، مما أثمر في قلوب أبناء تركستان الشرقيّة ، وأبقاهم متيقّظين دوماً لخطر غزو المبشرين جيلاً بعد جيلٍ .

لقد تركت إسهامات العلامة عبد القادر الفكريّة ، وجهوده الدعويّة والتعليميّة ، بصماتٍ في فكر أبناء تركستان الشرقيّة أفراداً ومجتمعاً ، حفظت لهم هويّتهم الاجتماعيّة والثقافيّة ، وصانَت عقيدتهم الدينيّة مِن سموم المبشرين ، وتقديراً لأثر تلك الجهود المباركة يمكن أن نصف إمامنا العلامة عبد القادر بمجدّد القرن العشرين في تركستان الشرقية في المجال الفكريّ ، والثقافيّ ، وكذا الروحيّ ، والسلوكيّ .

لقـد أتـــممتُ بعـون الله وتوفيقـه دراســتي في هـذا الموضـوع بتاريـخ 15 رمضــان المبــارك مــن عــام 1444 ه .

وهـذا جهـد المقـلّ ، فمـا أصبـت فيه ، فمـن توفيـق الله وإحسـانه ، ولطفه ، وكرمـه ، ومـا أخطئـت فيه فمنّـي ، ومن الشـيطان .

واللهَ أسـألُ أن يتقبّـلَ هـذا الجهـد والعمـل بقبـولٍ حسـنٍ ، وأن يجعلـه في ميـزان حسـناتي ، إنـه سـبحانه وتعالـى وليّنـا ، ولا حـول ولا قـوّة لنـا إلا بـه .

المصادر والمراجع

1 . ابـن فـارس ، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا القزوينـي الـرازي ، أبو الحسـين ، معجـم مقاييس اللغـة ، المحقـق : عبـد السـلام محمد هـارون ، بـلا ط . (دار الفكر ، 1399هـ – 1979م) .

2 . ابـن منظـور ، جمـال الديـن بـن منظـور الأنصـاري الرويفعـي الإفريقـي ، لسـان العـرب ، ط3 . (بيـروت : دار صـادر : 1414ه) .

3 . أبـو نصـر إسـماعيل بـن حمـاد الجوهـري الفارابـي ، الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربية ، تحقيـق : أحمـد عبـد الغفـور عطـار ، ط .4 . (بيـروت : دار العلـم للملايـين 1407 هــ – 1987 م) .

4 . أحمـد عبـد الوهـاب ، حقيقـة التبشـير بـين الماضـي والحاضـر ، ط1 . (القاهـرة : مكتبـة وهبـة ، 1981م)

5 . أركـن اَلبتكـن ، أتـراك الأويغـور ، ترجمـة : د . محمـد السـيد محمـد جـاد الحـق ، بـلا ط . (إسـطنبول : وقف تركسـتان الشـرقية ، 2012) .

6 . أركـين البتكـين ، تركسـتان الشـرقية في ظـل الحكـم الشـيوعي الصينـي ، ترجمـة تيمـور أحمـد علـي خـان ، بـلا ط . (جـدة : دار الأصبهانـي ، 1992م) .

7 . الإنديجانـي ، منصـور بـن عبـد الباقـي ، علمـاء مـا وراء النهـر المهاجريـن للحرمـين ، ط1 . (دار الميـراث النبـوي للدراسـات ، 1434م) .

8 . أنور الجندي ، مقدمة العلوم والمناهج ، (القاهرة : دار الأنصار ، بلا ت) .

9 . البخـاري ، أبـو عبـد الله ، محمـد بـن إسـماعيل بـن إبراهيـم ، الصحيـح ، (مصـر : بالمطبعة الكبرى الأميريـة ، 1311 هـ) .

10 . بـولات تورفانـي ، تركسـتان الشـرقية تحـت الاحتـلال الصينـي ، ترجمـه د . إسـلام صالـح عبـد الفتـاح ، بـلا ط . (مصـر : دار اليسـر) .

11 . محمد بن موسى الشريف ، تركستان بين الماضي والحاضر ، بلا ط . (بلا ن ، بلا ت)

12 . توختـي آخـون أركـين ، تركسـتان لشـرقية البلد الإسـلامي المنسـي ، بـلا ط . (القاهـرة : دار الأندلس الخضـراء ، 1417ه–1997م) .

13 . الجوينـي ، عـلاء الديـن عطـا ملـك ، تاريـخ جهـان كوشـاي ، ترجمـة : السـباعي محمـد ، ط 1 . (مصـر : مركـز القومـي للترجمـة ، 2007م) .

14 . الحمـوي ، شـهاب الديـن أبـو عبـد الله ياقـوت بـن عبـد الله الرومـي الحمـوي ، معجـم البلـدان ط .2 . (بيـروت : دار صـادر ، 1995م) .

15 . الـرازي ، أبـو عبـد الله محمـد بـن عمـر بـن الحسـن بـن الحسـين بـن علـي ، التفسـير الكبيـر ، ط 3 .

16 . الزبيـدي ، محمّـد مرتضـى الحسـيني الزَّبيـدي ، تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس ، تحقيـق : جماعـة مـن المختصـين ، (الكويـت : وزارة الإرشـاد والأنبـاء في الكويـت ، 1965 – 2001 م) .

17 . سعاد هادي حسن الطائي ، الأويغور ، ط 2 ، (بغداد : دار عدنان ، 2016) .

18 . عبـد الجليـل تـوران ، الموجـز في تاريـخ تركسـتان الشـرقية ، بترجمـة ش . ثابـت أوغلـو ، (أمريـكا : مركـز دراسـات الأويغوريـة ، 2023م) .

19 . عبـد الخبير دُامّـلام التركسـتاني ، إجـازة مـن عبـد الخبيـر دامـلام إلـى سـليمان الصنيـع ، مكتبـة المدينـة ، رقـم المخطوط 1108 .

20 . عبـد الرحمـن حبنكـة الميدانـي ، أجنحـة المكـر الثلاثـة وخوافيهـا ، ط8 . (دمشـق : دار القلـم ، 1420هـ – 2000 م) .

21 . عبـد العزيـز جنگيزخـان ، تركسـتان قلـب اسـيا ، بـلا ط . (القاهـرة : المطبعـة الجمعيـة الخيريـة التركسـتانية ، بـلا ت) .

22 . عبـد الفتـاح أحمـد أبـو زايـدة ، التبشـير والغـزو الاسـتعماري ، ط1 . (مالطـا ، منشـورات مجلـة رسـالة الجهـاد ، سـنة 1988م)

23 . عبـد القـادر بـن عبـد الـوارث الكاشـغري ، تسـهيل الأمالـي ، (طشـقند : مطبعـة غلامية ، 1328ه) .

24 . عبـد القـادر بـن عبـد الـوارث الكاشـغري ، مفتـاح الأدب ، تحقيـق : عالمجـان بغـدا ، (تركيـا : بـلا ن ، 2018م) .

25 . عبـد المؤمـن السـيد أكـرم ، أضـواء علـى تاريـخ طـوران ، (السـعودية : رابطـة العالـم الإسـلامي ، 1975م) .

26 . عمـر فـروخ ، ومصطفـى الخالـدي ، التبشـير والاسـتعمار في البـلاد العربيـة ، بـلا ط . (بيـروت : المكتبـة العباسـية ، 1953م) .

27 . فـاروق عمـر فـوزي ، الاستشـراق والتاريـخ الإسـلامي ، ط1 . (الأردن : الأهليـة للنشـر والتوزيـع ، سـنة 1998م) .

28 . الفيـروز آبـادي ، قامـوس المحيـط ، التعليـق : الشـيخ أبـو الوفـاء ، بـلا ط . (بيـروت : دار الكتـب العلميـة ، 1971م) .

29 . كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، دراسات في التبشير والاستشراق . 2016 .

30 . ماركوفولـو ، رحـلات ، ترجمـة عبـد العزيـز جاويـد ، بـلا ط . (مصـر : الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ، 2002م) .

31 . مجموعـة مـن المؤلفـين ، الموسـوعة الموجـزة في التاريـخ الإسـلامي عـن موسـوعة سـفير للتاريـخ الإسـلامي ، نقلهـا وأعدهـا أبـو سـعيد المصـري .

32 . محمد أمين إسلامي ، ترجمة العلامة عبد القادر .

33 . محمـد أمـين بغـرا ، تاريـخ تركسـتان الشـرقية ، ترجمـة محمـد قاسـم أمـين ، بـلا ط . (السـعودية ، طبعـة الملـك فهـد ، 1429ه) .

34 . محمـد أمـين بغـرا ، محاربـة الحريـة والاسـتعمار في التركسـتان الشـرقية ، ط . 1 . (القاهرة : مطبعة الأنـوار ، 1959) .

35 . محمـد تورسـون عمـر ، واقـع الدعـوة الإسـلامية في تركسـتان الشـرقية ، (إسـطنبول : دار ترانسـبريت ، 2019) .

36 . محمـد عمـارة ، الفاتيـكان والإسـلام ، أهـي حماقـة؟ أم عـداء لـه تاريـخ؟ ط . 1 . (مصـر : دار الشـروق ، 2007) .

37 . محمد قاسم أمين ، الإعلام لبعض رجالات تركستان ، (مكة : مكتبة فهد للنشر ، 1429) .

38 . محمد قاسم أمين ، ملوك الطوائف في تركستان الشرقية ، (مكة : مكتبة فهد للنشر ، 1429م) .

39 . محمد ناصر العبودي ، جولة في تركستان الشرقية ، ط1 . (السعودية : دار الهداية ، 2015) .

40 . محمود بن الحسين الكاشغري ، ديوان اللغة الترك ، بلا ط . (إسطنبول : طبعة دار الخلافة العليا1333ه) .

41 . محمود شاكر ، تركستان مواطن الشعوب الإسلامية ، (بيروت : دار الإرشاد ، 1966م) .

42 . مراد رمزي ، تلفق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار ، بلا ط . (أورنبورغ : المطبعة الكريمية والحسينية ، 1908م) .

43 . مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، الصحيح ، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1374 هـ - 1955 م) .

44 . مقالة : زياد الشامي ، حول تصاعد اضطهاد الصين لمسلمي الأويغور .

45 . مقالة : «الكتاتيب ، نواة التعليم الأولى في الكويت . . قديماً» . جريدة القبس .

46 . مقالة : الصين : القمع الشديد للمسلمين في شينجيانغ يبلغ حد الجرائم https: //www. amnesty. org. . . ‹

47 . مقالة : العلامة العلامة عبد القادر الكاشغري من رواد الصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى ، بقلم عبد الرحمن جمال الكاشغري .

48 . مقالة : مسلمو الأويغور : وثائق مسربة تربط قادة صينيين كبارا بقمع . . . https: //www. bbc. com › arabic

49 . نور محمد خان ، القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي والصين ، (القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، 1955م) .

50 . هوتسما وآخرون ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، إعداد وترجمة إبراهيم زكي

خورشـــيد ، ط . 1 . (الشــارقة : مركــز الشــارقة للإبــداع الفكــري ، 1418 هـ – 1998 م) .

51 . يلماز ، تورنا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط1 . (إسطنبول : مؤسسة فيصل ، 1988م) .

. 25

53 . **باللغة الأويغورية :**

54. ئابدۇرەھىم سابىت، ئابدۇقادىر داموللام ۋە مىفتاھۇل ئەدەب، (1992)

55. ئابدۇقادىــر جالالىدىــن، مەۋجۇتلــۇق تەشــنالىقى، (ش. پەن-تېخنىــكا نەشــرىياتى، 2012).

56. ئابدۇقادىـر داموللام ئىبنـى ئابدۇلۋارىـس كاشـغەريي، نەسـىھەتى ئامـا، (ش. مەدەنىيىتـى، 2000، 1. سـان).

57. ئابــدۇل ھەكــىم مەخــدۇم ھاجــى، تەجەللــى مۇجەللــى، (قەشــقەر: ئۇيغــۇر نەشــرىياتى، 1984).

58. ئابدۇلھەكىـم مەخدۇمھاجـى، ئابدۇجەلىـل داموللا ھاجـى، بـۇلاق ژۇرنىلـى، (ئۈرۈمچـى: خەلــق نەشــرىياتى، 1989، 26 ســان).

59. ئابدۇشــكۇر مۇھەممــەد ئىمــن، ئۇيغــۇر پەلســەپە تارىخــى،1. (ئۈرۈمچــى، مىللەتلــەر نەشــرىياتى، 1998)

60. ئابلىمىـت يۈسـۈپ، ئۇيغۇرتىبابىتىدىـن ئاسـاس، (ئۈرۈمچـى: سـەھىيە نازارىتى، 2004)

61. ئەسـەت سـۇلايمان، ئۆزلۈك ۋە كىملىك. ن. 1. (ش. ئۇنىۋېرسـتېتى نەشـرىياتى، 2006).

62. ئۇيغۇر ئاكادېمىيسـى، شـەرقىي تۈركسـتان مۇسـتەقىللىق كۆرىشىدە بىرلىككە كېلىشكە تېگىشـلىك مۇھىم نوقتىلار، (ئىسـتانبول: 2018)

63. ئىبراھىـم مۇتئـى، ئىبراھىـم مۇتئـى ئىلمـي ماقالىلـىرى، (مىللەتلەر نەشـرىياتى: 1990).

64. باتور روزى، ئابدۇقادىر داموللام، (ش، خەلىق نەشرىياتى، 2003).

65. خېۋىـر تۆمـۈر، ئابدۇقادىـر داموللام ھەققىـدە قىسسـە، ن1. (ئۈرومچي: ياشـلار-ئۆسمۈرلەر نەشـرىياتى، 1991).

66. رەجەپ يۇسۇپ، ئابدۇقادىر داموللام ئەسەرلىرىدىن، بۇلاق ژورنىلى، (ئۈرۈمچى: خەلق نەشرىياتى، 1989).

67. زۇلھايات ئۆتكۈر، سەيياھلار ئىزىدىن، ن. 1. (تۈركىيە: ئۇيغۇر تەتقىقات ئىنىستوتى، 2021).

68. سابىت ئۇيغۇرى، ئۇيغۇرنامە، (ئىستانبول: 2018).

69. شەرپىدىن ئۆمەر، تەجەللىنىڭ ئىجادى پائالىيتى توغرىسىدا، بۇلاق، (ئۈرۈمچي: 1986م).

07. شىرىپ خۇشتار، تاشاخۇنۇم ۋە ئۇنىڭ تۆھپىكار ئەۋلادلىرى. ن. 1. (مىللەتلەر نەشرىياتى: 1999).

71. شىرىپ خۇشتار، يېقىنقى زامان تارىخىدا ئۆتكەن شەخسلەر، ب1، (ئۈرۈمچى: خەلق نەشرىياتى، 2002).

72. فەخرۇددىن ئىمىن، ئابدۇقادىر داموللامنىڭ گۈلستانغا يازغان بېغىشلىمىسى، (بۇلاق ژورنىلى).

73. قەھرىمان غوجام بەردى، ئۇيغۇرلارنىڭ سىياسىي تارىخى،(ئىستانبول: تەكلىماكان نەشرياتى، 2020)

74. قۇتلۇق قادىرى، ئاپپاق خوجىنىڭ جۇڭغارلارغا تايىنىپ، سەئىدىيە دۆلىتىنى يوقىتىشى، 2013.

75. كوروپاتكىن، قەشقەرىيە، (ئۈرۈمچى: خەلق نەشرىياتى، 1983).

76. گۇننار ئالفرېد ياررىڭ، قەشقەرگە قايتا سەپەر، ن.1. (ش. خەلق نەشرىياتى، 1998)

77. لىيۇزىشياۋ، ئۇيغۇرلار تارىخى، (ش خەلق نەشرىياتى، 2003م).

78. مامۇت غازى، شىنجاڭ تەزكىرىسى (2003 – يىللىق 4- سان).

79. مۇللا مۇسا سايرامى، تارىخى ھەمىدى، ن1. (مىللەتلەر نەشرىياتى، 1986).

80. مۇھەممەد ئابدۇللاھ بەگ ھاجى، خوتەن تارىخى، (خوتەن ئىسلام ھۆكۈمىتى) (ئامرىكا ئۇيغۇر تەتقىقات مەركىزى، ئىستانبۇل: 2023م).

81. مۇھەممەد ئەمىن بۇغرا، ماقالىلەر توپلىمى، (ئىستانبول: 2014).

28. مۇھەممەد تۇرسۇن ئەھمەد، يۈز مەشھۇر ئۇيغۇر، (ئىستانبول: سۇتۇق بۇغراخان نەشرىياتى، 2017).

83. مۇھەممەد زۇنۇن ئوقيا، ئۇيغۇر يىلنامىسى، (لندن: ئۇيغۇر تىلى تەتقىقات ئىنىستىتوتى).

84. نۇرمۇھەممەد دۆلەتى، تارىخ بەتلىرىنى ۋاراقلىغاندا، ن. 1. (مىللەتلەر نەشرىياتى، 2014).

85. يالقۇن روزى، تاشاخۇنۇم ۋە ئۇنىڭ تۆھپىكار ئەۋلادلىرى.

86. يالقۇن روزى، 20 ئەسىردىكى ئىسلاھاتچى – ئابدۇقادىر داموللام، شىنجاڭ مەدەنىيتى ژۇرنىلىنىڭ 2010-يىللىق 5-سانى.

87. يالقۇن روزى، ئاكا – ئۇكا مۇسابايېفلارنىڭ توققۇز چوڭ تۆھپىسى، شىنجاڭ مەدەنىيتى، 2011– يىللىق 5 – سان.

88. يالقۇن روزى، مەمتىلى ئەپەندى، ن1. (ش. ئۇنىۋېرسىتېتى نەشرىياتى، 1997).

89. رەجەپ يۈسۈپ، ئابدۇقادىر داموللام ئەسەرلىرىدىن، بۇلاق ژورنىلى، (ئۈرۈمچى: خەلق نەشرىياتى، 1989).

90. شەۋكەت ئىبراھىم، قەشقەردە پەننى مائارىپنىڭ شەكىللىنىشى توغرىسىدا.

91. أبو الفضل رجب، أويغورلار، ط 1. (تبريز- إيران، نشر اختر، 1393). (باللغة الآذرية الإيرانية).

92. العلامة عبد القادر بن عبد الوارث كاشغري، عقائد ضرورية، (كاشغر، مللي مطبعسي، 1954). (باللغة الأويغورية الجغاتية).

93. العلامة عبد القادر، بياني حقيقت، مجلة شورى، (1915، 1 ديكابير. عدد 33). (باللغة الأويغورية الجغاتية).

94. ملا محمد خوجا إيشان، شوقي گلستان، (1906م). (باللغة الجغاتية).

95. نجيب عاصم، توروك تاريخي، ط 1. (إسطنبول، دار الطباعة العامرة، 1316ه). (باللغة التركية العثمانية).

باللغات الأجنبية :

96. Sultan Mahmut KASGARLI. ÇAGDAS UYGUR TURKLERI'NIN EDEBIYATI. B. 1. (Kültür Bakanlığı, 1998).

97. Nur Ah met Kur ban. DÂMOLLA, Abdülkādir. TDV İslâm Ansiklopedisi. *EK-1. Cildinde.*

98. Nurghmet KURBAN. YIRMINCI YÜZVILDA UGURCA KUR'AN ÇALISMALARI . ISTANBUL ÜNIVERSITESI. Yüksek Lisans Tezi. istanbul-2002.

99. A History of Protestant Missions in the Near East 1910 Leather Bound, 2019.

100. Ahlbert to Lindahl, September 1923.

101. Anderson, Gerald H. Biographical Dictionary of Christian Missions. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing. 1999.

102. Anderson, Gerald H. Biographical Dictionary of Christian Missions. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans Publishing. 1999.

103. Andrew D. W. Forbes. Warlords and Muslims in Chinese Central Asia: A Political History of Republican Sinkiang 1911–1949. CUP Archive. 1986.

104. Concerning other Missions in Central Asia, see Cochrane, 1925.

105. David gustafsson, , vidskepelse och vantro,1917.

106. G. palmer, en ny port öppnas, 1942.

107. Giora Fuzailoff، Rabbinic Succession in Bukhara 1790-1930.

108. Gunnar jarting return to kashghar, the report to the svenska missionsförbundet atstockholm from the swedish mission stations in kashghar, china, swedish mission press, kashgar,1926

109. Gustaf Raquette. Öst turkestan Dess ståder och floder. 1909.

110. Högberg, Lars Erik، En missionärs minnen 1858-1924.

111. Högberg, (1917). Våra missionsstationer. I På obanade stigar. Svenska

missionsförbundets förlag.

112. Påobanadestigar: tjufofemåriOstiTurkestan. Svenskamissionsförbundets.

113. Törnquist, John (1917). Kinesskolan. I På obanade stigar. Svenska missionsförbundets förlag.

114. http: //runeberg. org/nfcq/0669. html

115. https: //ar. irullinidisilvia. it/wiki/Gustaf_Ahlbert

116. https: //en. wikipedia. org/wiki/Father_Hendricks

117. https: //www. amnesty. org/en/latest/news/2021/06/china-draconian-repression-of-muslims-in-xinjiang-amounts-to-crimes-against-humanity-2/

118. https: //www. britannica. com/biography/Saint-Francis-of-Assisi

119. https: //www. skbl. se/en/article/MariaLovisaEngvall

120. https: //www. skbl. se/en/article/MariaLovisaEngvall

121. Ildikó Bellér-Hann. Community Matters in Xinjiang, 1880–1949: Towards a Historical Anthropology of the Uyghur. 2008.

122. Jakob Emanuel Lundahl. obanade stigar: tjufofem år i OstiTurkestan. Svenska missionsförbundets mission i Ost-Turkestan. Illustrerade skildringar av missionärer. Svenska missionsförbundets förlag, 1917.

123. James A. Millward. Eurasian Crossroads: A History of Xinjiang. Columbia unıvesıty Press Newyorrk. 2007.

124. John hultvall, mission and revolution in cantral asia , 1981.

125. Language and Identity: Discourse in the World. Bloomsbry Academic. An İmpint Bloomsbry Publihing Pik. 2015.

126. Margareta höök wennfors, kvinnan som red över Himalaya, 2018.

127. Mildred Cable and French Francesca French: George Hunter Apostle of Turkestan Newington Green London,1946.

128. Nyrén to Nyström, January 21st, 1922.

129. Nyström to Lundahl and Westling, November 19th, 1921

130. Ondrej Klımes, struggle by the pen the uygur discourse of nation and national interest, C1900–1949.

131. Ruins of Desert Cathay – Personal Narrative of Explorations in Central Asia and Westernmost China", Volume 1, M A Stein, 1907.

132. The Holy Bible in Eastern (Kasiigar) Turki. 1950.

133. The Turkish types were delivered from Constantinople Nyrén, 1928.

134. Themost Unfruitf ul Mission in the world, CICM Fathers Frans and Jozef Hoogers in Xinjiang: 1895~ 1922.

135. Törnquist, John (1917). Kinesskolan. I På obanade stigar. Svenska missionsförbundets förlag.

136. Törnquist to Lundahl, January 6th, 1926. 1928.

137. Рамзи М. Талфик аль-ахбар... Т. II. С. 412. Талфик аль-ахбар ва талких аль-асар фи вакаи'Казан ва Булгар ва мулюк ат-татар، Научн. ред. , авт. вступ. статьи и комментариев С. И. Хамидуллин. — Уфа: БашГУ; ЦИИНБ «ШЕЖЕРЕ»; НБ РБ; Китап, 2017.

138. 韩国]李宽淑著:《中国基督教史略》，社会科学文献出版社，1998 年.

139. 大秦景教流行中国碑，引自阿 · 克 · 穆尔著 郝镇华译:《一五五零年前的中国基督教教史》 中华书局，1984 年.

140. 新疆省疏勒县调查外国驻华传教教堂驻在地点及教士姓名表，新疆维吾尔自治区档案馆.

141. 乐峰:东正教史，中国社会科学出版社，1999 年.

.241 冯承钧:《景教碑考》，商务印书馆,1931 年.

143. 引自徐永志:景教在中国少数民族地 区的传播.中央民族大学学报，2003 年.

144. 尼 · 维 · 鲍戈亚夫连斯基著，新疆大学外语系俄语教研室译:长城

外的中国西部地区，商务印 书馆，1980 年.

145. 木拉提 · 黑尼亚提:近代新疆天主教会历史考，西域研究，2002 年.

146. 李宽淑著:中国基督教史略，社会科学文献出版社，1998 年.

147. 李建生，新疆目前“两教”信众结构及 信仰对比研究，新疆师范大学学报. 2008年.

148. 郭换平，龙开义，近代以来新疆基督教研究综述，新疆，石河子大学，2009.

149. 李福田主编，中国文学大辞典 · 第五卷，天津人民出版社，1991 年.

150. 杨富学: 回鹘景教研究百年回顾，曹中建主编:中国宗教研究年鉴 1999—2000，宗教文化 出版社，2001 年.

151. 汤开建 马占军. 清末民初圣母圣心会新疆传教考述 (1883~ 1922 年). 西域研究 2005 年.

152. 王柯著. 东突厥斯坦独立运动:1930年代至1940年代.. 香港中文大学 2013.

153. 萧然奎撰: 5 绥定县乡土志6，据清光绪三十四年抄本影印，成文出版社印行.

154. 钱 松 学科. 清末至民国基督教 在新疆的传播. 2005 年.

155. 阿 · 克 · 穆尔著，郝镇华译: 一五五零年前的中国基督教教史》，中华书局，1984 年.

156. 马良春、李福田主编，中国文学大辞典 · 第五卷，天津人民出版社，1991年.

157. 年铁木尔 · 达瓦买提 主编，中国少数民族文化大辞典: 西北地区卷，民族出版社，1999年.

158. 魏良弢:《西辽史纲》，人民出版社，1991 年.

يا أيها الألمعي اللوذع

ـي الحبر في كل الفنون الماهر

يا كنز أسرار العلوم وبأسرها

وحديث أحمد بالصلاح الآمر

قد أنشد القدسي في تأريخه

قد فات در الناس عبدالقادر

فاضل القدسي